المسلمون في تانزانيا

بين الأمس واليوم

دكتور
السعيد رزق حجاج
أستاذ التاريخ الحديث
المساعد بجامعة الأزهر

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ — ١٩٨٩ م

مطبعة الحسين الاسلامية
٢٠ حارة المدرسة - خلف جامع الازهر - القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

هذه الدراسة التاريخية تتناول – في إيجاز وتركيز – ماضي المسلمين وحاضرهم فيما يعرف اليوم باسم تانزانيا ، وهي إحدى دول شرق أفريقيا التي كان للعرب فيها دور قوي مؤثر ، كما كانت معبراً للاسلام إلى قلب القارة الأفريقية . وهي جمهورية اتحادية تكونت من اتحاد تنجانيقا وزنجبار ، على أثر المذابح الدامية التي وقعت في زنجبار ، في سنة ١٣٨٤ هـ – ١٩٦٤ م وراح ضحيتها عشرات الآلاف من العرب المسلمين ليتولى حكمها بعد هذه الاحداث القس « نيريري » الذي لم يأل جهداً في القضاء على العروبة والإسلام في تلك البلاد .

ومن المعروف تاريخياً أن تنجانيقا وزنجبار كانتا القسم الأكبر من سلطنة آل سعيد الإسلامية في شرق أفريقيا ، والتي قامت بدور رئيسي في نشر الإسلام وتوطيد دعائمه في الكونغو وكينيا وغيرها من الدول الأفريقية ، وفي الربع الأخير من القرن الماضي . تكالبت عليها القوى الاستعمارية ، ممثلة في بريطانيا وفرنسا وألمانيا ، حيث تآمرت على اقتسام شرق أفريقيا فيما بينهم . وهنا حقيقة هامة وهي أنه لولا التدخل الاستعماري الصليبي في تلك المنطقة لاتسع المد الإسلامي في شرق إفريقيا ووسطها منطلقاً من زنجبار .

من هنا تأتي أهمية تناول أحوال المسلمين في تانزانيا في مثل هذه الدراسة

التاريخية التى اعتمدت على الكثير من المصادر والمراجع التاريخية ، كما اعتمدت لأول مرة على وثائق الأمم المتحدة لا سيما فى فترة الوصاية .

وإذا كنت قد كتبت قبل ذلك عن أحوال المسلمين فى الصين والصومال فإنى أرجو بعد الحديث عن مسلمى تانزانيا بين ماضيهم وحاضرهم إن أتمكن — إذا مد الله فى عمرى — من تتبع أخبار المسلمين فى أفريقيا وآسيا وغيرهما فى حدود الإمكانات المتاحة يدفعنى إلى ذلك رغبة ملحة فى تسجيل تاريخ المسلمين فى العالم وأحوالهم المعاصرة مشاركاً فى ذلك مع الكثيرين ممن سبقونى فى هذا الميدان .

وأما عن تاريخ المسلمين فى تانزانيا فقد قسمته إلى فترات مترابطة حيث تبدأ الفترة الأولى بالحـــديث عن الإسلام والعروبة فى تنجانيقا وزنجبار كما تهتم الفترة الثانية بالحديث عن الأطماع الاستعمارية البرتغالية وموقف القوى الاسلامية فى مواجهة تلك الأطماع ، ودور العثمانيين الرائع فى مقاومة هذه الغزوة الاستعمارية .

وأما الفترة الثالثة فهى فترة الازدهار التى أصبحت فيها زنجبار حاضرة لدولة البوسعيديين وازدهرت فيها الثقافة الاسلامية وحققت رواجاً اقتصادياً ، ونجحت فى فرض سيطرتها على الكثير من المناطق الأخرى ، مما ساعدها على نشر الاسلام بين كثير من القبائل الوثنية .

وتناولت هذه الدراسة فى القسم الرابع منها التغلغل الاستعمارى فى شرق أفريقيا وبخاصة الاستعمار البريطانى والألمانى ثم يأتى الحديث عن زنجبار فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأخيرة وتحقيق الاستقلال وتتابع الأحداث بعد ذلك حتى قيام تانزانيا وما عاناه المسلمون فى تلك البلاد بعد هذه الوحدة الاجبارية .

وما أرجوه من هذا العمل أن يلق الضوء على تاريخ المسلمين فى تلك البلاد ومأساتهم التى تشبه إلى حد كبير مآسى المسلمين فى الأندلس وفلسطين وتركستان وغيرها من البلدان الاسلامية التى ما تزال تحت السيطرة الاستعمارية ، والله من وراء القصد .

المؤلف

لمحـــة جغرافية وتاريخية :

« تانزانيا » : من دول شرق أفريقيا . في شمالها كينيا وأوغندا ، وفي جنوبها موزمبيق وملاوي وزامبيا ، وفي شرقها المحيط الهندي ، وفي غربها الكونغو وفي شمالها الغربي رواندا وبوروندي ، وتبلغ مساحة تانزانيا ٩٤٥٠٨٧ كم٢ (تنجانيقا ٩٤٢٦٢٧ كم٢ وزنجبار ٢٤٦٠ كم٢) وسكانها حوالي ٢٠ مليون نسمة تقريباً[١] .

تتكون تانزانيا من اتحاد تنجانيقا وزنجبار على أثر المذابح الدامية التي وقعت في زنجبار ، في سنة ١٢٨٤ هـ/١٩٦٤ وراح ضحيتها الآلاف من العرب المسلمين . وعين يوليوس نيريري وهو قسيس نصراني رئيساً للجمهورية التي سميت بعد الاتحاد الاجباري « تنزانيا » . وكانت تنجانيقا وزنجبار تكونان القسم الأكبر من سلطنة آل سعيد الاسلامية في شرق أفريقيا وتكالبت عليها القوى الاستعمارية في الربع الأخير من القرن الماضي ، فتآمرت بريطانيا وألمانيا وفرنسا وإيطاليا على اقتسام شرق أفريقيا فيما بينهم فوقعت كل من بريطانيا وألمانيا معاهدة في ١٢٠٤هـ/١٨٨٦م لاقتسام المنطقة بينهما[٢] .

وبمقتضى هذه المعاهدة حددت مناطق النفوذ بين الدولتين بخط يبدأ من شمالي مصب نهر بنجاني في المحيط الهندي ، بين مدينتي ممبسه وتنجا ، ويمتد إلى الداخل حتى يصل إلى بلدة شيراتي على بحيرة فكتوريا ، فأخذت

---

(١) د . محمود عبد اللطيف : الجغرافيا الإقليمية لأفريقيا ، القاهرة سنة ١٩٨٢ ، ص ٩١ .

(٢) سيد عبد المجيد بكر : الأقليات المسلمة في أفريقيا ، رابطة العالم الإسلامي ١٩٨٥ ، ص ١٠٧ .

ألمانيا القسم الجنوبي من هذا الخط وعرفت مستعمراتها باسم تنجانيقا ، وأخذت بريطانيا القسم الشمالي حيث كينيا وأوغندا والقسم الأكبر من الصومال وبالمقابل أطلقت الدولتان يد فرنسا في مدغشقر وإيطاليا في جزء من الصومال وأرتريا .

وظلت ألمانيا تسيطر على تنجانيقا حتى نهاية الحرب العالمية الأولى عندما هزمت ، فآلت إلى بريطانيا وسمحت للانتداب عليها من قبل عصبة الأمم المتحدة ، وظلت تنجانيقا تخضع للاحتلال البريطاني حتى استقلت سنة ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م وفي إطار مجموعة دول الكومنولث البريطاني ، وأما جمهورية زنجبار فقد أعلنت بعد إلغاء السلطنة في يناير ١٩٦٤ وعين عبيد كارومي وهو شيوعي متطرف رئيساً لوزارتها ثم نائبـاً أول لرئيس الجمهورية بعد قيام الاتحاد ، ولكنه قتل على أيدي أبناء الشعب في زنجبار فيما بعد ، وقد نصت اتفاقية الوحدة بين الاقليمين على أن شئون الدفاع والخارجية والخدمات العامة يترك أمرها إلى الحكومة المركزية ومقرها دار السلام على أن يستقل كل إقليم بشئونه الداخلية فيما عدا ذلك[1] .

النشاط الاقتصادي :

تعتبر الزراعة هي عصب الاقتصاد في تانزانيا حيث يزرع الذرة والشوفان والشعير والبن والقطن والشاي والموز على المناطق المسطحة ، على حين يزرع في السهول زيت النخيل وقصب السكر والكاكاو وجوز الهند والموز .

---

(١) أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، ط ٤ النهضة العربية سنة ١٩٨٠ ص ٤٠٨ .

أما القطن فيزرع حول طابورة فى حين يزرع الشاى على سفوح الجبال فى رونجوت والبن على المرتفعات .

ويوجد فى تانزانيا الماس والذهب كما يوجد القصدير والفضة والملح (وقد اكتشفت فى سنة ١٩٨١ الغاز الطبيعى فى منطقة كلو)[١] .

وقد جرب الألمان زراعة المطاط فى منطقة أرزمبارا ولكن هبوط أسعاره عالمياً جعلهم يتوقفون عن زراعته ، وآثر السكان زراعة الكتان لاستقرار أسعاره وحاجتهم إليه[٢] .

وتعتبر زنجبار أكبر منتج للقرنفل فى العالم ويزرع فى مزارع العرب الكبيرة . وهناك أيضاً الكاسافا ونخيل الزيت .

والواقع أن مناخ زنجبار الاستوائى البحرى الملطف وتربتها الخصيبة وغناها النباتى وموقعها الجغرافى قد أضفى عليها أهميه خاصة كما أدى إلى ارتفاع كثافة السكان فيها .

وتشكل الثروة الحيوانية فى تانزانيا دعامة اقتصادية ، فعدد الأبقار تزيد عن الـ ١١ مليون والأغنام والماعز عشرة ملايين .

الصناعة :

تعتبر الصناعة فى مراحلها الأولى وترتبط ارتباطاً وثيقاً بالانتاج الزراعى وتتمثل فى حلج القطن وعصر الزيت وصناعة النسيج وبعض الصناعات الأولية .

---

(١) يسرى عبد الرازق : جغرافية الشعوب الإسلامية ، ص ٥٤٥ .

(٢) د دولت صادق . الجغرافية السياسية ، الانجلو ١٩٨٢ ، ص٧٧٦ .

وتمتاز بالاضافة إلى ما سبق ثروة كبيرة من الأخشاب وقطعان الحيوانات .

والوحدة النقدية فى تانزانيا هى شلن أفريقيا الشرقية(١) .

السكان :

يتكون سكان تانزانيا من أكثر من مائة وعشرين قبيلة ينتمون إلى العناصر الزنجية والحامية وقبائل البانتو وقليل من الهوتانتوت ومن أبرز العناصر بانتو الوسط ويزيد المسلمون بينهم على مليونين وعدد المسلمين من جماعات الياو Yao وحدها أكثر من مليون وربع مليون مسلم ويوجد الاسلام بين باشنجا وماكونزى ، وماآلوا ، وبين النياموبزى Nyemwezi والوكوما والومبوا Sumbwa كما ينتشر الاسلام بين بانتو الشمال الشرقى ومنهم نجيندو Ngindo وبوجو و Pohoro وزرامو (Zaramo) وشامبا Sbambwa وتيتا Taita وينتشر الاسلام بين قبائل الهيهى وجوجو ، والموزا ويشكل السواحليون المسلمون قرابة المليون ومن الشيرازين حوالى ربع مليون مسلم .

وهناك العناصر الآسيوية المسلمة (هنود وباكستانيين) ويزيد عددهم على ١٥٠ ألف .

وأما العرب فتقدرهم المصادر بأكثر من مائة ألف ويعيش معظمهم فى جزيرتى زنجبار وبمبا . ويعرف الايرانيون بجماعات الشيرازى(١) .

أما من حيث العقيدة .

---

(١) سيد عبد المجيد بكر ، المرجع السابق ص ١٠٦ .

يشكل المسلمون فى تنجانيقا أكثر من ٦٠٪ من السكان والنصارى ٢٧٪ من السكان والوثنيون ١٣٪ .

وأما فى زنجبار فتصل نسبتهم الى ٩٠٪ تقريباً[١] .

اللغـــة :

اللغة الرسمية الآن هى السواحلية ثم الانجليزية وهى تستعمل فى المكاتبات الرسمية ، وأما العربية فتوجد فى المنطقة الساحلية وقد كانت لغة الثقافة ومصدرها فى شرق أفريقيا لا سيما زنجبار ثم نافستها الانجليزية واليوم أصبحت غريبة بين أهل البلاد وخصوصاً بعد الانقلاب الدموى ضد العرب ولم يعد يتحدث بها إلا بعض كبار السن من العرب أو من أبنائهم الذين تلقوا العلم فى الأزهر أو الجامعات الاسلامية الأخرى فى العالم الاسلامى .

ومن المعروف أن اللغـــة السواحلية قريبة الشبه من العربية وهى فى معظمها من أصل عربى[٢] .

---

(١) (ا) يشكل المسلمون السنيون نسبة ٨٩٪ من عدد المسلمين فى زنجبار و١٠٪ أباضيون و١٪ شيعة .
(ب) وأما النصارى فهم ٣٠٪ من الأفارقة ، الأوربيون يشكلون ٤٠٪ .
(ج) الوثنيون وهم ٢٨ أفارقه .
(د) هندوس ويشكلون ٢٠٪ (الأقليات الاسلامية فى أفريقيا ص ١٠٦ .

(٢) عبد الرحمن حميده . طه عثمان . الجغرافية الاقليمية للعالم الاسلامى ص ٣٢١ — ٣٢٢ .

أم المدن :

دار السلام حاضرة البلاد وهى المدينة التى أقامها العرب وأعطوها إسمها منذ ما يزيد على المائة عام أيام الدولة العربية التى امتدت من الساحل الأفريقى وحتى ساحل عمان ، وكان وجهها العربى أزهى صفحات تاريخها وأكثره تألقاً .

وتحاول حكومة تانزانيا استكمالا لخطتها الرامية فى القضاء على بقايا الوجود العربى قررت نقل العاصمة إلى مدينة دودوما وبدأت الخطوات الفعلية لهذه المحاولة .

ويسكن دار السلام حالياً أكثر من ٢٧٥ ألف نسمة .

وهناك ١٦ مدينة أخرى منتشرة فى مناطق الشمال والغرب وعلى الساحل ولا يزيد عدد سكان كل منها على خمسة آلاف نسمة .

وأما زنجبار فهى جزيرة تعيش اليوم كسيرة خجلة تتنكر لتاريخها العربى وتسعى للافلات من ماضيها وتعيش هادئة مستسلمة لقدرها .

وعلى العكس كانت زنجبار فى الماضى رائعة يشدك إليها الطعم العربى والطرز العربية ، فتميز المدن مآذن المساجد المنتشرة وذات العمارة العربية والبيوت تحتفظ بأبوابها الخشبية المنقوشة من خشب الساج نقشاً دقيقاً وبعض النقوش آيات من القرآن الكريم ، وقامت فى الجزيرة نتيجة الهجرات العربية حضارة جديدة مزيج من المحلية الافريقية والعربية الاسلامية ، والتى نمت مع الوقت بفعل العامل الجغرافى الحاكم سواء اقترابها من البقعة التى شهدت فجر الاسلام أو قدوم العرب من مناطق أشد حرارة فلم تمنعهم حرارة جوها من التأقلم بيسر مع هذه البلاد .

ولفظ زنجبار كلمة مركبة من « زنج » بالعربية وبار ، وهى تعنى ساحل باللغـــة الفارسية ، أى ساحل الزنج وقد أطلقها العرب على كل ما عرفوه من ساحل شرقى أفريقيا وتتـكون زنجبار الحالية من جزر رئيسية ثلاث هى زنجبار وبمبا ومافيا وعدد آخر من الجزر الصغيرة غير المأهولة . وتبعد الجزيرة الرئيسية زنجبار عن الساحل بحوالى ٢٢.٥ ميل ومساحتها ٦٤٠ ميل مربعاً ، وأما الجزيرة الثانية من حيث المساحة والسكان فهى بمبا التى تبلغ مساحتها ٣٨٠ ميلا مربعاً . اما جزيرة مافيا فهى جزيرة صغيرة لصيد السمك .

وزنجبار بصفة عامة مدينة إسلامية حتى بعد التطورات المحزنة التى وقعت فيها .

وهناك مدينة كلوا المدينة التاريخيـــة الشهيرة ، وكذلك طابورة وعروشه المدينتان الاسلاميتان القديمتان .

أما كيغوما وأوجيجى فقد بناهما العرب على بحيرة تنجانيقا أثناء توسعهم فى الداخل ، فقد أصبحتا مركزين إسلاميين هامين .

---

(١) مجلة العربى الكويتية . العدد ٢٣٠ يناير ١٩٧٨ ص ٤٥ .

العروبة والاسلام فى زنجبار

ظهرت التأثيرات العربية واضحة فى ساحل شرق إفريقيا بما يؤكد أن العرب كان لهم وجود قوى مؤثر يدل على ذلك أن الاغريق والرومان أطلقوا على هذا الساحل إسم ساحل عزانيا نسبة إلى إحدى الممالك القديمة التى يقال إنها وجدت فى منطقة ما فى جنوب الجزيرة العربية فى فترة سابقة على ظهور الاسلام لم تحدد تحديداً قاطعاً وانتقل سكانها إلى شرق أفريقيا حيث نسب الاغريق والرومان هذا الساحل إليهم[١] .

وقد ظل الاتصال التجارى ينمو ويتسع قبل الاسلام بين الجزيرة العربية وموانى الساحل الشرقى لأفريقية حيث تمكن عرب الجزيرة العربية من عبور باب المندب إلى الساحل الافريقى كما ساعدتهم معرفتهم بعلم الفلك وتحديد الاتجاهات بالشمس والكواكب على الملاحة بانتظام بين بلادهم وبين سواحل أفريقيا الشرقية ، ومن ثم كان العرب أول من عرف أفريقيا الشرقية وأول من اتصل بالجماعات البشرية المقيمة على سواحلها وكان مضمون هذا الاتصال التبادل التجارى وتصريف منتجات سكان أفريقيا الشرقية وربطها بأهم مصادر الانتاج العالمى فى الشرق الأقصى وبلاد البحر المتوسط[٢] .

ولقد اكتفى العرب فى الفترة السابقة لظهور الاسلام على الساحل الشرقى لأفريقيا ولم يتوغلوا فى داخلها مكتفين بإنشاء المراكز التجارية

---

(١) د. السعيد رزق حجاج : الاستعمار الأوربى فى أفريقية وآسيا ص ٣١ .
(٢) د. جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الأفريقية ص ٩٠٨ .

لتصدير الذهب والعاج وغيرهما من السلع التي كانت تصل إلى الدول القديمة التي كانت تلح في طلبه ، وكانت البضائع الافريقية غالباً ما تسبق في المراكز التجارية التي أقامها العرب على الساحل إلى أن يحين موسم الرياح حيث يتم نقلها إلى الخليج العربي وسواحل الجزيرة العربية في رحلة العودة(١) ، وكان العرب يقايضون على ما يأخذونه بالسلع التي يحصلون عليها من الهند ، وقد شهدت الجزيرة العربية أعداداً وفيرة من الأفارقة الذين استعان بهم العرب في حراسة قوافلهم كما تزاوجوا منهم ونشأ نتيجة لذلك نسلا عرف بشجاعته وسواد بشرته .

ويلاحظ أن هذه الصلات ظلت قائمة لا تنقطع إلى أن بدأ الاسلام وأضاء نوره في شبه الجزيرة العربية فأحدث انقلاباً خطيراً في حالة العرب بوجه عام وتاريخ الساحل الشرقي لأفريقيا بوجه خاص .

ومن الأمور المتفق عليها بين كثير من المؤرخين أن الإسلام قد دخل إلى شرق أفريقيا بحكم موقعها المواجه للجزيرة العربية قبل دخوله إلى غرب أفريقيا بأكثر من قرن من الزمان على الأقل .

وقد تطور الإسلام والحكم الإسلامي في شرق أفريقيا في قطاعين اتخذ في كل منهما صورة خاصة بحكم موقعه الجغرافي وظروفه التبشيرية وهذين القطاعين هما :

القطاع الحبشي الصومالي وقطاع ساحل المحيط الهندي ولقد ارتبطت الهجرات العربية الإسلامية إلى الشرق الأفريقي عموماً بالأحداث السياسية في جنوب الجزيرة العربيـــة وساحل الخليج العربي وكانت الهجرات

---

(١) أحمد سويلم العمري الأفريقيون والعرب ص ٧٩ .

الإسلامية الرئيسية الثلاث إلى ساحل شرق أفريقيا هي :

١ - هجرة سليمان وسعيد أثناء خلافة عبد الملك بن مروان وكانا قد قاما بثورة في عمان ولكن الحجاج بن يوسف الثقفي تمكن من إخماد الثورة وتعقب القائمين على أمرها مما أدى إلى هجرة قادتها إلى ساحل شرق أفريقيا مع عدد من أتباعهما حيث أنشأوا مدينة تسمى « باتا » جنوب ممباسا ، وكان ذلك في حوالى سنة ٨١ هـ (٧٠٠ م)[١] .

٢ - هجرة شيرازيه قام بها الحسن الشيرازي الذي فر هارباً من طغيان طغرل بك السلجوقي الذي فتح شيرازسنة ١٠٥٥) وقد نزل الحسن وأخوته السبعة بمدينة كاوه ، ثم تفرقوا في البلاد منشئين المدن الإسلامية العديدة ومنها مقديشو[٢] .

٣ - هجرة عمانية ثانية سنة ١٢٠٣ م (٦٠٠ هـ) هاجر فيها سليمان ابن سليمان النبهاني صاحب عمان وتزوج من ابنة حاكم باتا السواحلية الأصل وورث العرش وأسس الأسرة النبهانية في باتا وظهرت هـذه الأسرة في عهد الملك عمر الأول الذي حكم من سنة ١٣٢٢ م (٧٣٤ هـ) إلى سنة ١٣٥٨) (٧٥٩ هـ) وقد بسط سلطانها على عدد من مدن الساحل الشرقي حتى القرن الخامس عشر وما إن استطاعت الأسرة النبهانية أن تكون شبه وحدة إسلامية في الشمال تحت قيادة مدينة باتا والأسرة الشيرازية تمكنت هي الأخرى من إقامة تكتل إسلامي تحت زعامة كلوا تضم مدن الساحل الجنوبي حتى بدأت الضربات تتوالى على المدن الإسلامية في الساحل الشرقي لأفريقية من جانب البرتغاليين الذين أخذوا يشنون

---

(١) د. السعيد رزق حجاج : مرجع سابق ص ٢٩ .

(٢) محمد جلال عباس : المد الإسلامي في إفريقيا ص ٦٩ — ٧٠ .

حرباً صليبية فى البحار الجنوبية للسيطرة على التجارة وتحطيم اقتصاديات الدول الإسلامية تمهيداً القضاء عليها .

انتشار الإسلام فى شرق أفريقيا :

بعد وصول تلك الهجرات العربية من شبه الجزيرة ومن البحرين وساحل عمان بالإضافة إلى الهجرة الشيرازية تكونت عدة إمارات بالجزء الشمالى من الساحل وانتشر الإسلام فى هذه البقاع ، ومن هذه الإمارات التى ظهرت على الساحل الشرقى لأفريقيا إمارة لامو شمال مدينة ممبسة فى نهاية القرن الأول الهجرى وهى أقدم الإمارات الإسلامية على الساحل الشرقى وبدأت الإمارات الإسلامية تظهر على الساحل الأفريقى إلى الجنوب من لامو ، فكلما تقدمت هجرة إسلامية ظهرت إمارة جديدة فظهرت إمارات ماندى وأوزى، وشاكه قرب دلتا نهر تانا فى كينيا ، كان هذا فى مستهل القرن الرابع الهجرى ، وفى هذه الفترة ظهرت إمارات كلوا الإسلامية نتيجة هجرة من شيراز - كما أسلفنا - وتوجد كلوا على ساحل تنجانيقا وازدهرت كلوا فى عهد الشيرازيين ولا تزال بها أطلال مسجد يعود إلى هذه الفترة ، وهكذا وصل الإسلام إلى الساحل الجنوبى من تنجانيقا فى مستهل القرن الرابع الهجرى ، بل امتد إلى الجنوب حتى موزمبيق[١] .

ويؤكد بعض المؤرخين أن تأسيس كلوا كان نواة لدولة الزنج وأن سليمان بن على الشيرازى استطاع أن يوحـــد معظم الإمارات العربية فى شرق إفريقيا ابتداء من جنوب مدينة مقدشو حتى سفالة وأن يضم

(١) سيد عبد المجيد بكر ، سابق ص ١٠٧

جزيرتى زنجبار وبمبه وأن يعقد صلات تجارية مع جزيرة مدغشقر وجزر القمر[١] .

وخلال القرون التالية ازدهرت دولة الزنج وامتد نفوذها بالداخل ونشطت الدعوة الإسلامية حيث امتد هذا النفوذ حتى أصبحت هذه الدولة عزيزة الجانب قوية السلطان ، وقد وقف الإسلام فى هذه البقاع وجهاً لوجه أمام الوثنية واللادينية ، ومن هنا عنى حكام هذه الدولة بتقوية دولتهم لتستطيع أن تواجه أى أنواع التحدى ، وبالإضافة إلى القوة كان طابع الازدهار والرخاء ظاهراً فى دولة الزنج ، وكانت لها تجارة رائجة بين الشاطىء الافريقى والشاطىء الآسيوى[٢] .

ولقد وصف الرحالة العربى ابن بطوطه أحوال هـــذه الأمارة وازدهارها ، وقال عن كلوا إنها مدينة عظيمة ساحلية أكثر أهلها من الزنوج ، وأنها من أحسن المدن وأتقنها عمارة ، وبيوتها من الخشب ، وأهلها أهل جهاد لأنهم فى بر واحد متصل مع كفار الزنوج ، والغالب عليهم الدين والصلاح والتقوى وهم شافعية المذهب[٣] .

ويعتبر ما كتبه ابن بطوطة الذى قام برحلة من طنجة عام ٩٢٤ لتأدية فريضة الحج من أهم المراجع عن أحوال مملكة الزنج وبلدان شرق أفريقيا ولقد زار مدينة كلوا وقابل سلطانها أبو المظفر حسن وقد كان فى قتال دائم مع السلاطين المجاورين وعرف بتقواه وصلاحه ، كما كان حسناً كريماً

---

(١) د . أحمد شلبى ، موسوعة التاريخ الإسلامى ج ٦ ص ٤٠٤ .

(٢) د . أحمد شلبى : المرجع السابق ص ٤٠٥ .

(٣) د . عبد الرحمن زكى : الإسلام والمسلمون فى شرق أفريقيا ص ٨١ .

وقد تتابع على حكم كاوه نحو ٢٩ من السلاطين آخرهم فيصل بن سليمان وهو السلطان الذى جاء البرتغاليون فى إيامه عندما انتقلت السيادة إليه[١].

ومما هو جدير بالذكر أن الزمن الذى وصل فيه ابن بطوطة إلى ساحل شرق أفريقية وهو نهاية الثلث الأول من القرن الرابع عشر الميلادى كانت معظم مناطق الساحل تنتمى إلى العرب حين جاءت موجة كبيرة من مهاجريهم فى خلال النصف الثانى من القرن الثالث عشر الميلادى على إثر اجتياح المغول دار الإسلام حتى الفرات ولحق أولئك المهاجرون ببنى جلدتهم الذين سبقوهم فى هجرتهم إلى ساحل شرق أفريقيا . وقد جاء المهاجرون الجدد بدماء دافقة ظهرت آثارها فى عماراتهم الزاهرة وأسواقهم الرائجة التى فتنت ابن بطوطة حين جاء إلى الإقليم واستطاعت هذه المجتمعات بعد أن تنوعت مصادر ثرواتها أن تصل إلى درجة من الازدهار تقترب من الخيال من حيث الغنى والترف والرفاهية[٢] .

وقد استمرت كاوه قائمة كمركز إسلامى ومركز تجارى حتى أخضعها فاسكودى جاما ١٥٠٢ وأقام البرتغاليون بها قلعه عام ١٥٠٥ ولكن استمر النضـــال بين سكانها المسلمين وبين البرتغاليين حتى عام ١٥١٢ م ، ثم فى أواخر القرن السابع عشر الميلادى وقعت تحت سيطرة أئمة مسقط وأصبحت جزءاً من هذه السلطة الجديدة إلى أن استولى عليها الألمان عام ١٨٨٥ عند بسط نفوذهم على تنجانيقا ، ثم انتقلت بعد الحرب العالمية الأولى إلى الحماية البريطانية التى انتهت عام ١٩٦٣ باستقلال زنجبار وأخيراً

---

(١) تحفة النظار ، ج١ ، ص ١٩٣ .

(٢) د. عبد الرحمن زكى : مرجع سابق ص ٨٢ .

أطيح بالحكم العربى فيها وأصبحت جزءاً من اتحاد تنزانيا[١] .

ومما لا شك فيه أن المدن العربية على ساحل أفريقيا الشرقى قد ازدهرت من القرن العاشر حتى مقدم البرتغاليين فى نهاية القرن الخامس عشر ، وهى فترة الازدهار الكبرى نتيجة احتكار العرب لتجارة المحيط الهندى والبحر العربى وسيطرة الدولة المملوكية المصرية على تجارة عالم المحيط الهندى المتجه إلى أوربا بواسطة البنادقة وأهل جنوة فى البحر المتوسط .

وخلاصة القول أن التنوع الإنتاجى فى شرق أفريقيا كان أكبر بكثير مما هو مدون حتى الآن فى تاريخ النشاط الاقتصادى لعالم المحيط الهندى[٢] .

والسؤال الذى يتبادر إلى الذهن هو هل كان العمل الذى قام به العرب فى تنجانيقا وزنجبار وساحل شرق أفريقيا عموماً استعماراً .

وللاجابة على ذلك السؤال ينبغى التأكيد على أن المهاجرين العرب لم يلبثوا أن اندمجوا فى السكان الأصليين . وتزاوج الفريقان وبمضى الوقت ظهرت الكثير من الصفات والعادات والتقاليد المحلية الأفريقية وأصبحت الإمارات العربية مزيجاً فى أنظمتها بين أشياء أفريقية أصلية وبين أشياء عربية إسلامية وحتى اللغة السائدة أصبحت لغة أفريقية عربية

---

(١) د . جمال زكريا قاسم . الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ص ٣١ .

(٢) د . محمد جلال . سابق ص ٢ .

(١) د. جمال زكريا . العلاقات العربية الإفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٧ ص ٢٢ .

(سواحلية) ومما لا شك فيه أن العرب المهاجرين إلى هذه الجهات قد حملوا معهم حضارتهم وعلى الرغم من أن السير ريجنالد كوبلاند يقرر أن العرب كانوا يكونون طبقة أرستقراطية حاكمة لها السيادة والتفوق إلا أن الأمر الذى لا شك فيه أن أهالى البلاد ارتضوا هذا الحكم عن طيب خاطر ، كما أن العرب لم يكونوا بعيدين عن السكان أو متباعدين عنهم فقد كان هناك تقارب وتجانس أدى إلى الاختلاط والتزاوج حتى أن كوبلاند يناقض نفسه ويشير إلى روح المحبة التى سادت بين السكان الأفريقيين والمهاجرين العرب والتى ترتب عليها تزاوجهم وكان من نتيجة ذلك جنس بدت فيه الصفات الزنجية المعدلة ، كما ظهرت فيه العادات والصفات العربية إذ من المعروف أن الشعب السواحيلى هو ثمرة الزيجات التى تمت على مدى طويل بين قبائل البانتو الأفريقية وبين الجاليات العربية والفارسية التى استقرت فى أفريقيا الشرقية وقد اعتنق السواحليون الإسلام وتأثروا بالعرب فى حياتهم الاجتماعية ، ومن الجدير بالذكر أن السواحليين يقسمون أنفسهم من ناحية السلالة البشرية إلى مجموعتين :

(١) السواحليون الجنوبيون ويقولون أنهم ينحدرون من سلالة المهاجرين الفرس القدامى الذين أسسوا مدينة كلوا .

(٢) السواحليون الشماليون ويقولون إنهم ينحدرون من نسل العرب الأوائل الذين هاجروا إلى ساحل أفريقيا الشرقى فى القرن العاشر الميلادى وأسسوا مدينة مقديشو وبراوه .

ومما تجدر الإشارة إليه بصدد ذلك أن بعض القوى الاستعمارية استغلت تلك الأوضاع ، ووضح من ذلك تشجيع الإنجليز للحزب الأفرو شيرازى الذى كان يعارض الوجود العربى فى زنجبار كما سيأتى عند

الحديث عن الاستقلال[١] .

وهناك رأى لبعض الكتاب الأوربيين أن العرب فى شرق أفريقيا اهتموا بالتجارة فقط واستعانوا بالأفارقة فى إنشاء الطرق لقوافلهم وانحصرت علاقاتهم بالأهالى فى حدود ضيقة مع سكان الشواطىء الذين اختاروا حضارة آسيوية أفريقية تقريباً ، ولهذا لم يكن التأثير العربى عميق الأثر ، وقد يكون من الجائز أن ينسب إلى العرب إدخال زراعة الأرز وقصب السكر وغيره من المحاصيل[٢] .

والحقيقة التى لا جدال فيها أن الوجود العربى فى تنجانيقا وزنجبار والساحل الشرقى عموماً كان له تأثيره الكبير فليس هناك شعب أقرب إلى الأفريقيين من العرب وقد تميز العرب بغرس حضارة عميقة الحدود فى هذه المناطق .

وبتأصل الإسلام والحضارة العربية وله علاماته التى يتميز بها ويتمشى مع طبائع الأفريقيين وروحهم وحاجاتهم مما أدى إلى انتشاره ، كما تمكن الإسلام بفكره وقوته المعنوية من تحويل حياة معتنقيه من مجرد نظام قبلى بأسراته ورؤساء العشائر والقرية الصغيرة المغلقة فى وجوه ما وراءها إلى نظام سياسى يقوم على أساس إدارة وحكومة وبناء حضارة بمدنها وعمرانها وسياستها ونظمها الاجتماعية[٣] .

وغنى عن البيان أن الحضارة الإسلامية قد انفردت من دون سائر

---

(١) د . جمال زكريا قاسم ؛ مرجع سابق صـ ٢٢ .
(٢) شارل أندريه جوليان ، تاريخ أفريقيا ، ترجمة طلعت عوض ، صـ ٧١
(٣) د. أحمد سويلم العمرى ، سابق صـ ٧٠ .

الحضارات القديمة والحديثة بخلوها من نظام الطبقات البغيض أو الحاجز اللونى المشين ، بل تنزهت عن شرور الحضارات الأوربية التى تنادى بتقسيم البشرية إلى أجناس يعلو بعضها فوق بعض طبقات ، والتى وضعت الحاجز اللونى الذى لا يسمح للرجل الأبيض بأن يندمج ويختلط مع قرينه صاحب البشرة السوداء وكان لسمو وترفع الحضارة الإسلامية فى هذا المضمار أكبر الأثر فى انتشار الدين الاسلامى بين القبائل والشعوب الأفريقية(١) .

وهناك ملاحظة أخيرة لها أهميتها حول انتشار الاسلام فى الساحل الشرقى لأفريقيا مفادها أن الاسلام هناك قوة هائلة فى جمع الناس حول لوائه والتعلق به لكن على الرغم من ذلك فقد اختلطت العبادات الاسلامية فى بعض المناطق بالطقوس والمعتقدات الروحية التى كانت سائدة بين تلك الشعوب والقبائل قبل دخولها الاسلام ، وقد تمثل ذلك فى تعلق الأهليين بالمشايخ والأولياء والمعتقدات المحلية والصوفية(٢) .

ومن ناحية أخرى كانت المدن زاخرة بالمساجد والمدارس التى تعلم القرآن الكريم وتحارب المعتقدات الباطلة التى انتشرت هناك وخصوصاً فى المناطق الداخلية البعيدة عن الساحل .

وفى نهاية القرن الخامس عشر الميلادى كانت تنجانيقا وزنجبار ومدن الساحل الأخرى تعانى من الفوضى والاضطراب والذى كان من أهم أسبابه

---

(١) د . السيد رجب حراز : أفريقية الشرقية والاستعمار الأوربى النهضة العربية ١٩٦٨ ، ٦٥ .

(٢) كوكيين ما ايفيدي : أطلس التاريخ الأفريقي ، ترجمة مختار السويفي ص ١٥٦ .

الصراع على السلطة واختلاف العناصر التى تتكون منها خليط السكان فى هذه المناطق ، كما أن الاهتمام بالتجارة كان أكثر من الاهتمام بالسياسة وتكوين الدولة[١] . ولو أن حكام هذه الأمارات العربية تعاونوا فيما بينهم لأمكنهم التصدى للقوى الأوربية الزاحفة التى جعلت من شرق أفريقيا مسرحاً لحركة صليبية ضخمة تستمد أسبابها من قوى عالمية ذات أهداف مرسومة .

وكان انتشار الاسلام فى شرق أفريقيا بل بقاء الاسلام يتوقف على نتيجة هذا الصراع الدموى الذى لم تهدأ ثائرته ، وعلى نصيب هذه السلطات من النجاح فى حماية المسلمين وصيانة تراث الذى توطدت دعائمه فى البلاد منذ عهد بعيد[٢] .

ولم تنج سلطنة أو إمارة من الاشتباك فى هذه الحرب الضروس ، الامارات الواقعة إلى الشمال من مقدشو اشتركت فى حرب الاحباش وفى مدافعتهم ، واشتركت الأمارات الجنوبية فى مكافحة الخطر البرتغالى المتدفق من الجنوب[٣] .

---

(١) د . أحمد شلبى : الموسوعة ، جـ ٦ صـ ٤٠٦ .

(٢) د . حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية فى أفريقيا النهضة العربية ١٩٦٣ صـ ٤٤٠ .

(٣) المرجع السابق صـ ٤٤٠ .

البرتغاليون في شرق أفريقيـــا

في أواخر القرن الخامس عشر الميلادي وبعد مأساة المسلمين في الأندلس ظهر في ميدان شرق أفريقية خطر صليبي هو الزحف البرتغالي المعروف بحركة الكشوف الجغرافية التي استهلها هنري الملاح . فاكتشف الطريق إلى الشرق، ودار البرتغاليون حول رأس الرجاء الصالح ودخلوا ميدان شرق أفريقيا سنة ١٤٩٩ . وذلك بعد وصول فاسكودا جاما إلى موزمبيق وممبسة ومالندى ، ومن هناك استعان بالملاحين العرب في الوصول إلى ساحل الهند الغربي أو ساحل المليبار Malabapr في مايو ١٤٩٨ ويعتبر هذه الزحف البرتغالي ضربة اقتصادية قوية وجهت للعالم الإسلامي ولاسيما مصر إذ انتقل المركز التجاري العالمي من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي[١] .

وقد أخذ البرتغاليون ينشئون على ساحل أفريقيا الشرقي مستعمرات ومحطات تجارية وحصوناً وثغوراً . وكان صاحب هـذه المشروعات الاستعمارية البوكرك Albuquyque الذي اعتقد أن الطريق إلى الهند لن يكون آمناً إلا بإنشاء هذه المستعمرات ، كما رأى أن تأمين التجارة يتطلب الاستيلاء على ثلاثة مواقع استراتيجية هامة وهي ملقا وعدن وهرمز لأنها تعـــد مفاتيح الطريق إلى البحر الأحمر والخليج العربي وجزر الهند الشرقية[٢] .

أما ساحل أفريقية فقد رأى البوكرك ضرورة احتلاله والسيطره على نشاطه التجاري فألقت سفنه مراسيها عند كلوا سنة ١٥٠٢ وأرغم سلطانها على الاعتراف بالسيادة البرتغالية ودفع جزية مقدارها ألف وخمسمائة مثقال من الذهب .

---

(١) د السعيد رزق حجاج الاستعمار ص ٤٣ .

(٢) د، حسن إبراهيم حسن ، سابق ص ١٧٧ .

ثم جاء دور زنجبار فدخلها البرتغاليون فى السنة التالية وفرضوا عليها السيادة البرتغالية وجزية مقدارها مائة مثقال من الذهب .

ثم جاء دور مدينة ممبسة التى دافع المسلمون عنها دفاع الأبطال ولكنهم هزموا آخر الأمر وخربت مدينتهم ونهبت ثم أحرقت ، وقد أرسل سلطان ممبسة يحذر أهل مالندى الذين كانوا يضمرون الكراهية لبلاده أكثر مما كانوا يضمرون للبرتغاليين[1] وكان ظهور البرتغاليين فى شرق أفريقيا بداية صراع دموى عنيف استمر أكثر من قرنين ولم يكن البرتغاليون يريدون الاستقرار السلمى أو النشاط الاقتصادى كما يزعم البعض وإنما كانت أغراضهم صليبية واضحة ، هى القضاء على الاسلام والحصول على أكبر قدر ممكن من خيرات هذه المناطق والسيطرة على المحيط الهندى وطرد المسلمين من بلادهم والقضاء على احتكار المسلمين لتجارة الذهب وغيره من السلع الهامة .

وقد اختارت البرتغال رجالا أعدوا لهذا الغرض ، والمؤرخ البرتغالى Fariasouza فى كتابه Intheportuguese Azie يعترف بذلك إذ يقول « كان للبرتغال ضباط يمتازون بالقسوة والطمع .

والحكمة والتعقل فى نظرهم كلمات جوفاء ، أعمالهم حب الزنج بعيدون عن الشعور بالعدالة[2] .

وكان إخضاع البرتغاليين للساحل الشرقى من إفريقية ثم سقوط امبراطورية الزنج فيما بعد قد بدأ عام ١٥٠٢ عندما قام فاسكودى جاما برحلته الثانية إلى الهند .

---

(١) المرجع السابق ص ١٧٨ .

(٢) د/ حسن محمود : سابق ص ٤٧٦ .

فنى طريق رحلته توقف فى كاوا وأرغم السلطان على التعهد بدفع مبلغ سنوى لملك البرتغالى وفى العام التالى جاء قائد برتغالى آخر يدى وى لورانزورا فاسكو وظل يبحر فى المياه المطلة على جزيرة زنجبار لمدة شهرين واستولى خلال هذه الفترة على عشرين من السفن الشراعية المحملة بالعاج وأصداف السلاحف والشمع والحرير والمنسوجات القطنية ، وحاول حاكم زنجبار الذى ساءته تلك الغطرسة مقاومة البرتغاليين بتجهيز كل مدافعه والاستعداد بجيش من أربعة آلاف مقاتل لكن القائد البرتغالى لورانزو تغلب عليه بسفنه المجهزة بالمدافع وأرغمه على توقيع تعهد بدفع مائة مثقال من الذهب (تساوى فى ذلك الحين ٨٧ استرلينا) و ٣٠ من قطعان الماشية سنويا وفى عام ١٥٠٥ ذهب حاكم الهند البرتغالى دى الميدا إلى كاوا وهو فى طريقه إلى الهند وهاجم المدينة وأحرقها بحجة أن السلطان لم يدفع ما تعهد به قبل ذلك للبرتغاليين ، كما عزل هذا الحاكم وعين رجلا آخر كان على صلة بالبرتغاليين هو محمد أنكونى[1] .

وأجبر سكان كلـــوا على دفع ٢٠٠٠ من العملة الذهبية سنوياً ، والاعتراف بسيادة البرتغال عليهم ثم مضى ألميدا إلى ممباسا حيث أرغم حاكمها على الاستلام . ولما رفض قصف ألميدا المدينة وأحرقها . وفى نفس العام بدأ البرتغاليون بناء قلاع من الحجر فى كاوا وسوفالا وأرغموا سلطان لامو على الاستسلام فى العام التالى ، ودفع ضريبة سنوية لهم[2] .

ويبدو أن الميدا قد استولى على هـــذه المدن بناء على تعليمات الملك عمانويل الأول . الذى أدرك أن الموانى العربية بساحل أفريقيا الشرقى ،

---

(١) أحمد حمود المعمرى : عمان وشرق إفريقيا ص ٥٠ .

(٢) المصدر السابق ص ٥١ .

والتى تقع على جانب الطريق البحرى المباشر الموصل بين أوربا وآسيا لأنها تشكل تهديدا مستمراً للمتلكات البرتغالية فى الشرق[١] .

وفى فبراير عام ١٥٠٩ انتصر الميدا على الأسطول المصرى المملوكى فى موقعة ديو Diu البحرية وعلى الرغم من أن هذه الموقعة جرت فى المياه الهندية وحققت سيادة البرتغال البحرية عليها . إلا أنها كانت حدثاً ذا أهمية كبيرة بالنسبة لتاريخ هذه المنطقة . فقد تمكن البرتغاليون بفضل انتصارهم فى هذه الموقعة من السيطرة على البحار الجنوبية لمدة قرن تقريبا[٢] .

وفى النصف الثانى من عام ١٥٠٩ عين ملك البرتغال حاكما جديداً على جميع الممتلكات البرتغالية فى أفريقيا الشرقية ، وقد زار هذا الحاكم الجديد جزر مافيا وممبا وزنجبار من أجل جمع المبالغ المتأخرة على الأهالى وقد أذعن سكان مافيا تحت التهديد ، لكن أهالى بيمبا لجأوا إلى ممباسة وأخذوا معهم معظم ما يملكون ، كذلك قاومت زنجبار الحاكم . فقام البرتغاليون بالاستيلاء على زنجبـــار ونهبها ، وأرغموا سكانها على الفرار إلى الأدغال .

وكما اتضح بعد ذلك ، وفى وقت قصير نسبيا ـ فإن جميع المدن الساحلية الهامة قد وقعت تحت سيطرة البرتغاليين . وأنها أرغمت على دفع الاتاوة السنوية لهم ، ودرج البرتغاليون على الابقاء على بعض السلاطين المحليين كحكام اسميين طالمـا أنهم ينفذون سياسة البرتغاليين ، ويواظبون على دفع المبالغ المقررة عليهم سنويا[٣] .

---

(١) د / السيد رجب حراز ، سابق ص ١٥ .
(٢) المرجع السابق ص ١٥ .
(٣) أحمد محمود ص ٥١ .

ولقد ساعد البرتغاليين على تنفيذ سياستهم في ساحل أفريقية الشرقى أنهم يتساحون بأسلحته تفوق أسلحة سكانه من العرب والسواحلية ، كما أن هؤلاء كانوا منقسمين على أنفسهم ومتنازعين مع بعضهم البعض ، وكان من الأمور المألوفة في هذا الساحل قبل وصول البرتغاليين إليه ، أن مشايخ العرب هناك كانوا كلما ازدادت شوكتهم لا يقنعون بلقب شيخ ، بل يلقبون أنفسهم بالسلاطين ويتنافسون في توسيع نطاق سلطاتهم على بعض جهات الساحل وقد وجد البرتغاليون في هذه المناقشات والخلافات ثغرة استطاعوا أن ينفذوا منها ويحققوا أغراضهم ومطامعهم وإلى جانب ذلك كان الخلاف على أشده بين الدول الاسلامية الكبرى ، وقتئذ : الدولة العثمانية ، والدولة المملوكية في مصر والشام والدولة الصفوية في فارس[1] .

ولم يقتصر الأمر على عدم التعاون بين هذه القوى الاسلامية فحسب بل المعروف أن العداء بين الصفويين والعثمانيين وصل إلى حد أن طلب شاه فارس معاونة البرتغاليين له ضد الدولة العثمانية وطبقا لما يذكر. جيان أوفد شاه الفرس إلى البوكيرك أثناء وجوده بهرمز وفداً يحمل إليه الهدايا الفاخرة ويدعوه إلى بلاطه أو أن ينيب لذلك أحد وكلائه لأنه كان متأذيا من الأتراك ومجاورتهم لبلاده وكان يرجو أن يعاونه البرتغاليون عليهم ويكونوا عضداً له يركن إليه في المستقبل[2] .

سياسة البرتغاليين في شرق أفريقيا :

قامت سياسة البرتغاليين أولا وقبل كل شيء على القضاء التام على الوجود

---

(١) د / حراز . سابق ص ١٧ .
(٢) د / جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية .. سابق ص ٩٩ .

الإسلامي في مدن الساحل الشرقي لأفريقية وذلك بالتحالف مع الحبشة التي كانت تهدف هي الأخرى إلى ما تهدف إليه البرتغال ولم يكن الوجود الصليبي البرتغالي إلا فصلا واحداً في قصة توسع البرتغالي في المحيط الهندي . وقد اتجه هؤلاء البرتغاليون في بداية الأمر إلى إتخاذ ساحل شرق أفريقيا بمثابة قاعدة ملاحية في الطريق إلى الهند وتبع ذلك إتجاههم إلى إستغلال الساحل والداخل وأتى ذلك الهدف متأخرا عن الهدف الأول الذي أصبح في الواقع هدفا أساسياً من وراء سيطرة البرتغال على ساحل شرق أفريقيا ومن هنا فقد قامت سياسة البرتغاليين على ثلاثة محاور :

الأول : إتجاه البرتغاليين إلى الساحل وعزله عن الداخل الذي كان يمده بسلعه التجارية والتي كانت تصدر بدورها إلى موانيء الخليج والجزيرة العربية والهند والشرق الأقصى .

الثاني : إتجاه البرتغاليين إلى إثارة الحروب والمنازعات الأسرية بين حكام الساحل والهدف من ذلك أضعاف الزعماء والرؤساء لتؤول للبرتغاليين السيطرة في نهاية الأمر .

الثالث : منع الاتصال بين سكان شرق أفريقيا وعرب الخليج والجزيرة العربية وعلى الرغم من حرص البرتغالين على قطع هذه الصلات واستعدادهم لإبقاء الحكام المحلين سواء كانوا سواحلية أو غيرهم تحت سيادتهم إلا أن السكان الأفريقين والسواحلية كانوا شديدي التعلق بعرب عمان يؤكد ذلك استمرار تعاونهم معهم ضد السيادة البرتغالية في شرق أفريقيا[١] .

---

(١) العلاقات العربية الأفريقية ، سابق ص ٦٨

والواقع أن سلطة البرتغاليين لم تتوطد بسهولة في ساحل أفريقية الشرقي، فقد راح العرب يطرقون كل باب لإثارة خواطر الأهالي على البرتغاليين وطردهم من المراكز التجارية التي كانوا هم أصحاب التصرف المطلق فيها .

وكانت ممبسة هي التي بدأت حركة المقاومة العربية للاستعمار البرتغالي الصليبي ، وعلى الرغم من أن دالميدا كان قد قرر حرق ممبسة عام ١٥٠٥ ، إلا أن سلطانها توفر في السنوات التالية على تجهيز قوة من الأفارقة والسواحلية للاستعانة بها في مقاومة البرتغاليين وفي عام ١٥٠٨ حاول سلطان ممبسة تحريض أهالي زنجبار وببه على الثورة ، ولكنهم خشوا العاقبة فوشوا به لدى السلطات البرتغالية التي أسرعت بضرب الحصار على ممبسة وعرضت على سلطانها معاهدة اشترطت فيها مقابل فك الحصار أن يدفع فدية للبرتغال وأن يتعهد بعدم الاتصال بالأتراك العثمانيين(١) .

الصراع العثماني البرتغالي في شرق إفريقية :

بعد أن فتح العثمانيون مصر في عام ١٥١٧ بدأوا يعملون على مواجهة البرتغاليين في المحيط الهندي وشرق أفريقيا .

وقد أرسل العثمانيون في عام ١٥٨٤ أسطولا قوياً إلى البحر الأحمر لمنازلة البرتغاليين ومنازعتهم في السيطرة على المحيط الهندي وعلى الرغم من إخفاق العثمانيين في تحقيق أهدافهم إلا أن حدة الصراع بين الطرفين قد زادت إلى حد كبير ففي عام ١٥٨٦ وصل القائد البحري العثماني الغامر على بك إلى مقدشو وتعرف بحكامها وشيوخها ولما لم يكن في حوزته سوى سفينة واحدة وثمانين جنديا . فقد أخبر عرب الساحل أن هناك

---

(١) د. السيد رجب حراز سابق ، ص ١٨

أسطولا عثمانيا كبيراً سيتبعه وأنه موفد من قبل السلطان العثمانى المسلم لتحريرهم من الصليبين البرتغاليين وقد استقبل على بك بحماس كبير وأعلنت مقدشو وبراوه وقسمايو وفازا وبات ولامو نقل تبعيتهما من الملك المسيحى فليب الثانى إلى السلطان المسلم مراد الثالث وكانت ممبسة أسبق مدن شرق أفريقيا اعترافاً بالسيادة العثمانية إذ طلب شيخها من القائد العثمانى بناء قلعة وتزويده بحاميات عسكرية .

وليس من المعروف إلى أى مدى وصل على بك جنوبا وإن كان من المؤكد أنه تعرض للقواعد البرتغالية وغنم كثيرا من الاسلاب ثم عاد إلى الاستانه ومعه خمسين أسيراً برتغالياً ومجموعة كبيرة من الغنائم الأمر الذى بدأ منه أنه نصر العثمانيين ، كما أنه نصر لحلفائهم من سكان الساحل الشرقى لأفريقية .

وقد قام حاكم مالبندى - الذى كان حليفا للبرتغاليين - بإبلاغ نائب حاكم الهند فى الحال بما جرى . فأقلع أسطول برتغالى مكون من ١٨ سفينة فى العام التالى ، من جوا لمعاقبة سكان المدن التى شاركت فى الثورة على الإحتلال البرتغالى[٢] .

وفى نهاية عام ١٥٨٨ عاد على بك إلى ساحل شرق أفريقيا إذ لم يمنع محاصرة البرتغاليين لموانى الساحل من مراسلات السكان معه فى قاعدته بعدن إذ بعثوا إليه يطلبون الوفاء بوعوده لهم فى تخليص مدن شرق أفريقيا من السيطرة البرتغالية ، بل عرضوا عليه أن يساهموا فى تكاليف الحملة . وظهر بالفعل أسطول عثمانى يتكون من خمسة سفن استقبله سكان الساحل

---

(١) د. السعيد رزق ، سابق ، ص ص ٦٤ — ٦٥

(٢) أحمد حمود ، سابق ، ص ٥٣

بحماس بالغ باستثناء ماليندى التى وقفت موقفها المعروف بموالاة البرتغاليين حيث أصبت النيران على السفن العثمانية أثناء مرورها بماليندى وكانت خطة على بك أن يقضى على ماليندى أولا وبالفعل وضع خطته بالتعاون مع حاكم ممبسة ولكن حاكم ماليندى فوت عليه هذه الفرصة وبعث يستنجد بالبرتغاليين للمرة الثانية[١]. وعلى الفور وصل أسطول برتغالى يتكون من عشرين سفينة وتسعمائه جندى إلى ميناء ممبسة .

واستعد على بك بتعزيز قواته فى الميناء وفى الوقت الذى كان فيه القائد البرتغالى توماس كوتينهو يستعد لمهاجمة الميناء بحرا كانت جحافل كبيرة العدد من القبائل الأفريقية قد تقدمت من الداخل إلى الساحل وعسكرت حول الخليج الفاصل ، كانت من قبائل الزيمبا التى تنتمى إلى مجموعة الزولو ، وكانت فى زحفها قد هاجمت المراكز البرتغالية القائمة فى مواطن استخراج الذهب فى سناونتا بينما انطلقت مجموعات منها نحو الساحل وكان من المتوقع أن ينشغل البرتغاليون فى صدها فى الوقت الذى تتاح فيه الفرصة للمدن والموانى العربية فى شرق أفريقيا التعاون مع العثمانيين ولكن قبائل الزيمبا لم تقتصر فى هجومها على مناطق الساحل الجنوبى الشرقى وإنما استمرت فى زحفها نحو الشمال فوصلت إلى كلوه فى عام ١٥٨٧ ثم إلى ممبسة ، حيث وقع بك بين نارين مما سهل على البرتغاليين القبض عليه وتفريق قواته وأسره ، حيث أرسل إلى لشبونه وقيل إنه توفى بها بعد اعتناقه النصرانية ولم يخلص ساحل شرق أفريقيا من اعتداءات الزيمبا إلا بظهور قبيلة أخرى معادية لها وهى قبيلة سيجوجو Segeiu التى تمكنت من حصر إندفاعها[٢].

---

(١) د. جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الأفريقية ، ص ٧٤

(٢) د. جمال زكريا ، سابق ١٠٢ ، د. السيد رجب (ز) سابق ١٩ د. حسن أحمد محمود ، سابق ، ٤٨٧

ومن ناحية أخرى استعاد البرتغاليون نفوذهم على المدن والإمارات العربية فى ساحل أفريقية الشرقى بعد فشل المحاولة العثمانية لنجدة مسلمى هذه البلاد على أن المنافسات والخلافات بين القوى المحلية بالساحل سرعان ما عادت إلى الظهور. وفى عام ١٥٩٢ خرج سلطان ممبسة على رأس حملة لمواجهة مالندى.

وفى أثناء زحفه شمالا تعرض لهجوم السيجو وهم أصدقاء لسلطان مالندى وقتل فى هذا الهجوم سلطان ممبسة وثلاثة من أبنائه وفر من بقى على قيد الحياة من أفراد الحملة إلى ممبسة.

ويؤكد المؤرخ البرتغالى المعاصر دوس سانتوس ، أن السجيجو أسروا عدداً كبيراً من نساء ممبسة وشبابها وشيوخها ممن عجزوا عن الفرار إلى إدغال الجزيرة أحراشها ولما سيطروا على المدينة ألقوا القبض على وجهاء المدينة وكبار شخصياتها ووضعوا الجميع على ظهر سفينتين كانتا راسيتين بالجزيرة ، وأمروهم بالذهاب إلى مالندى.

وقد اتفق سلطان مالندى مع البرتغاليين على أن يسمح له بالإقامة فى ممبسة وأن يتولى حكم سكانها من العرب والسواحلين وأن يحصل على ثلث إيراداتها الجمركية.

واتفق كذلك على أن يقوم البرتغاليون ببناء الحصون فى الجزيرة وإنزال حاميات بها ، والإشراف على إيراداتها الجمركية وتوطين الرعايا البرتغاليين فيها ، وعلى وجه العموم ممارسة حقوق السيادة الكاملة عليها وهكذا انتقل مركز النفوذ البرتغالى من مالندى إلى ممبسة ونقل سلطان مالندى ، ويسمى حسن بن أحمد حاضرة ملكه إلى ممبسة ، وبدأ نفوذ هذه الأسرة المالندية الموالية للبرتغاليين ينمو فى ظل الحكم البرتغالى ، بل

لقد أخذ يطغى على نفوذ البرتغاليين الذين أحسوا بالخطر ، وبعث الحاكم البرتغالى العام فى جوا يستدعى السلطان لمقابلته ، ولكنه أحس بالخطر ورفض تلبيه دعوة الحاكم العام وفر الى المناطق الداخلية حيث لقى حتفه فولت الحكومة البرتغالية ابنه يوسف وكان فى السابعة من عمره ، ونقلته إلى جوا وعلمته تعليما برتغاليا وحولته إلى النصرانية وتسمى باسم دوم جيرونيمو شنجوليان Dom Jeronimo Chingulia على أن هذا السلطان لما شب عن الطوق وبلغ مبلغ الرجال حن إلى وطنه وعاد إليه وتحول إلى الإسلام وعول على أخذ الثأر لما لحق بأبيه[1] وأهله .

ثورة السلطان يوسف بن الحسن :

وفى شهر أغسطس ١٦٣١ انتهز يوسف فرصة أحد الأعياد البرتغالية فى ممبسة وانقض بنفسه على القائد البرتغالى بدرو ليتام دى جامبوا Pedto Legtamde Gamboa فقتله بيده وقتل معه زوجته وابنته والقس الذى كان يقيم الصلاة بالمعبد وصار يوسف بعد هذه الثورة السيد المتسلط والحاكم المطلق التصرف فى ممبسة ،

وفى غضون السنوات التالية كرس يوسف جهوده للجهاد ضد البرتغاليين فى البحر فراح يهاجم الملاحة البرتغالية فى المحيط الهندى وحاول اشعال نار الثورة ضد البرتغال على طول ساحل أفريقية الشرقى وطلب إلى أهالى المدن العربية الانضمام إلى ثورته .

كما حاول الاتصال بالعثمانيين للوقوف إلى جانبه ولكن لم تكن الظروف مواتية للعثمانين لمساندته ولو حدث ذلك لحققت هذه الثورة نتائج

---

(١) د. حسن ابراهيم حسن : سابق ص ١٨٢ ، د. حراز ، سابق ص ٢١

طيبة وتشير بعض المراجع إلى أن يوسف لما عاد إلى ممبسة وتسلم الحكم في عام ١٦٣١ سار بين الناس بالجور والظلم إذ كان يكرههم على أكل لحم الخنزير ، وكان على الجملة رجل سوء وشر .

ويبدو هذا التصرف أمراً محيراً ولكن يفهم من ذلك أن يوسف حاول بتلك التصرفات خديعة البرتغاليين حتى يثقوا به وبعد ذلك يعد العدة ، للثورة عليهم والإنتقام منهم وهذا ما حدث بالفعل[١] .

وليس ببعيد أن المؤرخين البرتغاليين هم الذين ألصقوا به هذه التهم لما قام به من ثورة عليهم . يؤكد هذه الظنون أن نهاية السلطان كانت غامضة حيث أنه في عام ١٦٣٧ وصلت أنباء الى جوا بأن يوسف قضى نحبه ، إما على يد قراصنة البحر طبقاً لإحدى الروايات أو وهو نائم في فراشه في جدة طبقا لرواية أخرى[٢] .

وبعدها أخذ البرتغاليون في الإنتقام من المدن العربية التي أعلنت تأييدها لثورة يوسف بن الحسن ، وقاموا بهدم أسوار تلك المدن وقتلوا الكثير من سكانها وفرضوا عليها الجزية .

وهكذا استعاد البرتغاليون نفوذهم على مدن شرق أفريقيا وعلى الشواطيء الغربية للمحيط الهندي من جديد ولكن لا يعني هذا أن البرتغاليين

---

(١) د. جمال زكريا قاسم : سابق ، ص ١٠٥ ، سعيد بن علي المغيري : جهينة الأخبار في تاريخ زنجبار ، تحقق عبد المنعم عامر ، ص ١٠١

(٢) د. حراز ، سابق ، ص ٢٢

قد نجوا من الأخطار فقد أخذت تفقد ممتلكاتها فى المحيط الهندى وبدأ الهولنديون والانجليز يحلون محلهم واحتل الإيرانيون هـرمز ونجح العمانيون فى التخلص من الاحتلال البرتغالى فى عهد الإمام سلطان بن سيف وطردوا البرتغاليين من مسقط ومن ساحل الجنوب العربى ولم يبق أمامهم إلا شرق إفريقيا(١) .

العمانيون وجهادهم فى شرق أفريقيا :

يعتبر العمانيون أول شعب عربى يقيم مستوطنات له على الساحل الشرقى لافريقية وقد مر بنا الحديث عن هجرة سليمان وسعيد ابنى الجلندى إلى هذا الساحل بعد هزيمتهم من جيش الخليفة عبد الملك بن مروان الذى أرسله إلى عمان ، كما أصبحت للعرب العمانية بعد ذلك مراكز على طول ساحل شرق أفريقيا .

ومن يقرأ كتاب جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار يرى أسماء كثير من القبائل العربية العمانية التى هاجرت إلى زنجبار وغيرها من مدن الساحل، كما يؤكد الأمير شكيب أرسلان فى مقدمته لكتاب «حاضر العالم الإسلامى» أن العرب العمانية قد أحرزوا الجزر والسواحل فى شرق أفريقيا وجاء البرتغاليون فانتزعوها من أيديهم عام ١٥٠٣ ثم استردها العرب العمانيون من البرتغاليين أيام الإمام سيف بن سلطان اليعربى فى سنة ١٦٩٤(٢) .

سكان الساحل يستنجدون بالعمانيين :

ومما يسترعى الإنتباه أنه فى الوقت الذى أخذ فيه البرتغاليون يتداعون

---

(١) د. حسن أحمد محمود ، سابق ص ٤٧٨

(٢) د. عبد المنعم عامر ، جهينة الأخبار المقدمة

كقوة بحرية بسبب المنافسة الشديدة من جانب الهولنديين والبريطانيين أخذ نفوذهم يزداد فى شرق أفريقيا وأصبح الوجود العربى الإسلامى مهددا بالزوال فى كثير من مقاطعات الساحل لولا أن قيض الله لدولة عربية ناشئة وهى دولة اليعارية أن تخرج البرتغاليين من هذه المنطقة من أفريقيا ففى عام ١٦٥٨ ثم طرد البرتغالين من مسقط على أيدى عرب عمان وشجع ذلك الإنتصار سكان الساحل الشرقى على أن يطلبوا مساعدة بنى دينهم وفعلا بعث حكام ممبسا وزنجبار وبات وغيرها إلى إخوانهم عرب عمان يطلبون المعاونة وهكذا بدأ تدخل عرب عمان فى الصراع العربى البرتغالى فى شرق أفريقيا واستطاعت دولة اليعاربة بعد جهود رائعة أن تحقق نجاحاً كبيراً فى تقويض السيطرة البرتغالية من شرق أفريقيا[١] .

ونشير بعض المصادر إلى أن الإمام سلطان بن سيف بعد أن وافق على مساندة مسلمى شرق أفريقيا أرسل فى عام ١٦٥٢ أسطولا صغيراً من مسقط لمساعدتهم فى طرد البرتغاليين . وقد هاجم وأحرق المستوطنات البرتغالية فى زنجبار وباتى وحدثت على ضوء نجاحه ثورات عامة فى كل المدن الساحلية ضد حكم البرتغاليين ولكن باستخدام الشدة والقوة أخمدت هذه الثورات وبقى الإحتلال البرتغالى قائماً[٢] .

وعادت عرب الساحل يطلبون من الإمام فى مسقط إرسال أسطول لمساعدتهم . وفى عام ١٦٦٠ عبر الإمام سلطان مرة أخرى المحيط الهندى، وبعد حصار طويل نجح فى الإستيلاء على ممباسة من البرتغاليين . ولم يكن

---

(١) د. أحمد شلبى ، ج٦ ص ٤٠٨ ، دونالد ويدنر ترجمة د. راشد البراوى : تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ص ١٤٧

(٢) أحمد حمود المعمرى سابق . ص ٦٥

ممكنا أن يبقى سيف طويلا فى الجزيرة وكان عليه أن يعود إلى عمان ، حيث كانت الاضطرابات قد اشتعلت فى غيابه هناك .

وما إن غادر السلطان ممباسة حتى أنزل البرتغاليون بأهل الجزيرة أشد العقاب ، كما أدى من ناحية أخرى إلى تصميم الأهالى على إنتهاز الفرصة المناسبة لتنظيم ثورة جديدة .

وقد أورد المؤرخ العمانى حميد الدين السالمى أعمال الإمام سيف وحروبه ضد البرتغاليين وكان مما ذكره « حارب الإمام النصارى فى ممبسة والجزيرة الخضراء وكلوه وباته وغيرها من البلدان التى بالزنج ومن البلاد التى بالهندى» كذلك أورد لنا السالمى بعض المكاتبات التى تبودلت بين البرتغالين والإمام سيف وكلها تنم عن روح التعصب والكراهية وخصوصا من جانب البرتغاليين[1] .

الإمام سيف بن سلطان ودوره :

وعندما تولى سيف بن سلطان حكم عمان عام ١٦٦٩ توفر على دعم الأسطول العمانى حتى صار قوة بحرية لا يستهان بها فى مياه الخليج العربى والمحيط الهندى .

وبفضل قوة أسطولهم وحماسهم الدينى وتعاون أهالى الساحل معهم تمكن العمانيون من مطاردة السفن البرتغالية فى سواحل الهند وأفريقية الشرقية . ويقال إن سيف بن سلطان قد أرسل عمارة بحرية تتألف من ثمان وعشرين سفينة كانت أحداها تحمل ثمانين مدفعا ، وذلك لطرد البرتغاليين من ساحل أفريقية الشرقى وخصص الإمام سبع سفن وثلاثة

---

(١) جمال زكريا قاسم العلاقات : سابق ، ص ٨٣

آلاف جندى لضرب الحصار على حصن يسوع ، وهو الحصار الذى استمر حوالى ثلاثة أعوام وانتهى باستيلاء العمانيين على الحصن فى ديسمبر عام ١٦٩٨ . ولم يمض عامان حتى كان عرب عمان قد غزوا كل الأقليم الساحلى من أفريقية الشرقية حتى كاوه جنوباً ، وخضعت بالتالى باته وبمبه وزنجبار وكاوه وغيرها لحكم أمام عمان[١] .

واضطر الإمام سيف للعودة إلى عمان حيث اهتم بتنفيذ عدد من المشروعات العامة ، خاصة إعادة تشغيل قنوات الرى (الأفلاج) وتشييد قنوات جديدة حيث كانت الحيـــاة فى عمان تعتمد على الأفلاج فى الزراعة[٢] .

وفى عهـــده أصبحت عمان دولة قوية وأصبحت الزراعة مصدرا لرخاء شعبه .

وبالنسبة لشرق أفريقية فقد أصبح حكم المدن الساحلية الهامة فى أيدى العرب العمانيين . فقد عين ناصر بن عبد الله المزروعى حاكما على ممباسة ، ووضعت زنجبار تحت حكم أسرة الحارث ، وأسرة النبهانين لحكم باتا .

وعندما سقطت أسرة اليعاربة فى عمان وقامت على إثرها أسرة بنى سعيد « البوسعيديين » اكتمل سلطان أئمة عمان على الساحل الأفريقى وعلى الجزر ، ولم يقبل البوسعيديون منافسات بين الأفراد وبخاصة أمراء المزروعين الذين حاولوا الاستقلال بجزيرة ممبسة[٣] .

---

(١) د . السيد رجب حراز ، سابق ، ص ٣٦

(٢) أحمد حمود ، سابق ٦٧

(٣) د. أحمد شلبى ، سابق ص ٤٠٨

ومن الجدير بالذكر أنه بعد أن استقر الحكم العماني في شرق أفريقية كانت ممباسة مقر الولاة .

وكان الأئمة اليعارية في عمان يرسلون ولاتهم متناوبين على ولاية ممباسة وغيرها من بلاد شرق أفريقيا ولما وصلت الأخبار بانتقال الإمامة إلى الإمام أحمد بن سعيد البوسعيدي عام ١٧٤١ عزم الوالي المزرعي على أن يستقل بملك ممباسة ومتعلقاتها وامتنع عن دفع الضريبة المفروضة التي كان يجب عليه أن يؤديها .

فأرسل إليه الامام أحمد قوة تعيده إلى الطاعة ، ووقعت مناوشات عديدة انتهت بمقتله والقضاء نهائيا على المزاريع وخضوع ممباسة وزنجبار والجزيرة الخضراء للبوسعيديين .

وفي سنة ١٨١٨ وجه السيد سعيد بن سلطان همته إلى أفريقية الشرقية فسافر من مسقط في أسطول ضخم ، وسار به يمخر عباب البحر ميمما وجهه صوب ممباسة ولما وصلها ترك في قلعتها حامية من جنده ، وسافر إلى زنجبار، فشاهد لأول مرة هذه الجزيرة الجميلة واستقبله أهل زنجبار بالمزيد من الحفاوة والترحاب وقد رأى بثاقب فكره ، أن يتخذ زنجبار مقراً له وعاصمة لمملكته ، ووجه همته لرفع شأنها فزرع فيها شجرة القرنفل ، التي اشتهرت بها زنجبار في جميع أنحاء العالم[1] .

وتشير بعض المصادر إلى أن الأحداث التي وقعت في عمان بعد وفاة الامام أحمد بن سعيد كان لها أثر كبير في مقاطعات شرق أفريقيا ، إذا كان للمنازعات الأسرية التي قامت في عمان خطورتها بالنسبة لممتلكات

---

(١) عبد المنعم عامر ، جهينة الأخبار . . ص ك

الدولة فى تلك الجهات وظلت الأمور على هذا المنوال حتى إذا ما تولى سعيد بن سلطان الحكم (١٨٠٦ - ١٨٥٦) .

اتخذ لنفسه سياسة أفريقية واضحة المعالم وذلك لحرصه البالغ على هذا الجزء من دولته لكثرة موارده ، ووفرة ، خيراته وحمايته من الأطماع الأوربية التى بدأت تلوح فى الأفق بعد رحيل البرتغاليين[١] .

وقد أدى قرار السيد سعيد باتخاذ زنجبار عاصمة له والاقامة فيها إلى نقل السلطة فبدلا من أن يحكم شرق أفريقية من عمان فإنه بدأ يحكم عمان من شرق أفريقية وقد اتخذ ذلك القرار على الرغم من أن ممباسة وكلوا كانتا فى ذلك الوقت أكثر أهمية من زنجبار لكن السبب الرئيسى فى احتياره - كما أسلفنا - يرجع إلى موقعها الرائع فهى تقع على مسافة بضعة أميال من الساحل الشرقى ، وكانت زنجبار تتمتع بإمكانات التحول إلى مركز رئيسى للتجارة فى شرقى أفريقيا كلها .

وكانت هناك أسباب أخرى أملت على السيد سعيد اتخاذ زنجبار عاصمة له . فمينه زنجبار بها موانى عميقة تصلح لرسو السفن الضخمة ، كما أن الجزيرة بها موارد لا تنفد من مياه الشرب النقية ، لا مثيل لها على خط الساحل بأكمله وكان يعرف أن ذلك سيجذب كثيراً من السفن المارة وهو ما ينعش التجارة . ثم إن زنجبار كانت منطقة خصبة جداً ، ولا شك أن ذلك كان له أكبر الأثر على السيد سعيد الذى كانت له اهتمامات كبيرة بالزراعة[٢] .

---

(١) د . جمال زكريا : الأصول التاريخية . . ١١٩ د. السعيد رزق حجاج سابق . ص ٦٧ .

(٢) أحمد حمود ، سابق ، ص ٧٤ ، د. أحمد شلبى ، سابق ٤٠٩

إصلاحات السيد سعيد فى زنجبار :

بدأ السيد سعيد فترة حكمه الزاهرة ببناء أسطول ضخم يضم بعض الطرادات والمدمرات ليحمى طرق المواصلات بين بلاده وبلاد العرب ، ويقضى على اغارات القراصنة ويؤمن سبل الملاحة ، ويحقق مشروعاته التجارية التى تأتى من الموارد الكثيرة التى تغنيه عن فرض الضرائب المباشرة . وكان يصدر السلع إلى مصر وبلاد العرب وإيران والهند .

وقد شجع السيد سعيد بن سلطان تجار الهند وصيارفتهم الذين كانوا يقبضون على زمام التجارة فى الشرق الأقصى وكان بجزيرة زنجبار وحدها نحو ألف من هؤلاء التجار كانوا ينعمون بحمايته ويقومون بشعائر دينهم وقد أعفاهم السيد سعيد من الرسوم الجمركية وعهد إليهم بشئونه المالية : كما وفد على زنجبار كثير من مسلمى الهند الذين نعموا بنفس المعاملة الطيبة . ولم تكد تخلو مدينة من مدن شرق إفريقيا من أفراد الجالية الهندية الذين انتعشت تجارتهم واقتنوا الثروات الضخمة وزاد عددهم حتى أربى على ستة آلاف سنة ١٨٦٠ . وقد أعفاهم السيد سعيد من القيود الجمركية وشجع التجارة ولم يحتكر أية سلعة من السلع ، كما ضرب سكة حديدية لتسهيل التنقل داخل البلاد [١] واتخذ إجراءات هامة تساعد على رواج التجارة فى زنجبار من أهمها .

أولا : شجع تصدير الحاصلات الأفريقية الرئيسة التى تجلب من المناطق الداخلية مثل العاج والصمغ وجوز الهند وزيت النخيل وكذا الرقيق ، فنظم القوافل بين الساحل والمناطق الداخلية .

---

(١) سعيد بن على المغيرى ، جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار ص ص ١٣٩ - ١٤٢

ثانيا: أنشأ طرقا جديدة للمواصلات وأنشأ طرقا جديدة للمواصلات، كما أنشأ مدنا جديدة، وقد امتدت هذه المشروعات إلى تنجانيقا ونياسالاند وكينيا.

ثالثا: البحث عن أسواق جديدة بعد أن كانت هذه الأسواق مقصورة على ساحل المحيط الهندى الممتد من عدن إلى بمباى وعلى مصر وبلاد العرب وقد رأى كذلك أهمية أسواق أوربا وأمريكا لرواج تجارة بلاده فرحب بالتجار الأوربين والأمريكين الذين زاروا زنجبار وعقد معاهدات مع الولايات المتحده (١٨٢٣) وبريطانيا (١٨٣٩) وفرنسا (١٨٤٤)

رسمم بانشاء قنصليات لهذه الدول. وفى السنة التى مات فيها السيد سعيد كانت أسواق أوربا وأمريكا تستهلك أكثر من ثلث منتجات إفريقيا المارة بزنجبار.

وقد أثمرت هذه السياسة فتضاعفت التجارة الداخلية والخارجية وزاد عدد السفن الوافدة على زنجبار حيث دخلت ميناءها تسعون سفينة أوربية وأمريكية فى سنة ١٨٥٧، كما أخذ السيد سعيد يتجر مباشرة مع أوربا ويرسل سفنه إلى مرسيليا ولندن وغيرهما، وكان من أثر ذلك أن نمت مدينة زنجبار وازدهرت بعد أن كانت فى القرن الثامن عشر مجرد قرية، واستطاع سعيد أن يجعل زنجبار ناشئة دولة تجارية فى المحيط الهندى (١).

ويمكن القول أنه بتلك الخطوة الهامة التى أقدم عليها العمانيون تبدأ المؤثرات الفعالة فى تاريخ زنجبار والشرق الأفريقى بصفة عامة إذ وفد معه عند انتقاله إلى زنجبار مئات من عرب عمان والجزيرة العربية، وازدهرت التجارة وانتعشت بقدومهم إلى درجة لم تكن معهوده من قبل.

---

(١) د. حسن إبراهيم حسن: سابق فى ص ٢٠٤ - ٢٠٥.

ولا شك أن تزايد التبادل التجارى على الساحل قد شجع التجارة الداخلية فكثر عدد القوافل التى تتردد على داخل القارة لجلب العاج والصمغ . وكان السيد سعيد مقتنعاً بأن اكتشاف داخل القارة لا بد وأن تعود بالثراء على الساحل ، ومن ثم شجع أعداداً من العرب الذين جاءوا معه من عمان على اجتياز الطرق التجارية القديمة وتم تنظيم رحلات دورية للقوافل وصل نشاطها إلى البحيرات ، وشاهد ليفنجستون السفن العربية تجوب بحيرات أفريقيا الوسطى مثل بحيرة فيكتوريا وتنجانيقا ونياسا ، كما أنشئت محطات عربية فى المراكز الهامة الواقعة على الطرق التجارية حيث كانت القوافل تتزود بحاجتها من المؤمن وتخزين البضائع فى مستودعات خاصة تحت حماية جماعات مسلحة بالبنادق(١) .

وقد شاهد الرحالة الأوربيون القوافل العربية فى العقد السابع من القرن التاسع عشر وهى تتوغل غرب بحيرة تنجانيقا إلى مساحة مائة ميل فى القسم الشرقى من حوض الكنغو إلا أن هذا التوغل بدأ على ما يبدو فى نهاية حكم السيد سعيد .

والواقع أن وجود هذه المراكز العربية وسط محيط أفريقى كان يجعلها أشد تمسكا بالتبعية لسلطان زنجبار لا سيما وأن هذه التبعية لم تكن تكلف سكانها شيئــاً من الناحية المادية اللهم إلا بعض الهدايا التى كان يحملها رؤساؤهم إلى الإمام حينما يذهبون إلى العاصمة .

وهكذا يتضح أنه على طول طرق القوافل كان كبار التجار العرب

---

(١) د . جاد محمد طه . دور بريطانيا وألمانيا فى تفكيك سلطنة زنجبار ، من كتاب العلاقات العربية الأفريقية ص ١٠٠ .

بروحون وبجيئون ، فى حين استقر صغار التجار فى العواصم الأفريقية وانتهى الأمر بأن امتد نفوذ سلطان مسقط إلى كل ركن تقريباً فى شرق أفريقيا ووسطها ، وطبقت شهرته المنطقة الممتدة من المحيط الهندى إلى الكنغو حتى لقد أصبح من الأقوال الشائعة قولهم إذا نفخ زامر فى زنجبار رقص الناس على أنغامه فى البحيرات(١) ،

وفاة السعيد سعيد وأثرها :

ظلت الممتلكات الأفريقية والآسيوية لعمان تحكم كسلطنة واحدة من جانب السيد سعيد حتى وفاته فى أكتوبر على عام ١٨٥٦ فنشأ منذئذ نزاع أسرى على حكم هذه الممتلكات بين ابنى السيد سعيد ثوينى وماجد .

وعندما توفى السيد سعيد نازع ثوينى أخاه فى حكم القسم الأفريقى الذى كانت موارده تبلغ ضعف موارد القسم الآسيوى من السلطنة وطالب بتوحيد السلطنة بشقيها الآسيوى والأفريقى تحت حكمه وبرر ثوينى مطلبه : أولا بأن والده حينما عينه هو حاكما على مسقط وعين أخاه ماجداً حاكماً على زنجبار ، لم يكن يعنى وقتئذ أن تقسم السلطنة بينهما عند وفاته ، بل أن يهيء لكل منهما الفرصة لممارسة شئون الحكم والإدارة وثانياً : أن التقاليد العربية لا تخول والده بصفته حاكماً على مسقط الحق فى فصل أفريقية الشرقية عن عمان ، بل إن البت فى هذا الموضوع الخطير من حق الشعب العمانى وحده ، وأنه أى ثوينى قد غدا الحاكم الشرعى للسلطنة العمانية كلها بعد أن بايعه الشعب العمانى بالامامة على « الوطن الأم » : وثالثاً أن المبلغ السنوى الذى كان يدفعه ماجد لثوينى ومقداره ٤٠٫٠٠٠ ريال والذى اعتبره الأخير نوعاً من الجزية ، ليس سوى اعتراف ضمنى ورسمى

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٠ .

بخضوع زنجبار لمسقط(١) .

موقف بريطانيا من تقسيم السلطنة :

انتهزت بريطانيا فرصة وفاة السيد سعيد لكى تحقق الفصل النهائى بين الاقليمين إذ كانت ترى فى وجود سلطنة عربية كبيرة فى الجزء الجنوبى الغربى من المحيط الهندى خطراً يهدد مصالحها الحيوية على طرق مواصلاتها الامبراطورية إلى الهند ، ولذلك حرصت على تحقيق ذلك الفصل السياسى بين ممتلكات السلطنة .

وقد حاول توينى بالفعل إعادة توحيد السلطنة ، وبدأ فى إعداد حملة سنة ١٨٦٩ لارسالها إلى زنجبار ، إلا أن السلطات البريطانية فى الهند أسرعت بإرسال الكولونيل رسل Rusel أحد ضباط البحرية الهندية لكى يوقف تقدم الحملة ، و استطاع رسل أن يصل إلى مسقط بعد أن أغلق الأسطول البريطانى الطريق فى وجهه(٢) .

ومن ناحية أخرى أقنعت بريطانيا كلا من ثوينى وماجد بعرض خلافهما على لورد كاننج حاكم الهند العام ، وحصلوا من كل منهما على عهد مسبق بقبول تحكيمه ، وفى مارس عام ١٨٦٠ أصـــدر كاننج أمراً بتشكيل بعثة للتحقيق برئاسة البريجادير كوجلان W . M . Coghlan وعضوية كل من المستشرق الدكتور بادجر G. P . Eader المتخصص فى تاريخ عمان والدكتور ولش Welsh وغيرهما(٣) .

---

(١) د . حراز : سابق ص ١١٦ .
(٢) د . جمال زكريا ، سابق ، ص ٢١٦ ، م جاد طه : سابق ص ١٠٢ .
(٣) د . حراز ، سابق ، ص ١٢١ .

والذى يعنينا فى هذا المقام أن كاننج أصدر فى ٢ أبريل عام ١٨٦١ تحكيمه المشهور الذى قبله ثوينى فى ١٦ مايو وماجد فى ٢٥ يونية من العام نفسه ، والذى كان ينص على أن يعين ماجـــد سلطاناً على زنجبار وأملاك أبيه الأفريقية ، وأن يدفع سلطان زنجبار لسلطان مسقط إعانة سنوية تبلغ حوالى ٤٠٫٠٠٠ ريال (حوالى ٨٫٠٠٠ جنيه إنجليزى ، وأن يدفع ماجد لثوينى متأخر هذه الاعانة عن العامين الماضين وقيمته ٨٠٫٠٠٠ ريال .

وبقبول ماجد وثوينى للحكيم البريطانى تثبت كل منهما فى سلطنته السيد ماجد سلطاناً لزنجبار وتوابعها الأفريقية ، والسيد ثوينى سلطاناً لعمان أو مسقط وملحقاتها فى الخليج العربى ، وظل منذئذ عرشاً زنجبار ومسقط منفصلين ونجحت السياسة البريطانية فى تحقيق أغراضها وإضعاف السلطنة العربيه الكبرى فى جنوب شرق الجزيرة العربية الكبرى وشرق أفريقيا [٣] ، وخضعت زنجبار بعد ذلك للنفوذ البريطانى انتهى مرحلة زاهره فى تاريخ زنجبار اقترنت بالكثير من الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة والثقافية لتبدأ مرحلة أخرى عانت فيها زنجبار من الاحتلال البريطانى وتنجانيقا من الاحتلال الألمانى [١] .

ويتضح من سياق الأحداث أن السياسة البريطانية كانت ترمى منذ بادىء الأمر إلى تثبيت تقسيم سلطنة مسقط وزنجبار بل أنها كانت تعترض على أية محـــاولة من جانب زنجبار لضم مسقط إليها فى عام ١٨٦١ حتى لا تؤدى مثل هذه المحاولة إلى إعادة للسلطنة المتحدة مرة أخرى كما كانت أيام السيد سعيد بن سلطان مؤسس سلطنـــة مسقط وزنجبار ، فكان الابقاء على الوضع الراهن (الانفصال) هو الذى أدى ببريطانيا إلى

---

(١) د. حسن أحمد محمود : سابق ص ٥٠١ :

مساندة السيد سالم وأخية ماجد على الرغم أن الأخير كان شديد الولاء لها، وأن الأول ـ وخاصة فى الأيام الأولى بحكمة لم يكن واضحاً فيما إذا كان سيتخذ سياسة متمشية مع المصالح البريطانية أم أنه سيتخذ سياسة مناوئة لها ولكن تطور الأحداث فى منطقة الخليج جعله يلجأ إلى قوى خارجية تدعم حكمه ، فهو يواجه عداء أسرته فى مسقط ، وتالب القبائل عليه ، وكان ضرورياً أن يكون هناك تنسيق وتعاون بين القوى الاسلامية المختلفة فى المنطقه ، وأن يلجأ السيد سالم إلى السعوديين كى يدعموا موقفه طالما أن الحكومة البريطانيه تساند سلطان زنجبار .

وكان رأى وزارة الهند منع مثل هذا التعاون لأنه يتعارض مع المصالح البريطانيـة فى شرق أفريقيا ومنطقة الخليج العربى . ومن هذا المنطلق ظلت السياسة البريطانيه تعمل على تثبيت الانفصال بين شطرى السلطنة التى أقامها السيد سعيد بن سلطان مما قضى على أى أمل فى إمكان ضم القسمين وإقامة تلك السلطنة العربية الأفريقية يضاف إلى ذلك أن بريطانيا استغلت معاهدات منع تجارة الرقيق لكى تقضى على الاتصالات البحريه بين مسقط وزنجبار مستخدمة فى ذلك المعاهدات[١] :

وفى ١٠ مارس عام ١٨٦٢ صدر فى باريس تصريح ثنائى من جانب الحكومتين الفرنسية والبريطانية ، اللتين تأخذان فى اعتبارهما أهمية تاييد استقلال كل من سلطان عمان وسلطان زنجبار ، تعهـدتا فيه باحترام استقلال كل من هذين الحاكمين العربين .

والذى يعنينا فى هذا المجال أن الحكومة البريطانية لجأت إلى الكثير

---

(١) د. جاد طه : العلاقات العربية الأفريقية ، سابق ص ١٢٢ .

الأساليب الملتوية لتفرض سيطرتها على شرق أفريقيا كلها . كما أن نجاح خطتها فى الفصل بين مسقط وزنجبار لا يعنى قطع العلاقات نهائياً بين السلطنتين فإن كثيراً من العرب فى شرق أفريقيا لم ينسوا وطنهم الأصلى . وحينما أسقط حكم البور سعيد فى زنجبار ، بعد أحداث يناير سنة ١٩٦٣ الداميه وتعرض العرب لاضطهاد الحكومه الشيوعيه وكذلك لاضطهاد حكومة تانزانيا بعد ضم الجزيرة إلى تنجانيقا لم تجد الجالية العربية هناك ملجأ سوى عمان . وقدر عدد اللاجئين ببضعة آلاف[١] .

واستمرت عمان هى المصدر الثقافى الذى يغذى مسلمى كينيا وتنجانيقا برجال القضاء والعلوم الدينية على المذهب الأباضى[٢] .

---

(١) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى : الانجلو ١٩٨٣ ، ص ٣٤ .

(٢) يعزو مؤرخو الفرق الاسلامية المذهب الأباضى إلى إحدى للفرق التى ينقسم إليها الخوارج ، ولو أن الأباضيين لا يقرون صحة هذه النسبة ، ويؤكدون أن خروجهم لم يكن على الامام على بن أبى طالب ، بل على الأمويين ، وهم يشيرون بذلك إلى ثورة عبدالله بن أباض على الخليفة الأموى عبد الله بن مروان والأباضية عقائدهم وشرائعهم التى تتفق بوجه عام مع السنه ولا تختلف عنها إلا فى مسائل طفيفة . ويعترف الأباضيون بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف كمصدر للعلوم الدينية ، ولكنهم يقولون « بالرأى » بدل الإجماع والقياس وبعد أثر قمع ثورة عبد الله بن أباض اتخذ أتباعه من عمان ملجأ لهم . وقد وجدت الحركة الأباضية فى عمان تربة خصبة حتى أصبحت بتوالى الزمن المذهب السائد هناك ، ومن عمان انتشرت الأباضية فى شرق أفريقيا وشمالها . وقد أقر مؤتمر الفقه الاسلامى أخيرا الفقه الأباضى باعتباره مكملا للفقه الاسلامى .
د. رجب حراز ، سابق ص ٣٤ .

بريطانيا وتجارة الرقيق في زنجبار

ما زال الخلاف دائراً حول أهداف بريطانيا من مكافحة تجارة الرقيق فيدعى معظم المؤرخين الإنجليز - بالطبع - أن العوامل الانسانية كانت تحتل الدرجة الأولى ، لكن الشائع عند غيرهم هو أن بريطانيا حققت من وراء ذلك مكاسب اقتصادية وسياسية . وتتمثل المصلحة الاقتصادية فى أن الاستعمار أخذ يتوغل فى القارة الافريقية إبان القرن التاسع عشر فمن مصلحة بريطانيا كدولة مستعمرة أن تبقى اليد العاملة فى مستعمراتها وألا تسمح بنقلها إلى الخارج ، ومن الناحية السياسية كانت الاتفاقات التى تعقد بين بريطانيا من جهة والدول الأوربية أو الآسيوية والأفريقية من جهة أخرى تمنح الأسطول الحربى البريطانى حق التفتيش على سفن الدول المتعاقدة ، مما أكسبه نفوذاً اعظم فوق البحار(١) .

وتعتبر مناقشة مسألة تجارة الرقيق فى شرق أفريقيا من المسائل بالغة الحساسية والدقة لا سيما وقد نشطت الدعاية الأوربية المعادية للاسلام باقناع أهالى تلك البلاد بمسئولية العرب عن هذه التجارة غير الانسانية .

ولقد نجحت هذه الدعاية إلى حد كبير فحققت للأوربين أهدافهم السياسية فى المنطقة ، وزرعت الكراهية العنصرية والدينية فى عقول الكثيرين من أهالى البلاد .

---

(١) د . صلاح العقاد : التيارات السياسية ، سابق ص ١٦١ .

(٢) أحمد حمود ، سابق ، ص ٨٩ .

وفى الحقيقة . فإن هذه التجارة الأوربية كانت عملا بشعاً شارك فيه هؤلاء الأوربيون ، وتورط فيه كثير من الناس[1] بما فى ذلك الأفريقيون أنفسهم ، وعلى الرغم من كل المبررات التى يحلو للبعض أن يتحدث عنها إلا أن الحقيقة المؤكدة أن هذه التجارة كانت سبة فى جبين الحضارة نفسها كما أنها كانت شيئاً للذين زاولوها منتهكين المبادىء الانسانية وعلى الرغم من أن البرتغاليين والفرنسيين والأسبان والبريطانيين — أنفسهم — قد شاركوا فى تجارة الرقيق وحققوا منها ثراءاً ، فإن العرب هم الذين انصبت عليهم الانتقادات لحاجة فى أنفس هؤلاء المؤرخين .

وكانت المرحلة الأولى بعد وصول البرتغاليين هى الاكتفاء بإقامة محطات على الساحل ، يشترون فيها حاصلات أفريقية من الأفريقيين أو العرب الذين يجلبون هذه الحاصلات من قلب القارة : لكن المستعمرين سرعان ما اكتشفوا سلعة أكثر رواجاً وأوفر ربحاً ، هى سلعة البشر والتجارة ببنى الانسان . وعلى هذا فقد سرق الأوربيين الأرض والجهد والحاصلات ثم اتجه لسرقة الانسان ذاته .

وموقف الاسلام من الرق معروف حيث عارضه معارضة شديدة ، حرر عقل الرقيق وقلبه تحريراً تاماً من أول لحظة ، ووقف من عبودية الجسم موقفاً حاسماً . ضيق المدخل للرق ، وأفسح المخرج منه وحث على إقرار نظام يطابق حديث الرسول عليه السلام « شر الناس من باع الناس » وذلك للقضاء على الرق قضاء تاماً ، كما حدد للرقيق حقوقاً عظيمة تمهيداً لاختفاء الرق نهائياً[1] .

---

(١) د/ أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي جـ ٦ ، ص ٤٣٤ .

ولقد عرفت الأمم القديمة فى حضارتها أنواعاً من الرق ، كالأمة الإغريقية التى أنجبت سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ممن تركوا أثراً فكرياً ضخماً فى حياة الأجيال البشرية ، فأرسطو يوجب وجود الرق حين يقول « لا يزال فى العالم أناس مخلوقون للسيادة وآخرون للخدمة والطاعة وحكمهم فى ذلك حكم الآلات الحية التى تساق للعمل ولا تدرى ما تساق إليه » .

أما أفلاطون فإن جمهوريته لا يقوم بناؤها إن لم يكن فيها رقيق يقوم بالأعمال الشاقة ، فيقول : « كلكم إخوان فى الوطنية ولكن الإله الذى خلقكم وضع فى طينة بعضكم ذهباً يمكنهم أن يكونوا حكاماً فهؤلاء هم الأكثر احتراماً ، ووضع فى طينة المساعدين فضة ، أما العبيد لأن يكونوا زراعاً وعمالا ، فقد وضع فى طينتهم نحاساً وحديداً .

والرقيق عند الرومان كان يعتبر شيئاً لا شخصاً ، وعلى ذلك فليس له — على عكس الحر — أسرة واتصاله بالنساء لا يعتبر قانونياً ، وليس من حقه الامتلاك أو الاستدانة أو التسليف أو الوراثة شأن الرقيق شأن الحيوانات ، والجمادات التى يمتلكها السيد . ويقال إن قيصر روما عندما فتح بلاد الغال واستولى على مليون أسير وضرب عليهم الرق ، هبط سعر الرقيق حتى صار الواحد منهم لا يساوى أكثر من عشرة قروش بالعملة الحالية[1] .

وبصفة عامة عرف الرق عند الفرس واليهود والنصارى والعرب أيضاً فالرق كان روح كل العصور قبل تحريمه ، وعرفته القبائل الأفريقية فيما بينها ، وكان أساسه أسرى الحرب .

---

(١) د. محمد عبد الغنى سعودى: قضايا أفريقية ، ١٩٨٠ . ص ص ٩٢-٩٣ .

ومع طلائع الاستعمار الأوربي ومجيء البرتغاليين إلى أفريقيا بدأوا يبحثون عن الربح فى أى مكان وبأية صورة ، أحسوا أن تجارة الرقيق ستضفى عليهم ما يسعون له من ثراء ، فمارست البرتغال تجارة الرقيق بأفريقية منذ منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ، وكان البرتغاليون على هذا الأساس أول من ابتدع هذه التجارة البشرية فى التاريخ الحديث وينسب إلى « الونزوجوفر » البرتغالى أنه كان أول من بين لأبناء جلدته فى عام ١٤٢٤ أن فى إمكانهم أن يجعلوا من الأفارقه سلعة يتاجرون بها .

ثم نقل الهولنديون عن البرتغاليين ممارستهم لهذه التجارة ، وأخيراً أخذ التجار الفرنسيون والانجليز والدانمركيون والأمريكيون يتنافسون فى سرقة الرجال والنساء والأطفال ، وإخراجهم من أفريقيا وبيعهم فى العالم الجديد ، ولمدة ثلاثمائة عام ظلت القارة الأفريقية تنتهك حرمتها وتدمر مقدساتها وتفسد أخلاق حكامها وأهليها ، وتشوه حياتها الاجتماعيه وتنهار صناعاتها حتى غرق جزء كبير من القارة فى غياهب الظلمات والجهل ولم تفق منها تماماً حتى الآن[١] .

وأما عن حجم المفقود السكانى من أفريقيا نتيجة استنزاف الرقيق فهو تقديرى وتقدر بعض المصادر هذا العدد بين ٣٠ ، ٤٠ مليون نسمة فى الأربعة قرون السابقة على تحريم تجارته دولياً ، وهؤلاء يشملون من وصلوا أحياء إلى العالم الجديد فضلا عن الذين قتلوا فى أفريقيا نتيجة الاغارات وعمليات القنص البشرى[٢] .

---

(١) د. أحمد شلبى : المرجع السابق ، ص ٤٣٦ .

(٢) د. السعيد رزق حجاج : الاستعمار الأوربى فى أفريقيا وآسيا ، سابق ص ٤٤ .

وقد نقلت كل من بريطانيا والبرتغال نحو ثلث الشحنات ونقلت هولندا نحو ١٨٪ وفرنسا ١٢٪ بينما كان نصيب الولايات المتحدة الأمريكية ٥٪ وكانت السيطرة للبرتغال على تجارة الرقيق فى القرنين الخامس عشر والسادس ولهولندا خلال ثلاثة أرباع القرن السابع عشر ولبريطانيا فى الفترة من ١٦٧٢ ، ١٨٠٨ وبعد ذلك كانت السيادة لسفن الولايات المتحدة وأسبانيا وفرنسا والبرازيل .

وقد تفاوتت أسعار الرقيق بسبب المنافسة الحامية بين التجار الأوربين. ففى نهاية القرن السابع عشر كان القباطنة يدفعون ما قيمته خمسة جنيهات للرأس ارتفعت إلى ١٧ جنيهاً عام ١٧١٢ وقد حققت هذه التجارة غير المشروعة أرباحاً خيالية فاقت ما حققته تجارة الذهب والعاج وغيرها من السلع الأخرى .

ولقد أنهكت تجارة الرقيق أفريقيا وأدت إلى تأخرها ولاسيما المناطق الساحلية . وعلى الرغم من الأساليب غير الإنسانية التى استخدمت فى القبض على هؤلاء العبيد وتقييدهم بالسلاسل ومعاملتهم بقسوة ووحشية . على الرغم من ذلك فلم تعترض عليها الهيئات الدينية سواء كانت الكنيسة الكاثوليكية أو الانجليكانية أو البروتستانتية ، بل على العكس من ذلك بحثت عن مبررات لها بواسطة نصوص من العهد القديم وضرورة تنصير الوثنين وظلت هذه التجارة معترفا بها من الجميع[1] حتى بدأت حركة معارضة لها فى انجلترا فى القرن الثامن عشر.

ومن الطريف أن بعض القبائل الأفريقية تأثرت بهذا النوع بهذا النوع الجديد من الصراع صورة مختلفة فقد نشطت بعض القبائل فى أنجولا فى ميدان النخاسة لحسابها الخاص .

---

(١) شارل أندريه جوليان : تاريخ أفريقية ، ص ٩٩ .

وكذلك بعض القبائل فى موزمبيق وروديسيا وغيرها حيث كانت هذه القبائل تحصل على الأسلحة النارية ثم تنقلب مغيرة على غيرها أملا فى بيع أسرارها .

وهكذا إنتشرت النخاسة إنتشاراً ذريعاً كالأمراض الوبائية وخاصة فى المناطق التى شهدت صراعا مستمراً بين هذه القبائل الأفريقية .

وقد ذكر المكتشف المعروف « ريتشارد بيرتون » أنه لكى تتمكن قافلة جلابة واحدة من سبى خمس وخمسين امرأة دمرت عشر قرى على الأقل عدد سكان كل منها بين مائة ومائتى نسمة وسقط الكثيرون منهم قتلى أثناء الاشتباكات ومات أكثر القتلى أثناء سوقهم إلى الساحل أما الذين فروا بحياتهم فلم يكن مصيرهم أفضل إذ أن تدمير مساكنهم ومختزن غذائهم تركهم فريسة للهلاك بالجوع أو المرض .

العرب والرقيق :

أفاضت الكتابات الغربية عن دور العرب فى تجارة الرقيق وكانت هذه هى حجة التدخل الأجنبى الرئيسية ، وقديما وهذه قضية تاريخية ولكن الواقع أنها إحدى القضايا المسببة للتوترى العنصرى فى زنجبار المعاصرة ، والتعليم والدعاية فى زنجبار مازالا يعتبران أن ثورة ١٩٦٤ قامت ضد العرب « الذين احترفوا النخاسة وخطف السكان المحليين وتصديرهم إلى كافة أنحاء العالم » وهى الحجة التى يستخدمها دعاة التنصير كوسيلة للإساءة إلى العرب المسلمين .

والزائر لزنجبار الحديثة لابد أن يزور تلك الكنيسة القديمة المقامة فى إحدى الميادين ، ويمضى المرافق شارحا . . هنا كان سوق الرقيق الذى

أغلق في يونيو ١٨٨٣ ، وأقيمت على موقعة كنيسة بناها أحد الأساقفة ، وصنع الصليب القائم على يسار الهيكل من خشب الشجرة التى حددت مكان وفاة « ليفنجستون » ويمضى الزائر فيجد إلى جوار الكنيسة اقصر مهيبا ذا طراز عربى هو قصر السلطان برغش بن سعيد ويطلقون عليه اليوم « قصر العجائب » والقصر مزدحم باللوحات التى تصف المعـــاناة والوحشية التى تعرض لها الرقيق أثناء بيعهم فى سوق الرقيق . وتؤكد هذه الرسوم أن العرب « وحدهم » تقع عليهم مسئولية هذه التجارة(١) .

وها هو الكاتب الأمريكى جون سبيريز يقرر فى كتابه « تجارة الرقيق الامريكية » أن الذين كانوا يستغلون أفريقيا كمورد لـ « سلعهم » كانوا من البرتغاليين والأسبان ثم الانجليز والفرنسيين والأمريكيين ،وإذا وجد ثمة عرب اشتغلوا معهم ، فقد كانوا وسطاء أو مساعدين أو أدلاء لارشادهم إلى داخل أفريقيا التى كانت مجهولة لديهم » ومعروف تاريخيا أن المصدر الرئيسى الرقيق كان غرب أفريقيا وليس شرقها وقام به الأوربيون وليس العرب ومما يؤسف له تماماً أن نجد بعض الأفريقين يرددون مقولة بعض الكتاب بأن العرب هم أرباب النخاسة وهم تجار الرقيق الذين ساقوا أجدادهم بالسياط . . يرددون هذا وكان إلصاق هذه التهمة بالعرب دون خلق الله جميعاً حقيقة لا جـدال فيها وكأنها لم تكن معروفهمنذ القدم .

نحن لا ننكر أن الرق كان معروفا لدى العرب فى الجاهليه ولم يكن يقتصر على الرقيق الأفريقى بل كان هناك الرقيق الأبيض الذى كان يأتيهن بواسطه التجار الأوربيين و لآسيويين مما وراء القوقاز .

وهناك بعض الكتاب المنصفين الذى يتحدثون عن « حسن معاملة العرب لهؤلاء الرقيق بقولهم « إن من محامد العرب فى هذا السبيل أن

(١) د . السيد رزق حجاج : سابق ، ص ٤٥ .

العلاقة بينهم وبين رقيقهم كانت إنسانية إلى حد بعيد بحيث يعجز الإنسان أن يميز الواحد منهم عن سيده[١] .

يضاف إلى ذلك كما أسلفنا علاقة الإسلام بالرق وحرصه على توسيع المنافذ التى تؤدى إلى التحرير والعتق كما عمد الاسلام إلى طائفة كبيرة من من الجرائم والأخطاء التى يكثر حـــدوثها وجعل كفارتها تحرير الأرقاء بجملة تكفيراً للقتل الناشىء عن خطأ قال تعالى :

(وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبه مؤمنة) .

وكان الرقيق فى البلاد العربية يعد جزءاً من الأسرة فى كثير من الأحوال وقد عبر الشاعر العربى عن ذلك بقوله :

ما هـو عبد لـكنه ولد خولينه المفرد الصمد

وهناك ملاحظة لها وجاهتها وهى أن تجارة العرب فى شرق أفريقيا كانت تقوم على جهود فردية أما تجارة الأوربيين فى ميدان الرقيق فكانت تقوم على خطط محكمة لاستغلال الثروة البشرية أسوأ استغلال[٢].

وما نود أن نقرره أن أقصى ما كان يصل إليه الرقيق الأفريقى هو الجزيرة العربية وسواحل الخليج حيث ينقل إلى بعض المقاطعات الفارسية وبأعداد قليلة لا يمكن مقارنتها بأعداد الذين كانوا يساقون فيها من غرب أفريقيا إلى مزارع الأمريكيين عبر مياه الأطلنطى[٣] .

(١) مجلة العربى الكويتية العدد ٢٣٠ يناير ١٩٧٨ ص ٥٣

(٢) آدم متز : الحضارة الإسلامية جـ ١ ص ٢٩١ نقلا عن د. أحمد شلبى جـ ٦ ، ص ٤٠٩ .

(٣) د. جمال زكريا قاسم : الأصول التاريخية ، ص ٧٨

ولا يسعنا إلا الإستشهاد بالباحث الانجليزى دافيدس حينما يكتب عن تجارة الرقيق التى قام بها الأوربيون فيقول :

لم تكن تجارة العرب للزنوج إلا نكبة خفيفة على أطراف القارة وفى داخلها ، ولكنها اتخذت معنى جديداً حين شرعت السفن الأوربية تنقل آلاف الشباب من الداخل والساحل ، وتدمى الحياة فى القارة الأفريقية ، والنخاسة أصبحت على يد الأوربيين تجارة أشبه ما تكون بالموت الأسود الذى اجتاح أوربا فقضى على ثلث أهلها ، بل أسوأ ، لأن النتائج الاجتماعية كانت أشد قسوة من الموت ، فالوباء الذى تعرض له الأوربيون انقضى وانقضت معه آثاره . ولكن القهر الذى تعرض له الأفريقيون والذى عاشوه ، لم تكن لتنقضى آثاره ولم يجتح الموت الأسود أوربا إلا عدداً من السنوات بينما استمرت تجارة الرقيق تحصد السكان حصداً وتهدد معنويات من يبقى أكثر من أربعة قرون[١] .

وفى كتاب موجز تاريخ أفريقيا الذى كتبه فيج وأوليفر وهما من عمد الدراسات التاريخية الأفريقية فى الجامعات البريطانية يذكران فيما يختص بالعرب :

كان من نتائج الفتح العربى لأفريقيا وما تبع ذلك من انتشار الإسلام فى الثلث الشمالى من القارة أن دخل جزء كبير من هذه القارة فى صميم التاريخ أكثر من أى فترة تاريخية أخرى ، وفى نفس الوقت تحول البحر المتوسط إلى منطقة التقاء شعوب قارات أفريقيا وآسيا وأوربا تلتقى عندها آراء أبناء هذه القارات وأفكارهم . ولم تخسر أفريقية نتيجة هذه كله ، بل ما كسبته أفريقية من حضارة الإسلام يفوق كثيراً ما كان يمكنها أن تكسبه من اتصالها بأوربا[٢] .

---

(١) د محمد عبد الغنى سعودى ، سابق ، ص ١٠١

(٢) المرجع السابق ص ١٠٢

حظر تجارة الرقيق : —

ابتدأت حركة محاربة هذه التجارة غير الانسانية فى لندن عام ١٧٧٢ بدعوة من موظف بريطانى يدعى جرانفيل شارق وكان جرانفيل هذا صاحب قلب طيب وجرأة كبيرة ، درس جوانب القضية الاجتماعية والاقتصادية والانسانية والقانونية ثم أثبت بأدلة قاطعة أثامها الدينية واضرارها بكل الأطراف المعنيه (١) .

وقد أثمرت جهود السيد جرانفيل بإصدار قانون الحظر على تجارة الرقيق فى بريطانيا عام ١٧٧٢ .

وكانت الخطوة التالية تتركز فى محاولة منع هذه التجارة الملعونة فى كل أنحاء الامبراطورية وقد حمل لواء الكفاح فى هذه المرحلة رجل يقترن اسمه بحركة حظر هذه التجارة الا وهو وليم ويلبر الذى استطاع بحكم منصبه كنائب فى مجلس العموم ومن أسرة أرستقراطية ، وبفضل موهبة الخطابة وصداقته مع رئيس الوزراء ، استطاع بفضل هذه الصفات كلها تسليط أضواء كاشفة على القضية وجعلها مشكلة الساعة أمام الرأى البريطانى والبرلمان على السواء .

وقد أثمرت الحملات الفكرية والدينية والانسانية التى قادها السيد وليم ضد هذه التجارة الملعونة باصدار البرلمان البريطانى عدة تشريعات مانعة لمحاربتها فى كل انحاء الامبراطورية وقد صدرت تلك التشريعات فى الأعوام ١٧٨٨ — ١٨٠٧ — ١٨٣٣ مع تعويض مبالغ مالية كبيرة كتعويض لأصحاب العبيد .

---

(١) عبد الله حسن : وقفات مهمة فى التاريخ الأفريقى : ص ٧٤

وعلى الرغم من أن القوانين السابقة التى أصدرتها الحكومة البريطانية كانت مقصورة على حدودها فإن تأثيرها على الدول الأوربية الاخرى كان واضحاً لسببين .

أولهما : أن الدعوة الانسانية التى قامت فى بريطانيا وجدت مؤيدين من بعض المفكرين الانسانين الذى أبرزوها فى صورة جريمة أنسانية ودينية بشعة .

ثانيهما : أن بريطانيا التى حرمت تلك التجارة متنازلة فى ذلك عن أرباح مالية هائلة كرهت رؤية انفراد الدول الأخرى بالفوائد فى هذا المجال .

وبناء عليه دخلت بريطانيا مع تلك الدول فى مفاوضات مضنية أدت إلى إتفاق كل من بريطانيا وفرنسا وأسبانيا والبرتغال على حظر تجـــارة العبيد .

كان ذلك نظرياً ولكن من الناحية العملية كان من العسير تنفيذ قوانين الحظر ، مما جعلها حبراً على ورق فى معظم الأحيان ولقى معارضة قوية فى أماكن كثيرة حتى توقفت تلك التجارة بصورة نهائية فى مطلع القرن العشرين [١] والذى نستطيع أن نؤكده أن بريطانيا قد اتخذت من حملتها لمكافحة الرق وتجارة الرقيق باسم الانسانية المهذبة ذريعة لبسط نفوذها فى القارة الافريقية .

وفيما يتعلق بزنجبار فقد ضغطت الحكومة البريطانية على السيد سعيد

---

(١) عبد الله حسن ، سابق ، ص ٧٦.

عام ١٨٢٢ للتوقيع على معاهدة مورسى التى حرمت تجارة الرقيق خارج أملاكه الافريقية والاسيوية أو بعبارة أخرى منعت رعاياه من بيع الرقيق للبلاد المسيحية، كما نصت على تعيين موظف بطريانى أو وكيل لها فى زنجبار والموانى المجاورة لمراقبة هذه التجارة والتبليغ عن أية مخالفة لتلك المعاهدة وقام الاسطول البريطانى عندئذ بأعمال البوليس فى مياه أفريقيا الشرقية

ولم تكتفى بريطانيا بذلك بل صارت تسعى لتعديل معاهده مورسى بحيث يتم الغاء تجارة الرقيق نهائياً فى املاك السيد سعيد ويمنح الأسطول البريطانى سلطات أكبر فى مراقبة الساحل الآفريقى وتفتيش المراكب أو (الداوات) العربية .

وعلى الرغم من كل هذه المحاولات ظلت تجارة الرقيق منتعشة فى ساحل أفريقية الغربى ، فضلا عن أن السفن الفرنسية والاسبانية والبرتغالية والأمريكية راحت تحمل شحنات كبيرة من الرقيق من شرق أفريقيا . ودون أدنى شك كانت السلطات البريطانية تعلم بذلك تمام العلم ولكنها تجاهلت الأمر عمداً مما يقطع بأن الدافع الانسانى فى محاربة الرق والنخاسة لم يكن الاذريعة لتمكين بريطانيا من فرض سيطرتها على سلطة السيد سعيد وبسط نفوذها وأحلاله محل الوجود العربى فى أفريقيا الشرقية .

وبالاضافة إلى ذلك فقد مارس الفرنسيون تجارة الرقيق بنشاط كبيرة فى ساحل أفريقيا الشرقى وبلغ بهم الأمر أنهم عينوا لهم وكلاء على طول الساحل وفى زنجبار أيضاً (١) .

وقد كتب الرحالة الأوربى رينشارد فى عام ١٨٨٠ بعد زيارة لزنجبار

---

(١) د . السيد رجب حراز ، سابق ، ص ١٢٨ — ١٢٨ .

يقول : بأن العبيد هنا لا يعانون من الجوع أو التعذيب أو الحرمان ، لأنه لو بلغت السلطان أنباء عن سوء معاملة السادة لعبيدهم فانه يعطى لهؤلاء العبيد حريتهم ويحميهم من انتقام سادتهم السابقين ومضى ريتشارد يشرح أوضاع العبيد كما شاهدها ، مؤكدا بأنها أفضل بكثير من أوضاع ألوف العمال فى بــــلاده .

ويرجع إلى السيد سعيد فضل كبير فى مساعدة الجهود المبذولة فى هذا الميدان على الرغم من أن المعاهدات التى وقعها مع بريطانيا لم تكن موضع ترحيب من شعبه حيث كانت تشكل خسارة كبيرة من الناحية الاقتصادية وبعد وفاة السيد سعيد أستقبل أبنه السيد برغش بن سعيد عدداً كبيراً من المبعوثين البريطانيين الذين جاءوا بحجة تشديد الحملة ضد الرق ومنهم السير بارتل فرير الذى قام بعملية دعائية حين قام بشراء عدد من العبيد وأطلق سراحهم ، ثم حصل بعد ذلك على قطعة أرض فى ممباسة وأقام عليها مستعمرة يعمل فيها العبيد الذين تم تحريرهم وسمى هذا المكان باسم « فريرتاون » أى مدينة فرير .

وكان الدكتور كيرك يمثل فرير ، ثم أصبح بعد ذلك يحمل لقب سير وهو السير جون كيرك القنصل البريطانى فى زنجبار وقد وصل به الأمر إلى أنه هدد السيد برغش باستخدام القوة إذا لم يوافق على توقيع معاهدة أشد صرامة ، وقد وقع عليها على ١٨٧٣ وأغلق السلطان سوق العبيد فى زنجبار [١] .

وأما هذه المعاهدة التى وقعت فى ٥ يونيو ١٩٨٣ فكانت تنص على:

---

(١) أحمد حمود : سابق ، ص ٩٢ .

أولا : منع تصدير الرقيق منعاً باتاً من هذا التاريخ فصاعداً من الساحل الافريقى الشرقى سواء كان المقصود بهذا التصدير نقلهم من جهة إلى أخرى من أملاك السلطان أو حملهم إلى أية أراضى أجنبية .

ثانياً : إغلاق جميع أسواق الرقيق العامة فى ممتلكات السلطان .

ثالثاً : حماية السلطان لكل العبيد المحررين .

رابعاً : تعهد الحكومة البريطانية بمنع جميع رعاياها من الهنود من اقتناء الرقيق أو الحصول على عبيد جدد .

ونفذ السيد برغش شروط المعاهدة بإخلاص . ففى ٥ يونيو عام ١٨٧٣ وهو اليوم ذاته الذى وقعت فيه المعاهدة أرسل السلطان رسلا من طرفه لاغلاق سوق الرقيق بمدينة زنجبار وفى ٨ يونيو أمر بتعليق منشور فى الساحات العامة يعلن تحريم نقل الرقيق بحراً من جميع الموانى التابعة لزنجبار وينذر المخالفين بأشد العقوبات . وقام الأسطول البريطانى بفرض حصار تام على ساحل أفريقية الشرقى وصار ضباطه يلقون القبض على ربابنة الداوات الذين يحاولون تهريب الرقيق بحراً أو يشتبه فى أنهم يحاولون ذلك ويقدمهم للمحاكمة أمام المحاكم المختصة لهذا الغرض (١) .

وهكذا نجحت انجلترا فى الوصول إلى هدفها فى فرض السيطرة على زنجبار ووضع خطة تمنع السلطان من « تدويل » المسألة بإدخال دول أوربية مثل فرنسا وألمانيا فيها ، وهذا يرجع أولا وقبل كل شىء إلى التهديد بالقوة والسيطرة البحرية فى المحيط الهندى .

---

(١) د حراز ، سابق ، ص ١٢٩ ، د . جلال يحى التنافس الدولى فى شرق أفريقية ، دار المعرفة ١٩٥٩ ، ص ٦٨

كما أنه يرجــع إلى شخصية القنصل البريطانى فى زنجبار و لائه بالسلطان وإلى تأييد وزارة الخارجية البريطانية لآراء السير بارتل فرير فى لندن بعد أن فشل فى الحصول على المعاهدة وديا مع السلطان[1].

والذى يجدد ذكره أنه فى الوقت الذى أخضعت بريطانيا سلطنة زنجبار لنفوذها متذرعة بمحاربة تجارة الرقيق باسم الإنسانية المعذبة ، كانت رحلات الاستكشاف الجغرافى تهىء الطريق لفتح أفريقية الشرقية للتجارة الأوربية وللتبشير بالنصرانية وهى رحلات قام بها المنصرون والرحالون الأوربيين بصفة عامة والانجليز والاسكتلنديون بصفة خاصة.

لقد كان من الأجدى لمكافحة نظام الرق فى زنجبار وشرق أفريقيا مساعدة المجتمع على الأخذ بأساليب الحضارة الحديثة وهذا هو المنهج الذى اتبعته الإدارة المصرية فى السودان على سبيل المثال ، أما بريطانيا فقد جعلت من مكافحة الرق — كما رأينا — أداة للتدخل فى شئون البلاد الداخلية بما فى ذلك حق محاكمة المخالفين لأوامر الإلغاء واتسمت هذه المحكمات بالعنف وبروح الإستعلاء حتى تعرضت لانتقاد بعض الكتاب الإنجليز أنفسهم . ولم تكن بريطانيا مهيأة لأن تلعب دور ناشر الحضارة فى بلاد العرب[2] .

آثار تجارة الرقيق فى أفريقيا :

قبل أن نختتم هذا الفصل نلقى نظرة على الآثار المدمرة لهذه التجارة

---

(١) د. جلال يحيى : مرجع سابق ص ٩٩

(٢) د. صلاح العقاد : التيارات السياسية . ص ٢٠١ ، د. زاهر رياض استعمار أفريقية ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ ، ص ص ٨٩-٩٢

غير الإنسانية على أفريقيا بصفة عامة والتى كانت فوق ما يتصور الإنسان فالحروب التى اشتعلت بين القبائل فى كل مكان بالقارة دمرت كل شيء وأوقفت كل نشاط فقد عرضت أوربا كل صناعاتها مقابل العبيد ، ومن هنا لم يكن هناك حاجة لإقامة صناعات أفريقية ، وأخذت كثير من الفنون والحرف فى الإضمحلال والتلاشى ، مثل الأعمال البرونزية والحفر على الخشب ، ومن يدرى كم من حفارى الخشب ، والنساجين وعمال المعادن قتلوا فى الحروب ، أو أرسلوا عبر البحار ليعملوا فى تقطيع السكر فى جزر الهند الغربية .

لقد كانت الغارات من أجل العبيد تحدث ليلا ، فتحرق البيوت ويؤخذ الناس عبيداً ، بعيداً عن ديارهم .

وتجارة الرقيق لم تترك أثرها فى تفسخ المجتمعات الإفريقية فقط بل إنها تركت آثاراً نفسية عميقة تبدو فى الشك والريبة والحذر بل العداء الذى يكنه الأفارقة للاوربين[1] .

وبصفة عامة كانت هذه النتائج والآثار بالإضافة إلى ما سبق - من قيام حروب دموية إبادية بين القبائل الأفريقية بحثاً عن الأسر أو دفاعاً ضده فمن المعلوم تاريخياً أن الأوربيين كانوا لا يأسرون العبيد بأنفسهم فى أغلب الأحوال بل كانوا يقدمون بضائع وأسلحة نارية إلى رؤساء القبائل مقابل عبيد بأسعار زهيدة . وبما أن ثراء رؤساء القبائل وأتباعهم يتوقف على العبيد فى حوزتهم فإنه ليس من العسير على عقولنا إدراك المآسى البشرية التى يمكن حدوثها فى بلد صار الأسر فيه حرفة رئيسية للمعيشة اليومية.

(١) د. أحمد شلبي : سابق ، ص ٦ . ص ٤٤٤

وإذا كان عدد العبيد الذين وصلوا إلى الأمريكتين أحياء قد بلغ خمسة عشر مليوناً بحسب الاحصاءات الرسمية التى سجلها تجار العبيد التابعة لهم فإنه ليس من العسير على أذهاننا أيضاً تصور عدد الذين قتلوا فى ميادين المقاومة أو فى قلاع الحشد اختناقاً وضرباً ، وكذا الذين ماتوا فى عرض البحار برداً وجوعاً(١) .

وترتب على تلك الحروب فوضى شاملة فى الحياة الأفريقية وإنعدام الأمن والسلام اللازمين للعمل الصالح والتطور الطبيعى - كما أسلفنا .

ومن ناحية أخرى فإن تحطيم اقتصاديات القارة بأخذ الملايين من شبابها الأقوياء وأصحاب المهن من جهة وهجرة بعض القبائل العريقة من مدنها المعمورة ، هربا من الأسر ، وعودتها إلى الحياة البدائية على أرض جديدة ووعرة من جهة أخرى .

هذه الأمور فى جملتها أضعفت القارة ومزقت وحدتها وجعلتها لقمة سائغة للاحتلال فيما بعد .

وأما عن الأثر النفسى السيء على الأفريقيين فهى تعنى بالنسبة لهم طعنة قوية فى صميم إنسانيتهم ذهب بكبريائهم واعتزازهم الذاتى ، ثم إن صورة أجدادهم وهم مكبلون بالسلاسل والحديد فى حصون تعسكرهم

---

(١) تقدر بعض المصادر المفقود السكانى نتيجة استنزاف الرقيق طوال أربعة قرون بين ٣٠ ، ٤٠ مليون نسمة من غرب أفريقيا وهؤلاء يشملون من وصلوا أحياء إلى العالم الجديد ويمكن تقدير العدد الإجمالى بما لا يقل عن مائة مليون أفريقى انظر د. محمد عبد الغنى سعودى ، سابق ، ص ٩٧

أولا وبيعهم فى مزاد علنى فى الأسواق العالمية ثانية ، هـــذه الصورة بأحزانها وأشجانها ما زالت تمر حتى الآن بخاطر الإفريقيين.

ومن وجهة نظر بعض الأوربيين العقلاء فإنهم يعتبرون تجارة العبيد جريمة تاريخية مضت بلا رجعة ويكفيهم كفارة لها أنهم عمـــلوا على وقفها ومحاربتها .

ومن ناحية أخرى فإن سفهاءهم (الأوربيون) ، وما أكثرهم ، يعتبرون تجارة العبيد وثيقة تاريخية تشهد بتأخر الإنسان الإفريقى بالفطرة وبالتالى يتهمونه بكل نقيصة .

العمانيون ودورهم فى نشر الإسلام
فى شرق أفريقيا

من المسلم به أن شرق أفريقية بحكم موقعها تجاه الجزيرة العربية قد دخل إليها الإسلام قبل دخوله إلى غرب إفريقيا بأكثر من قرن من الزمان على الأقل . ذلك أن مسيرة الإسلام الطويلة على طول الساحل الشمالى حتى استقر فى مناطق التأثير ثم عبور الصحراء إلى المناطق الداخلية قد أخذ وقتا حتى وصل إليها . بخلاف شرقى أفريقيا الذى كان الاحتكاك بينه وبين الجزيرة العربية قائما ـ كما ذكرنا ـ قبل الإسلام وبعده ، ولم تنقطع الهجرات العربية من جنوب الجزيرة العربية إلى شرق أفريقيا ، وكان المهاجرون العرب يعملون على نشر الإسلام بين من لم يعتنقه من القبائل .

وقد سبق الحديث عن هجرة سليمان وسعيد أثناء حكم الخليفة عبد الملك ابن مروان وكانا قد قاما بثورة فى عمان ولكن الخليفة أخمد الثورة مما أدى إلى هجرة قادتها إلى ساحل شرق أفريقية مع عدد من أتباعهما حيث أنشأوا مدينة تسمى باتا جنوب ممباسا الحالية ، وكان ذلك فى حوالى عام ٧٠٠ (٨١ هـ)[١] .

ومن بين الهجرات الهامة كذلك هجرة من قبيلة الأزد فى سنة ٩٥م وهجرة من قبيلة الحارث وتليها هجرات أخرى نقلت الإسلام إلى شرق

---

(١) محمد جلال عباس : المد الإسلامى فى أفريقيا ، سابق ص ٦٩

أفريقيا فى وقت مبكر ، وأصبحت زنجبار القطب الرئيسى لإنتشار الدعوة الإسلامية فى تلك المناطق وفى داخل القارة الأفريقية لاسيما بعد ظهور دولة الزنج وكانت مدينة كلوا . عاصمتها[١] .

وهناك هجرة عمانية أخرى لها أهميتها وقعت فى سنة ٦٠٠ هـ (١٢٠٣م) هاجر فيها سليمان ابن سليمان النبهانى صاحب عمان وتزوج ابنة حاكم باتا السواحليه الأصل وورث العرش وأسس الأسرة النبهانية فى باتا وظهرت عظمة الأسرة النبهانية فى عهد الملك عمر الأول الذى حكم من سنة ١٣٣٢م (٧٣٤ هـ) إلى سنة ١٣٥٨ م (٧٥٩هـ) .

وقد بسط سلطانها على عدد من مدن الساحل الشرقى حتى القرن الخامس عشر وما أن استطاعت الأسرة النبهانية أن تكون شبه وحدة إسلامية فى الشمال تحت قيادة مدينة باتا والأسرة الشيرازية أن تكون شبه وحدة إسلامية مماثلة تضم مدن الساحل الجنوبى تحت قيادة كلوا حتى بدأت الضربات تتوالى على المدن الاسلامية فى الساحل الشرقى لأفريقيا من جانب البرتغاليين الذين أخذوا يشنون حربا صليبية مع الشرق الأقصى وجزر الهند الشرقية وقاوم المسلمون هذا التحدى وقدموا مئات الالوف من الضحايا والشهداء ودام الاحتلال البرتغالى لشرق أفريقيا قرابة قرنين ونصف بدأت من سنة ٩٠٩ هـ .

وقد يكون من المناسب هنا أن نقرر حقيقة هامة وهى أنه صحب الغزو البرتغالى لمدن ساحل الشرق الأفريقى إنتشار الاسلام بين القبائل الداخلية ، بسبب فرار العرب والمسلمين من الساحل إلى الداخل خوفا من بطش

---

(١) سيد عبد المجيد بكر ، سابق ، ص ١١٩

البرتغاليين بهم ، وهذا أمر تكاد نلحظه أكثر ما يكون وضوحا بالنسبة لاعتداء البرتغاليين على المدن الصومالية كمقدشو وزيلع وبربره ، واتجاه المسلمين إلى الداخل ، حيث انتشر الاسلام بين القبائل الصومالية بصفة خاصة[1] .

وبدأت مرحلة جديدة من تاريخ الاسلام بالمنطقة ، وذلك عندما تصدت عمان لمقاومة النفوذ البرتغالى بشرق أفريقيا ، وخاضت حربا شرسة ضدهم ، وتمكن العمانيون من تقليص نفوذ البرتغاليين بشرق أفريقيا وقامت أول دولة آسيوية إفريقية بعد نقل السلطان سعيد عاصمته من عمان إلى زنجبار وأخذ الاسلام يتوغل مع قوافل التجارة إلى داخل القارة الأفريقية.

وقد استطاع السيد سعيد أن يضم إليه جميع الموانى والجزر الساحلية الهامة ، كما استطاع أن يفرض سيطرته على التجارة الداخلية والخارجية وأصبحت زنجبار بذلك مستودعاً هائلا للتجارة تخزن فيها البضائع التى تأتى من أنحاء إفريقية ومنها توزع على التجار العرب الذين يحملونها إلى سواحل شبه الجزيرة أو الهند .

وبالاضافة إلى الحركة التجارية والنشاط الاقتصادى الكبير ، اتسع نفوذ زنجبار السياسى فى عهد السلطان سعيد ، فشمل مسافة على الساحل تقدر بأكثر من ألف وستمائة كيلو متر ، ممتدة من جنوب مقدشو إلى سفاله وتونجى جنوبا ، كما امتد نفوذه أيضاً داخل القارة حتى وصل إلى حدود الكونغو وأوغندا وروديسيا ، وانتشرت فى هذه الأجزاء كلها شبكة من خطوط القوافل تربط بين الساحل وبين شواطىء فيكتوريا

---

(١) سيد عبد المجيد ، سابق ، ص ١١٩

وتنجانيقا ونياسا ، وتابع توغله فى الأجزاء الشرقية من الكونغو ، وعلاصيته حول البحيرات العظمى وصادف نجاحاً كبيراً ، على الرغم من أن عصر الاستعمار الأوربى كان قد بدأ .

وفى عصر السلطان سعيد الكبير اقترنت إصلاحاته الاقتصادية بإصلاحات أخرى سياسية وإدارية حيث نظم الادارة والقضاء وعمل على توحيد طبقات المجتمع وحقق ثراء عريضاً نمت فى ركابه الثقافة الاسلامية وازدهرت وازداد التوغل الاسلامى انطلاقا نحو الجنوب .

وكان من الممكن لهذا السلطان الذى يعد واحداً من أبرز الحكام المسلمين فى القرن التاسع عشر كان من الممكن أن يعمل على النهوض بالحياة الاسلامية ونشر الاسلام فى أجزاء كثيرة من القارة والمضى بنهضتها إلى أقصى مدى ممكن لو لم تتمخض أحداث السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر عن القضاء على هذه الدولة الفتية بأضعافها وتمزيق أوصالها .

حيث بدأ الاستعمار البريطانى والفرنسى والايطالى يثبت أقدامه فى هذه البلاد وخضعت سلطنة زنجبار للنفوذ البريطانى وبدأ هذا الوطن الاسلامى يعانى من نفس الأدواء التى شهدتها الأقطار الاسلامية الأخرى[1] .

تغلغل الاسلام وإنتشاره بالداخل :

تعتبر فترة توحيد عمان وزنجبار هى فترة إنتشار الاسلام فى الداخل حيث نجح العرب العمانيون فى التوغل داخل أفريقيا ولا تقل جهودهم فى

---

(١) د. حسن أحمد محمود : سابق ، ص ٥٠١

إكتشاف أواسط أفريقيا عن جهود المكتشفين الأوربيين الذين قاموا بجهود كبيرة فى هذا المجال(١) .

ولو دون هؤلاء العرب كل ما شاهدوه ووقفوا عليه وما نالوه فى هذه الرحلات لكان اليوم شيئاً عظيما يفخر به أحفادهم ممن يعيشون فى تانزانيا الآن وسط مجتمع ينظر اليهم بريبة ويتهمهم بأنهم حفدة تجار الرقيق ونسى هؤلاء الجهود المشكورة للعرب فى ترقية هذه البلاد وتحضرها .

ويعتقد بعض الكتاب الاوربيين أن هذه الفترة على الرغم من كونها فترة بدء إنتشار الاسلام فى الداخل إلا أن رحلات العرب لم تكن وحدها هى السبب ، بل كان السبب الاهم هو استقرار الحكم فى زنجبار بعد توحيدها مع عمان ، حيث قامت مزارع عربية مما أدى بدوره إلى إستقرار الاوضاع فى القبائل المجاورة من تانجا حتى الجنوب فبدأ الاسلام يشق طريقه إلى قبائل الديجو Digo وقبائل الزارامو والقبائل التى تقيم حول دلتا نهر روفيجى وأصبح للزعماء المحليين فى الاقاليم الجبلية الداخلية القريبة من ساحل تانجا حيث كانت تمتد الطرق التجارية ، مناطق نفوذ بسبب تعاونهم مع العرب وتسمى بعضهم بأسماء عربية(٢) .

ومن بين الأسماء العربية التى قامت بدور كبير فى نشر الاسلام بين القبائل الوثنية السيد عثمان وهـــو طبيب مسلم من زنجبار نجح فى أقناع كيموير Kimweyi زعيم أوزامبارا المستقل وكان وثنيا بالسماح لبعض

---

(١) سعيد على المغيرى : سابق ، ص ١٥٢

(٢) سبنسر ترمنجهام : الاسلام فى شرق أفريقيا : ترجمة وتعليق محمد عاطف النواوي ، صص ٦١-٦٢

أولاده باعتناق الاسلام والمجاهرة به كما نجح السيد عثمان فى تحويل كثير من الوثنيين إلى الاسلام بجهود كبيرة .

ولقد شرع الاسلام يرسخ أقدامه بين كثير من القبائل التى قامت بينها وبين العرب صلات تجارية مثل قبائل التياموزى وغيرها بعد إعجابهم بمظهر التجار المسلمين وحسن أخلاقهم وأمانتهم وصدقهم فى التعامل .

وكان للعرب من أهالى زنجبار دور كبير فى نشر الاسلام فى أوغندا ويقال أن أول عربى وصل اليها كان فى عام ١٨٤٤ (١).

وفى عام ١٨٦٢ وجد سبيك Sbkee أن التجار العرب لهم وجود مؤثر فى بلاط موتيسا ملك أوغندا . ونتيجة لهذا النفوذ استطاعوا فى عام ١٨٧٥ تحويل بعض الأهالى إلى الاسلام كما استوطن العديد منهم بقاعا مختلفة هناك ونشروا الاسلام حيث أقاموا .

وقد تعاون العرب القادمون من زنجبار مع أخوانهم القادمين من مصر والسودان وساهموا بنصيب كبير فى نشر الاسلام فى تلك المناطق (٢) .

انتشار الاسلام فى كينيا :

مع الهجرات العربية الأولى إلى شرق أفريقيا أسس المهاجرون عدة مدن منها مدينتى أوزى وشاكة قرب دلتا نهر تانا فى كينيا .

وعندما جاء بنو بنهان من عمان إلى مدينة باتا وهى فى كينيا أيضاً شمال مدينة لامو .

---

(١) ترنجهام ، سابق ، ص ٦٢ .

(٢) سيد عبد المجيد ، سابق ، ص ١٣٢ .

وبعد قضاء العمانيين على الاستعمار البرتغالى هاجرت بعض العناصر العربية إلى كينيا وارسلت البعثات إلى المدن العربيه الاسلامية ، وعاد أبناء شرق أفريقيا لتعليم الاسلام وقدموه إلى شعوبهم وبرزت مدن اسلامية مثل لامو وممبسة وتانجا وأصبحت مراكز اشعاع للدعوة الاسلامية ووصل الاسلام كذلك إلى داخل كينيا وموزمبيق وزائير وغيرها من الدول الأفريقية وظهرت مراكز تجارية بالداخل مثل كيتوتو kitoto وسابت Sabat ومماس Mumias فى داخـــل كينيـا ومثل طابورة وأوجيجى فى تنجانيقا .

وعندما فرض الأستعمار الأوربى وجوده وسيطرته على تلك المناطق عرقل سريان الدعوة الاسلامية وشجع البعثات التنصيرية وكان طبيعيا أن يقاوم المسلمون نفوذ الاستعمار التنصيرى ؛ فشبت الثورات فى كينيا منها ثورة ويتو witu فى سنة ١٨٩٠ وثورة المازورى Mazyl فى سنة ١٨٩٥ وانتشرت الثورات فى ساحل كينيا .

وأما فى تنجانيقا فعلى الرغم من وقوعها تحت السيطرة الالمانية كما سيأتى فإن انتشار الاسلام فيها ظل مستمرا وبصورة كبيرة متحديا كل الصعوبات التى حاولت بعثات التنصير بامكاناتها الكبيرة وضعها فى طريقه .

العمانيون ونشر الاسلام فى زائير

وفى عصر السيد سعيد توغل التجار العرب العمانيون وغيرهم من غرب شبه الجزيرة العربية الذين ازدهرت على يدهم التجارة وانتعشت بقدمهم إلى درجة لم تكن معهودة من قبل — توغلوا فى المناطق الداخلية التى لم يرتدها أحد قبلهم ، واستقر الكثيرون منهم فى الداخل وأسسوا المراكز التجارية التي جهدوا فى تقويتها ، وقد حرص سلاطين زنجبار فى إدارتهم

لمتلكاتهم فى المناطق الداخلية على تعيين حكام محليين من أهالى البلاد يدينون لهم بالتبعية والولاء ، وفى بعض الأحيان كانوا يبعثون بحكام من العرب أو السواحلية مع أمدادهم بحاميات من الجند تكون بمثابة نواة يحرص الحكام المعينون على تنميتها بانفسهم بشكل يحفظ لهم نفوذهم وللسلطان هيبته .

وكما كانت سلطنة زنجبار فى عهد السلطان سعيد وفى عهد خلفائه من بعده عاملا هاما فى إدخال المؤثرات الحضارية إلى داخل القارة الأفريقية فى منطقة البحيرات الاستوائية وحوض نهر الكونغو .

وينبغى الاشارة إلى أن كثيراً من المصادر الأوربية تعطى للقارىء انطباعاً مؤداه أن النشاط العربى فى داخل أفريقيا كان يستهدف فى الدرجة الأولى عمليات التسلط والاستغلال فضلا عما كان يتميز به من قسوة [1]

ولكن الدراسة الجادة والمنصفة تستطيع أن تدفع هذه الاتهامات وقد اعترف كثير من الرحالة والمستكشفين الأوربيين أن العرب كانوا عنصراً هاما من العناصر التى حملت لواء الحضارة إلى أواسط القارة الأفريقية ومجاهلها ، وأن العرب كانوا حريصين على توثيق علاقاتهم التجارية بينهم وبين زعماء القبائل . كما ينسب إليهم إدخال زراعة الأرز وقصب السكر وغيرها من الزراعات التى عرفوها من الهند وجزر المحيط الهندى وأما عن دخول الاسلام إلى زائير فقد وصلها من دولة زنجبار أيام أزدهارها عن طريق نشاط التجار المسلمين وتوغلهم عبر تنزانيا حتى وصلوا إلى بحيرة

---

(١) Ruth slaqbekiug leoqolqs congo . pp 84' FF Lonqon 1967

نقلا عن د . جمال زكريا قاسم ص ٢٣٤ .

تنجانيقا ، فأسسوا مراكزهم فى مدينة أوجيجى على الساحل الشرقى لبحيرة تنجانيقا ، ورافقت الدعوة الاسلامية تحركاتهم .

ومن أوجيجى انتقل التجار السواحليون المسلمون بالاسلام والتجارة إلى داخل زائير وانتقلوا إلى الضفة الغربية لبحيرة تنجانيقا وأخذوا فى انتشارهم داخل زائير طريقين كان الأول من مدينة أوجيجى إلى فيزى ويتجه غربا إلى كايا مبارنى وكاسونجو على نهر لولابا .

أما الطريق الثانى فكان من أوجيجى إلى أفيرا صاعدا نحو الشمال إلى روزيزى ثم إلى مدينة لوبوتو . وقد تكونت مدينتان اسلاميتان هما بنانجو وكاسنجو وأصبحتا مركز إشعاع للدعوة الاسلامية فى وسط غابات الكونغو .

ولقد زار المستكشفون الأوربيون هاتين المدينتين الاسلاميتين وأذهلتهم نهضة مدينة كاسونجو التى كانت تضم ثلاثين الفاً من السكان وأدهشهم تقدمها الزراعى والحاصلات الزراعية المختلفة التى أدخلها العرب السواحليون ولقد شوه الأوربيون هذه الحضارة بما نسبوه اليها من تجارة الرقيق .

وهكذا بدأ العرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر يطرقون أبواب الكونغو بعد أن حرثوا منطقة مانيموزى وأسسوا فيها صرحا حضاريا شامخاً . وعندما بدأ العرب يفدون إلى الكونغو كانت محاولتهم الأولى فى شكل جماعات صغيرة إلا أنه حدث دخول منظم وبأعداد كبيرة وبتحفظ ودراسة على يد أحد العرب المولدين هو حميد بن جمعة المرجبى الذى اشتهر بيتو تيب وهو من نستطيع معه القول بأنه الزعيم العربى المسلم الذى كان له دور كبير فى تلك المناطق والذى اندثر هذا الوجود أو كاد

على يد الاستعمار البلجيكى (١) ولكن على الرغم من هذه الجهود الطويلة للعرب العمانيين زنجبار لنشر الإسلام فى داخل القارة الافريقية إلا أن هناك عوامل كثيرة وقفت أمام المد الإسلامى فى كثير من المناطق من بين هذه العوامل .

١ ـ التنافس الاستعمارى الذى أدى فى النهاية إلى انفصام الوحدة القائمة بين عمان وزنجبار واقتطاع الكثير من أراضى تلك الدولة العربية على يد كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا .

---

(١) هو حميد بن محمد بن جهين بن رجب بن محمد بن سعيد المرجبى النبهانى ، ولد من أب عربى وأم من سلالة المريما فى زنجبار ، وذلك فى قرية كوارارا قرب زنجبار العاصمة حوالى ١٢٤٨ هـ (١٨٣٢ م) وقد نشأ عصاميا بعد أن تركه والده ودخل إلى أرض الأونيا مويزى حيث تزوج بابنة أحد زعماء الزنوج هناك ، عمل بالتجارة وسعى إلى الجاه والمال بكل قوته . التف حوله العديد من بنى جلدته ، أولئك الذين دخل بهم فى رحلتيه الأوليتين إلى الأنيا مزوى ثم إلى الكونغو فى الثالثة ، ألم بالكثير من المعلومات عن وسط أفريقيا مما كان سببا فى استعانة معظم المنصرين والرحالة الأجانب به فى رحلاتهم واعترفوا بفضله عليهم . أسس دولة عربية كاملة فى بلاد الكونغو غربى تنجانيقا أحسن النية بالأجانب ولكنهم انقلبوا عليه وأزاحوه ومعه الوجود العربى وقد توفى تيبو تيب (Tipp - Tip) وهذا نسبة لصوت الأعيره النارية التى كان يستعملها حراسة ـ ١٣٢٣ هـ (١٩٠٥) وإذا كان الحكم العربى لهذه المناطق قد انتهى لكن الوجود الاسلامى لم ينته بها حيث يصل عدد المسلمين إلى ٨٠٠/٠٠٠ فى فى الوقت الحاضر .

انظر د يواقيم رزق : الاستعمار البلجيكى وأثره على الوجود العربى فى الكونغو من كتاب العلاقات العربية الافريقية ص ص ١٧٥ - ١٧٦ سيد عبد المجيد ، سابق ، ص ٢٣٠

٢ - أن العرب فى زنجبار شغلوا بالتجارة إلى حد كبير ولم يعطوا للدعوة الإسلامية نفس الاهتمام وإلا لكانت هذه البلدان (كينيا - أوغندا - الكونغو - موزمبيق) قد أصبحت إسلامية حتى اليوم .

٣ - إشتداد نشاط البعثات التنصرية بما تملكه من إمكانيات مادية كبيرة ومساندة عسكرية من الدول الأوربية .

٤ - الدعاية السيئة التى نشرها الأوربيون عن العرب وإلصاق تهمة بيع الرقيق بهم وحدهم مما كان له أثره على بعض القبائل التى اعتنقت النصرانية .

٥ - ضعف سلاطين زنجبار الذين تولوا الحكم بعد السيد سعيد الذى كان واحداً من أبرز الحكام فى تلك الفترة .

التنافس الدولى

فى زنجبار وتنجانيقا

رأينا كيف بدأ التنافس الدولى على أراضى السلطنة العربية الأفريقية مما أدى إلى تقسيمها مرحليا إلى سلطنتين إحداهما فى عمان والأخرى فى زنجبار ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل عمدت القوى الاستعمارية إلى تقسيم سلطنة زنجبار العربية إلى مناطق نفوذ وذلك عندما احتدم التنافس البريطانى الألمانى على شرق أفريقيا وتدخلت بريطانيا فى شئون السلطنة بحجة القضاء على تجارة الرقيق ولعب قنصلها « كيرك » دوراً كبيراً فى فرض الحماية على تلك البلاد لاسيما بعد تعيينه قنصلا لبريطانيا فى زنجبار فى ١٨ مارس ١٨٧٣ وهو المنصب الذى كان يشغله بالنيابة منذ فترة من الزمن وقد حاول بكل الوسائل غير المشروعة العمل على تكبيل برغش بن سعيد بالكثير من المعاهدات التى تعطى الوجود البريطانى فى أملاكه صورة شرعية ، كما حاول أبعاد الوجود المصرى عن شرق أفريقيا بكل الطرق لتبقى زنجبار وممتلكاتها لقمة سائغة لبريطانيا وحدها وخشية أن تتحالف الدولتان العربيتان لمواجهة الأطماع الأوربية.

بريطانيا ودورها فى إثارة النزاع بين مصر وزنجبار :

خضعت سواحل البحر الأحمر للسيادة العثمانية منذ أوائل القرن السادس عشر ، حينما استطاع العثمانيون أن يمنعوا البرتغاليين من التوغل فى هذا البحر ثم استولوا على الموانى الهامة الواقعة على شاطئيه الأفريقى والآسيوى ، سواكن ، عقيق ، مصوع ودوهوتو على الشاطىء الافريقى

وعدن وجـــده على الشاطىء الآسيوى وجعلوا من البحر الأحمر بحيرة اسلامية أغلقوها فى وجه السفن الأوربية المسيحية [١] .

على أن بريطانيا لم تلبث أن جاءت منذ العقد الرابع من القرن التاسع عشر ببدعة مكنتها هى والدول الأوربية من وضع أقدامهم على ساحل البحر الأحمر الغربى ، عندما أغفلت أمر الدولة العثمانية وشرعت تتحالف مع شيوخ المناطق النائية أو صغار أمرائها وتحصل منهم على صك بالتنازل عن بعض الأماكن التى فى حوزتهم وحذت فرنسا حذوها فعقدت فى مارس ١٨٦٢ معاهدة مع السلطان دينى أبو بكر الشيخ رهيطة تنازل فيها عن ميناء أوبوك وكذلك عن السهل الذى يمتد على ساحل البحر الأحمر الغربى من رأس دوميرا شمالا إلى رأس على جنوبا .

وإزاء هذا النشاط الأبريطانى رأت الحكومة المصرية من واجبها وعن حقوق السيادة العثمانية فى هذه المناطق وبدأت محاولات الحصول من السلطان العثمانى على تنازل عن إدارة مصوع وسواكن ، اللتين كانتا من ملحقات ولايتى الحجاز واليمن وفى مايو ١٨٦٥ أصدر الباب العالى فرمانا يمنح الخديو اسماعيل مصوع وسواكن وملحقاتهما .

وبدأت الحكومة المصرية تتبع سياسة نشطة فى ساحل البحر الأحمر الغربى وساحل الصومال .

وكان من النتائج الطبيعية لتطور الدولة المصرية حينذاك فى أفريقيا أن تصل إدارتها إلى أقليم هضبة البحيرات فى منتصف القرن التاسع عشر ورأت

---

(١) د. حراز ، التنافس الدولى ، ص ١٨٧ .

بعد ذلك أن أقصر وأسرع طريق للوصول إلى منابع النيل هو طريق المحيط الهندى فقام غوردون الحاكم العام لمنطقة خط الاستواء بوضع مشروع قدم للحكومة المصرية يتضمن إقامة خط مواصلات إلى خليج فرموزا الذى لايبعد الا ٤٠٠ ميل عن أراضى متيسا ملك أوغندا صديق مصر وأن ينشىء عدداً من النقط العسكرية على طول الطريق لكى يتخلص من مشاكل البواخر وصعوبة المواصلات مع الخرطوم . واقترح على الخديو إسماعيل أرسال قوة من ١٥٠ جنديا على ظهر أحدى السفن إلى خليج فرموزا التى ببعد ٢٥٠ ميلا عن زنجبار وذلك لكى تنشىء قاعدة حربية هناك وتسير فى الداخل صوب أراضى متيسا [1] .

وصادفت هذه الفكرة قبولا لدى إسماعيل وكلف غوردون فى ١٧ من سبتمبر سنة ١٨٧٥ بأن يمد الادارة التى أقامها فى وسط القارة وهضبة البحيرات على كل الأراضى الممتدة حتى ساحل المحيط الهندى . وكلف الخديو ماكيلوب باحتلال مصب نهر الجوب وأوصاه بالمحافظة على علاقات الود مع سلطان زنجبار .

ووصلت الحملة المصريه بالفعل إلى مصب نهر الجب فى ١٦ أكتوبر ١٨٧٥ وبسبب الرياح الشديدة أضطرت الحملة إلى الانصراف وألقت مراسيها فى لقسمايو . وكانت هذه ترفرف عليها راية السلطان برغش ابن سعيد سلطان زنجبار وتنزل بها حامية زنجباريه تتألف من حوالى ٤٠٠ جندى .

---

(١) أنظر : د . جلال يحيى : التنافس الدولى فى شرق أفريقية ، سابق ص ١١ .

وعندما بلغت زنجبار أخبار وصول الحملة المصرية إلى مصب الجب أسرع «جون كيرك» القنصل البريطاني بالابراق إلى حكومته بتفاصيل الموقف وزعم أنه كان غائباً فى ذلك الوقت عن زنجبار فى زيارة لطنجة ولكنه عندما عاد وعلم باعتداء المصرين على ممتلكات السلطان فى ساحل الصومال وطردهم الحامية الزنجبارية من قسمايو وأنزالهم علم السلطان من فوق قلعتها ورفعهم الراية المصرية مكانها، منع السيد برغش من القيام بأى عمل يتسم بطابع العنف، واكتفى بأن نصحه بالاحتجاج على أحتلال المصريين لأراضيه بالقوة (١).

---

(١) د. رجب حراك : التنافس الدولى . سابق ص ٢٠٣ ،
د. شوقى الجمل : تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ص ٣٤٢ .
د. السيد يوسف نصر جهود مصر الكشفية فى أفريقيا ، ص ١٢٤

وهناك رواية أخرى تفردبها صاحب هيئة الاخبار فى تاريخ زنجبار سعيد ابن على المغربى مفادها أن السلطان برغش كان فى رحلة إلى مصر وقوبل بترحاب شديد وفى يوم عودته توفى أحد أقارب الخديوى اسماعيل فأجل السلطان زيارته للتعزية وزيادة فى الكريم أصدر الخديوى أوامره بسفر السلطان على أحدى مدرعاته وفى عدن طلب القنصل من السلطان النزول من المدرعة المصرية وركوب مركب انجليزى أخرى ولما عاد قبطان مدرعة الخديوى الى مصر وأخبره بما حدث غضب إسماعيل غضباً شديداً وأعتبر هذه الحادثة إهانة لمصر لاتغفر فأمر بالتعبئة الكاملة للحرب وأمر قواته بالتوجه إلى ساحل البنادر الخاضع لحكومة زنجبار فاحتلتها القوات المصرية وظلت بها لمدة عامين .

وتبدو الصنعة على هذه الرواية حيث سكتت عنها المصادر المصرية ودخول القوات المصرية لهذه المنطقة كانت له أسبابه الاستراتيجية والعسكرية .

أنظر سعيد بن على المغيرى : جهينة الأخبار .. سابق ؛ ص ٢٥٩ .

وحذر حكومته من أن السماح ببقاء الاحتلال المصرى لأى جزء من ساحل الصومال سيؤدى إلى انتشار حالة من الفوضى والاضطراب فى هذه المنطقة من أفريقية الشرقية وسيقضى على المحاولات البريطانية الرامية إلى تنشيط التجارة ومكافحة الرق والنخاسة فيها .

وقد أرسل كيرك من جانبه احتجاجا إلى القائد المصرى للحملة أصر فيه على القول بأن للضباط الانجليز حقوقا فى ممتلكات سلطان زنجبار ، وطلب من القائد المصرى تعهدا كتابيا بعدم التعرض لحريته وحرية الضباط الانجليز على الشاطىء . وقد رد القائد قائلا المصرى بأن الحكومة المصرية قد فتحت هذه المناطق .

وأقامت فيها حاميات من الجند وأنه لا يحق لأحد النزول إلى الشاطىء دون تصريح مسبق من الحاكم العام للبلاد ، وإذا حاول الانجليز استخدام القوة فإن الحامية المصرية سترد عليهم [١] .

وقد أبرقت الحكومة البريطانية إلى قنصلها بعدم استخدام القوه ريثما تستعلم الحكومة من قنصلها بالقاهرة عن حقيقة أهداف الحملة . ولم يشأ اسماعيل كعادته أن يتحدى المصالح البريطانية فى أفريقيا ، وعلى العكس طلب وساطة الانجليز لدى السلطان برغش حتى يكف عن أدعاءاته فى جنوب الصومال .

والذى يعنينا فى هذا المقام أن الحكومة المصرية لم تعترف بوجهة النظر البريطانية واعترفت بامتداد السلطة المصرية إلى رأس جردفون فقط أما جنوب ذلك فهو فى رأيها جزء من سلطنة زنجبار وهكذا انسحبت

---

(١) د. السعيد رزق حجاج : الصومال فى العصر الحديث ، ١٩٨٧ ، ص ٤٣ .

الحملة المصرية إلى قاعدتها فى زيلع واعصر احتمال المواجهة بين مصر وزنجبار .

وهكذا ظهرت الحكومة البريطانية أمام السلطان برغش بمظهر المدافع عن مصالحة والمستعد لحمايته (٢) .

ولا ريب أن الموقف المتشدد الذى اتخذه المصريون بعد ذلك فى براوة ومنعهم «كيرك» من دخولها ورفض القائد المصرى هناك الاعتراف بسلطة القنصل باعتبار أنه يتمتع بهذه السلطات فى زنجبار فقط . . هذا الموقف أحنق كيرك على الحكم المصرى فى الصومال وأكد له أن هيبة النفوذ البريطانى فى زنجبار وممتلكاتها الأفريقية ستضيع لا محالة إن لم يعمل على أخراج المصريين من هذه المنطقة من أفريقيا الشرقية ومن ثم فلم يلبث أن أستأنف (كيرك) الكتابة إلى وزارة الخارجية البريطانية شارحاً أخطار التدخل المصرى على نفوذ سلطان زنجبار وعلى مصالح بريطانيا فى المنطقة (٣) .

مشروع وليم ماكينون الاستعمارى :

وليم ماكينون (١٨٢٣ — ١٨٩٣) من الشخصيات البريطانية التى لعبت دوراً استعماريا كبيرا فى شرق أفريقيا ، حيث كان من أشد المؤيدين لتأسيس شركة بريطانية فى أفريقية الشرقية لاستغلالها أقتصاديا وإزالة النفوذ العربى عنها .

---

(٢) د . جاد طه : سابق ، ص ١٢١ — ١٢٢ .
(٣) د حراز : سابق ، ص ٢٠٩ .

وماكينون من أصل اسكتلندى متواضع ، حصل على قدر يسير من التعليم شق به طريقة فى الحياة وارتقى سلم المجد بخطوات سريعة ابدأ حياته العملية كاتبا فى أحدى الشركات التجارية الصغيرة ، ثم اشتغل ابتداء من عام ١٨٤٧ التجارة فى الهند ، وربح منها أموالا طائلة استعان بها عام ١٨٦٢ فى تأسيس «شركة الهند البريطانية للملاحة التجارية» التى سرعان ما أصبحت من أهم الشركات الملاحية فى العالم واستطاع ماكينون فى سنوات قلائل أن يجمع ثروة ضخمة جعلته من كبار الاقتصاديين فى بريطانيا وأشهر رجال المال والأعمال فيها .

وفى عام ١٨٧٢ تعاقد مع الحكومة البريطانية على أن تتولى بواخر شركته نقل البريد شهريا بين زنجبار وعدن مقابل إعانة سنوية ومن هنا جاء اتصاله واهتمامه بالقارة الافريقية .

وقد فكر كل من ماكينون وبكستون ومجموعة من رجال المال والأعمال الانجليز فى إنشاء شركة تحصل من سلطان زنجبار على عقد امتياز لاستغلال الأراضى الواقعة فى شرقى أفريقية الأوسط[1] .

وأخذ ماكينون وبكستون يعدون مشروعهم عن شرق افريقيا لكى يقدموه لسلطان زنجبار . ووصل مندوبهم جيرالد والر walley فى يوم ٤ من إبريل ١٨٧٧ إلى زنجبار لكى يفاوض السلطان فى هذا المشروع الذى كان فى غاية الجرأة والوقاحة إذا أنه لم يطالب بمجرد الحصول على أحدى الموانى أو على عقد امتياز أو احتكار ، بل كان فى واقع الأمر يسعى إلى الاشراف الاقتصادى والسياسى على كل أراضى السلطان وعلى

---

(١) د. السيد رجب حراز : أفريقية الشرقية . ص ص ٢٣٦ - ٢٢٩

المنطقة التى تمتد منها حتى البحيرات العظمى . فاقترح المشروع أن يسمح السلطان لهذه الشركة وممثليها بالقيام برسم وتنفيذ جميع أعمال المرافق العامة فى كل أملاكه ، وأن يسمح لهم بتعين المندوبين لحكم المديريات باسمه ، وبتعيين ممثلى الهيئة القضائية . وباصدار القوانين اللازمة لادارة المديريات وبتجنيد قوات مسلحة لحماية هذه الادارة ، وعلى الرغم من أن هذه القوات ستعتبر فى خدمة السلطان إلا أنها لن تخضع إلا لقيادة ضباط بريطانيين تعينهم الشركة ، ويسمح للشركة كذلك بعقد المعاهدات مع الحكومات المجاورة أو مع المشايخ والرؤساء المحليين ، وأن تحتل وتنظم وضعية جمع الأراضى التى لم يتم أحتلالها ، وأن تفرض وتجمع الضرائب المحلية اللازمة للمحافظة على الإدارة المحلية وحكومات المديريات والقوات المسلحة والهيئة القضائية ولتحسين حالة الطرق البرية ووسائل المواصلات النهرية والاشغال العامة ومنشآت الدفاع ،ولتصفية الديون ودفع الأرباح عن رأس المال .

ويتضح من استعراض بنود هذا العقد أن الشركة البريطانية كان تسعى إلى الحصول على عقد امتياز من سلطان زنجبار يسمح لها بالقيام بكل اختصاصات حكومات المستعمرات . وكان للشركة وإدارتها وقضائها وماليتها وأقسامها الفنية أن تحكم بكل معنى الكلمة وأن تصدر القوانين وتحكم بها وأن تجند القوات المسلحة وتستخدمها ، وأن تشرف على ملكية الاراضى والعقارات ، وأن تربط الميزانيه وتنفقها ويكون لها حق عقد المعاهدات وأن تحكم كل اراضى السلطان على الساحل الافريقى ولا تترك له إلا جزيرتى بمبا وزنجبار وليس هذا فقط بل طالب المشروع بحق الشركة فى الاستغلال الاقتصادى لهذه المناطق وبحقوق مطلقة فى تنظيم الملاحة فى الانهر والبحيرات وانشاء الطرق والسكك الحديدية وخطوط

التلغراف وفى التنقيب عن المعادن واستغلالها وفى إصدار النقد وسك العملة والاشراف على استيراد الأسلحة والذخائر والمعسكرات أو الغائها كما طالبت الشركة باحتلال ميناء أو بضعة موانى على الساحل وأن يسمح لها بتحصيل الرسول الجمركية هناك بل طالبت باحتكار إدارة الجمارك فى كل موانى السلطان لمدة ٦٦ عاما .

وكان الاقتراح يقضى بأن تعمل الشركة لمده سبعين عاماً قابلة للتجديد بطبيعة الحال .

هذه الامتيازات كلها فى مقابل منح السلطان ٢٠ ٪ من الأرباح بعد دفع المصاريف .

المفاوضات حول مشروع ماكينون :

فى الرابع من إبريل ١٨٧٧ وصل والر إلى زنجبار يحمل نسخة من عقد الامتياز المقترح وبعد أطلاع « جون كيرك » القنصل البريطانى عليه أرسل إلى حكومته نسخة منه ومذكرة تتضمن انتقادات عليه وكانت أهم تلك الانتقادات عدم مرعاة حقوق الاجانب التى يتمتعون بها فى زنجبار بموجب معاهدات دولية ، كما أن الاشراف التام على الملاحة النهرية سيخرق جميع المعاهدات بين زنجبار وبين الدول الأجنبية كفرنسا والولايات المتحدة وكان رأى « كيرك » أن البنود المقترحة ، إنما هى فى صالح السلطان الذى سيكسب كل شىء ولن يخسر شيئا سوى حكمة الشخصى وممارسة سلطاته على ممتلكاته وهما يستلزمان إشرافاً يمتص فى الوقت الحاضر دخله ولا يعطيه شيئاً سوى المتاعب والمضايقات التى لا تنتهى .

والغريب فى الأمر أن كيرك أعلن فى ١٤ إبريل أن السلطان قد أبلغه

بأنه على أستعداد للموافقة على المشروع من جهة المبدأ وإن كانت بعض النقاط الواردة في العقد بحاجة إلى مناقشة وهي نقاط قليلة جداً وإنه « لا تبدو في الحقيقة أية عقبة كبيرة في طريق الحصول على عقد الامتياز »(١) .

كما أعلن السلطان من ناحية أنه يرجو ازالة العقبات قبل أن يوقع على هذا العقد الذي يؤيده تأييداً قلبياً . ولكن حدث أمور أخرى منها حمق المستشرق « بادجر » الذي أصر على أن يقبل السلطان مشروع الامتياز الجديد دون مناقشة وقد ترك بادجر الذي تجرد من الدبلوماسية واللياقة أثراً سيئاً وخطيرا في نفس السلطان .

فشل المشروع :

بدأ السلطان برغش بن سعيد يثير الكثير من الاعتراضات مما عجل بانهاء المفاوضات وعودة والر وبادجر إلى وطنهما في يوليو ١٨٧٨ . وقد كتب السلطان إلى ماكينون في ٢٣ مايو من ذات السنة يقول « إن التأمل بإمعان في بنود عقد الامتياز هذا قد كشف عن مصاعب عديدة » .

وتتضح أهمية الوقت في مسأله أخرى أثارها السلطان فقد أتاح ضياع سنة كاملة بين بعثة والر الأولى وبين « بعثته » الثانية إلى زنجبار فرصة لزعماء العرب ومشايخهم لامعان التفكير والتأمل في هذا المشروع الاستعماري وما ينطوي عليه من إخطار تهدد حياتهم ، ولاريب أن هؤلاء قد أفزعهم أن يمنح السلطان شركة أوروبية حقوقاً تجارية وسياسية وعسكرية كبيرة تهدد حكم السلطان في زنجبار وممتلكاتها .

---

(١) د . السعيد رزق . ، الاستعمار الأوروبي ، سابق ص ١٠٠

ويمكن للباحث أن يقرر فى النهاية بأن أسباب فشل المشروع تتمثل فى حماقة بادجر وعدم لياقته ، ومعارضة العرب والسواحلية فى أفريقيا الشرقية لتوغل النفوذ الأجنبي فى المنطقة ، ورفض السلطان برغش التنازل عن سلطاته وحقوقه .

كذلك من أهم أسباب فشل المشروع تخلى الحكومة البريطانية عنه ومناشدة ماكينون ومن معه بتنفيذه على مسئوليتهم نظراً لأن بريطانيا كانت تمر بأزمة أقتصادية سيئة (١) .

ومهما كانت أسباب الفشل ، فليس هناك شك فى أنه عندما سقط الامتياز المقترح ، خسرت بريطانيا فرصة ذهبية لاكمال سيطرتها منفردة على شرق أفريقيا فقد اقترب موعد الصراع وجاء المتنافسون إلى المنطقة بأعداد كبيرة (٢) .

وكان من بين المتنافسين على ممتلكات سلطان زنجبار الملك ليوبولد ملك بلجيكا فقد قررت جمعية أفريقيا البلجيكية الدوليه التى بدأت أعمالها فى عام ١٨٧٦ أن أسهل وأقرب الطرق إلى وسط القارة هو من زنجبار .

وقد نجحت الحملة البلجيكية الأولى عام ١٨٧٧ فى تأسيس مراكز فى تابوره وكاريمة على بحيرة تنجانيقا التى وصلها فى أغسطس ١٨٧٩ ثم توالت البعثات الأخرى بعد ذلك حتى تمت السيطرة على الكونغو بعد سقوط

---

(١) د . حجاج : سابق ، ص ١٠٢ .

(٢) د . جاد طه ، سابق ، ص ١٢٤ .

العاصمة كاسونجو فى ٢٣ مارس ١٨٩٣ أما الفرنسيون فقد قاموا فى غضون ذلك الوقت بسلسلة من المحـــاولات للحصول على امتيازات فى شرق القـارة .

وقد جهز الفرنسيون حملة فى عام ١٨٧٨ تعد من أهم الحملات التى توغلت فى ممتلـكات السلطان وكانت هذه الحملة بقيادة قس فرنسى هو ديبيز Debaize الذى كانت الحكومة الفرنسية قد منحته الأذن بالـكشف فى هذه المنطقة وفى بداية عام ١٨٧٨ وصل ديبيز إلى زنجبار و بعد تدخل « كيرك » وتنسيق المواقف بين فرنسا وانجلترا حولت الحكومة الفرنسية وجهتها جنوبا ، ونجحت فى عام ١٨٨٣ فى تأسيس محميات على بعض جزر القمر وكسبت موقع قدم فى مدغشقر [1] .

النشاط الألمانى فى المنطقة :

شهد عام ١٨٨٣ نشاطا ألمانيا فى شرق أفريقيا حيث عينت الحكومة الألمـانية جيرارد ولفس فى أول أكتوبر قنصلا عاما فى زنجبار وقد أثار تعينه قلق الانجليز لا سيما وأن هذا القنصل كان معروفا برغبته فى الحصول على مستعمرات لبلاده ولم يخف أسفه لوقوف ألمـانيا مكتوفة الايدى أمام توسع انجلترا فى وسط أفريقيا [2] .

معاهدات الحماية :

وصل الألمـانى كارل بيترز إلى زنجبار فى ٤ من نوفمبر سنة ١٨٨٤ مع ثلاثة من زملائه سرا يحملون أوراق بأسماء مستعارة ومتخفين فى ثياب

---

(١) د. جاد طه ، سابق ، ص ١٢٧ .

(٢) د. جلال يحى . سابق ، ص ١٧٣ .

ميكانيكين وكان كارل بيترز هو مؤسس « جمعية الاستعمار الألمانى » فى أوائل ذلك العام تمهيداً للمشروعات الجزئية التى قرر القيام بها .

وقد نجح بيترز فى عقد أثنتى عشرة « معاهدة » مع بعض الرؤساء والمشايخ المحليين تعطى لجمعيته « السيادة » على منطقة واسعة فى أو ساجارا واوزيجوا وأوكامى ونجورو وكانت هذه المعاهدات قصيرة وبسيطة تمنح لجمعيته كل هذه الأراضى وما عليها من منشآت لاستخدامها فى صالح الاستعمار الألمانى ، ولم ينس كارل بيترز أن يذكر فى آخر هذه « الاتفاقات » أن هؤلاء المشايخ هم سلاطين « وملوك » مستقلون ويتمتعون بكامل السيادة ولا يتصلون بسلطان زنجبار بأى صلة وذهب فى بعضها إلى أبعد من ذلك ذاكراً أن هؤلاء الرؤساء ، لم يعرفوا حتى بوجود سلطان زنجبار[1] .

وفى عام ١٨٨٨ — ١٨٨٩ قامت ثورة فى أجاموبو بقيادة عربى يدعى بشير بن سليم أدت إلى تدخل الحكومة الألمانية واستيلائها على المنطقة .

وهكذا تتضح حقيقة التوسع الألمانى فى أفريقيا وهى تختلف مع ما أعلنه بسمارك فى عام ١٨٧١ بعد تحقيق الاتحاد الألمانى من أن بلاد ستقف خارج هذا التنافس الاستعمارى وأنها ستتبع سياسة أوربية تحقق من خلالها الأمن للرايخ الألمانى . وأنه (بسمارك) ليس مقتنعاً بقيمة المستعمرات وجدواها بالنسبة لدولة ناشئة كألمانيا . .

وأكد مرة أخرى فى عام ١٨٨١ سياسته هذه بقوله « طالما بقيت مستشاراً للرايخ فلن اتبع سياسة استعمارية »

---

(١) المرجع السابق : ص ١٧٣ .

وكان بسمارك يؤيد أقواله تلك بالأفعال، فقد تجاهل فى عام ١٨٧٠ طلبا سريا وجهه السلطان برغش إلى القنصل الألمانى فى زنجبار بأن تتولى ألمانيا حماية السلطنة من التدخل البريطانى كما رفض عام ١٨٧٤ رجاء الرحالين الألمانيين او توكرستين وريتشارد برنر بإعلان الحماية الألمانية على زنجبار

وكان يعتقد من ناحية اخرى أن المانيا لا تستطيع منافسة الانجليز فى الميدان الاستعمارى [١] .

ولكن ثمة عدداً من العوامل : أخذت تؤثر عليه وتغير من موقفه فيما بعد .

ومن بين هذه العوامل: التطور المطرد لألمانيا فى مجال الصناعة والتجارة وتزايد نشاط القوى الأوربية الاخرى من حوله وتأكد من أنه إذا لم تتوسع المانيا فيما وراء البحار فإنها ستبقى عاجزة عن تحقيق مطامعها القومية والحصول على مركز الصدارة فى أوربا .

وقد أدى هذا التغير فى سياسة المانيا ودخولها حلبة الاستعمار إلى دعوتها لعقد مؤتمر دولى لتقسيم مناطق النفوذ فى أفريقيا وهو المؤتمر المعروف (بمؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥) وسيأتى الحديث عنه فيما بعد [٢] .

أطماع بلجيكا فى ممتلكات سلطان زنجبار :

عندما ولى الملك ليوبولد الحكم فى بلجيكا عام ١٨٦٥ وكان شخصا

---

(١) د . السعيد رزق حجاج : سابق ، ص ١٠٤

(٢) د . عبد العزيز رفاعى : الحركة القومية فى أفريقيا ، ص ٢٨ .

ذا مطامح وأطماع كبيرة تفوق امكاناته، حيث كان يحلم ببناء إمبراطورية واسعة وواتته الفرصة فى عام ١٨٧٦ عندما أسس الجمعية الأفريقية الدولية التى قامت بانشاء عدد من المحطات العلمية والتجارية عبر وسط أفريقيا من زنجبار حتى الأطلنطى.

وكانت أول بعثتين كشفيين للجمعية قد دخلتا القارة من زنجبار عام ١٨٧٨ و١٨٧٩ وارتبطتا بمحطات البعثات التنصيرية للاباء البيض فى تابورا وبحيرة تنجانيقا.

وفى ذات الوقت كان ليوبولد يعمل جاهداً لكى تعترف الدول بحكمه لحوض الكونغو ونجح فى أقناع معظم الدول الاوربية بأنه من الافضل أن يصبح حوض الكونغو منطقة تجارية حرة تحت نطاق «الدول» بدلا من وقوعه فى يد الدول المتنافسة (١).

ويمكن القول أن «ليو بولد» يعتبر أكثر من أى شخص أخر المسئول عن خلق جو من «التكالب» على افريقيا وأثبتت الأحداث ان هذا الملك كشف عن اهتماماته العميقة بالتوسع فى افريقيا وذلك عندما طلب من السلطان برغش عن طريق رابو E.Rabauq قنصل فرنسا فى زنجبار ان يتنازل لبلجيكا عن ميناء فى ساحل افريقيا الشرقى.

موقف القنصل البريطانى:

فسر كيرك الذى كان يراقب باهتمام بالغ جميع حملات الجمعية الدولية

---

(٢) رولاند أوليفر، جون فيج: موجز تاريخ افريقيا. ت.د. دولت صادق ص ٢٠٠.

الأفريقية ـ المطلب البلجيكي السابق بأنه محاولة من جانب ليوبولد الثاني للحصول على نفوذ سياسي في أفريقيا الشرقية وعملا بسياسته التي كانت تتخذ من الدفاع عن مصالح زنجبار ستاراً لتحقيق أغراض بريطانيا الاستعمارية في أفريقية الشرقية، نجد كيرك قد عمد أواخر السبعينات إلى تحدى ما أطلق عليه « الاعتداءات » على أملاك زنجبار بالحصول لنفسه على المزيد من السلطات القنصليه ، وبمحاولة توطيد سلطة السلطان برغش ابن سعيد وتقوية سند سلطته في الداخل عن طريق تكوين فرقة حربية برية من الأفريقيين الحقت بجيش زنجبار وتولى تدريبها الضابط البحرى البريطاني لويد وليم ما ثيوس Lloyd william Mathews [1] .

الذى سيصبح بعد ذلك أول وزير بريطاني مقيم في زنجبار بعد وضعها تحت الحماية البريطانية عام ١٨٩٠ وعندما طلب رايو من برغش التنازل عن ميناء في ساحل أفريقية الشرقي للملك ليوبولد الثاني أوعز كيرك للسلطان برفض هذا المطلب ، وكتب إلى رؤسائه بوزارة الخارجية مدافعاً عن مصلحة زنجبار بنفس الطريقة التي دافع بها عنها عام ١٨٧٥ عند مجيء حملة الجيش المصرى إلى ساحل الصومال .

مؤتمر برلين ١٨٨٤ — ١٨٨٥ .

افتتح مؤتمر برلين Beyliu Afyicau Conference أعماله في ١٥ نوفمبر عام ١٨٨٤ وكانت الدول المشتركة فيه هي :

المانيا - فرنسا — النمسا - المجر — بلجيكا — بريطانيا الدانمرك

---

(١) د. السيد رجب حراز : سابق ، ص ٢٧٥ .

إيطاليا هولندا النرويج — السويد — البرتغال — روسيا — أسبانيا تركيا الولايات المتحدة الأمريكية .

وقد تناول المؤتمر عدداً من النقاط والمبادىء التي رآها المجتمعون ضرورية لتحترمها القوى التي تسعى لاستعمار أفريقيا .

وبعيدا عن التفاصيل التي دارت في مناقشات المؤتمرين نرى أنه قد أصدر في ٢٦ فبراير عام ١٨٨٥ قراراته النهائية وكانت تتألف من ٣٨ مادة . وقد أعطت الدول المجتمعة — عدا الولايات المتحدة - تأكيدا نهائيا باحترام القرارات التي اتخذها المؤتمر والتي من أهمها (١) .

١ — حرية التجارة في حوض الكونغو .

٢ — الغاء تجارة الرقيق والعمل على مطاردتها والقضاء عليها .

٣ — عدم إعلان أي دولة ما حمايتها لمنطقة من مناطق القارة الافريقية دون أن تعلن ذلك إلى الدول الأخرى الموقعه على هذا الاتفاق.

٤ — عدم أعلان أي دولة ما حمايتها لمنطقة من مناطق القارة دون أن تؤيد هذه الحماية باحتلال فعلي لهذه المنطقة على أن تضمن هذه الدولة تقدم المستعمرة وتقيم فيها حكومة عادلة .

وهناك قرارات أخرى ولكن مايهمنا الآن أن هذا المؤتمر قد أقر سياسة الباب المفتوح في أفريقيا وقضى على أمل بريطانيا في السيطرة والاشراف على الكونغو باعترافه بالسيادة البلجيكية .

على أن المادة ٣٥ من مواد المؤتمر قد تضمنت مبدأ دوليا هاماً عرف

---

(١) د. عبد العزيز الرفاعي : سابق ، ص ٢٩ .

بمبدأ الاحتلال الفعلى أو مبدأ « السلطة الفعلية » وكان المقصود فى الظاهر من هذه المادة ، الزام الدول التى تضم أو تحتل أراض فى السواحل الأفريقية بأن تقيم سلطة أو حكومة فيها ، بهدف كفالة حرية التجارة والترانزيت . أما فى الواقع فقد زودت هذه المادة الدول الاوربية - وبخاصة ألمانيا - بنظرية تستطيع الارتكاز عليها والتعلل بأن أيه أراض أفريقيه لا تحتل احتلالا فعلياً - سواء فى السواحل أو فى داخل القارة فهى من قبيل الملك المباح أو الأرض التى لا صاحب لها والتى يجوز امتلاكها ووضعها .

ولا يخفى أن بسمارك بصفته رئيسا للمؤتمر هو الذى قاد تشكيل مواد المؤتمر بطريقة أفادت ألمانيا أكثر من غيرها من الدول الأوربية .

وعلى الرغم من أن البعض يعتبر مؤتمر برلين هو الذى فتح الطريق رسمياً « للتزاحم » على امتلاك الأراضى الافريقية إلا أنه فى الوقت الذى كان المؤتمر منعقدا كان التسابق « الدولى قائما من الناحية الفعلية حول التوسع فى أفريقيا .

فقد ضمت ألمانيا توجو والكاميرون ونجح بيترز الألمانى - كما أسلفنا - فى عقد اتفاقات مع بعض الزعماء المحليين فى أفريقيا الشرقية . كما أن القنصل البريطانى كان يسير فى خطته التى وضعها بالسيطرة الكاملة على زنجبار ،

ومن ناحية أخرى لم يناقش المؤتمر مصير المستعمرات التى كانت قد احتلت فعلا مثل الجزائر وتونس ومدغشقر ومصر وغيرها من الدول الأفريقية وإذا كان المؤتمر قد ناقش بعض الجوانب الأخرى التى يعتبرها بعض

المؤرخين الأوربين « إنسانية » ومن بينها مسألة محاربة تجـــارة الرقيق والتوصية بعدم استغلال الوطنيين الأفريقيين، والعمل على ترقية المستعمرات وتنمية مواردها فقد كانت هذه الجوانب ذراً للرماد فالذى نجم عن المؤتمر هو الاستغلال الكامل لإمكانات هذه الدول التى ابتليت بالاستعمار الأوربى واستنزاف خيراتها وتحويلها إلى هياكل عظمية بعد قرابة قرن من الإحتلال وأخيراً بدأ التكالب فى أعقاب هذا المؤتمر على تملك أجزاء كبيرة من أفريقيا ، وعقدت سلسلة معاهدات وإتفاقات لم تشهد السياسة مثلها فى أى عصر ومنها على سبيل المثال وليس الحصر .

١٨٨٥ : إنشاء ولاية الكونغو بين بلجيكا والبرتغال وأخرى بين بلجيكا وفرنسا .

١٨٨٦ : اتفاق ألمانيا وانجلترا بشأن شرق أفريقيا .

١٨٨٧ : اتفاق بين بلجيكا وفرنسا بشأن الحدود فى منطقة الكونغو

١٨٨٨ : اتفاق فرنسا وانجلترا بشأن الصومال .

١٨٨٩ : نزول الإيطاليين فى الصومال الإيطالى .

١٨٨٩ : وصول لوجارد إلى أوغندا واتفاقا فرنسيا إنجليزيا بشأن الصحراء واتفاقا انجليزيا برتغاليا بشأن اعتراف الأخيرة بنيا سالاند .

١٨٩١ : معاهدة انجلترا مع ملك أوغندا واتفاقا انجليزيا إيطاليا بشأن الصومال .

١٨٩٢ : احتلال أوغندا .

١٨٩٤ : اتفاقاً انجليزيا إيطاليا بشأن ارتريا ومعاهدة بين البرتغال وبلجيكا وانجلترا بشأن حدود الكونغو واتفاقاً ألمانيا فرنسيا بشأن الصحراء

سياسة ألمانيا فى شرق أفريقيا بعد المؤتمر :

سبق الحديث عن كارل بيترز ورحلته إلى شرق أفريقيا والمعاهدات التى عقدها وكيف كان نشاطه إيذانا ببدء مخططات جديدة فى المنطقة ونضيف هنا أن بيترز عندما عاد إلى برلين ، كان المؤتمر (١٨٨٤ - ١٨٨٥) لايزال منعقداً ، وكان بسمارك قد قدم إدعاءات على أقاليم فى غرب وجنوب أفريقيا وكذلك على الساحل الشمالى لغينيا الجديدة . وقرر لذلك أن لا يقدم مطالبا أخرى أثناء إنعقاد المؤتمر ، وانتظر حتى اليوم التالى لصدور قرارات المؤتمر ليقدم للامبراطور الألمانى التوقيع رسميا على الوثيقة التى تضم المناطق التى حصل بيترز على توقيعات بتنازل رؤسائها عنها لكى تصبح تحت حماية الحكومة الألمانيا .

وهكذا انتظر بسمارك حتى غادر كل أعضاء المؤتمر العاصمة الألمانية لينشر فى الصحف الألمانية فى ٣ مارس المرسوم الذى يعلن الحماية الألمانية على المنطقة المواجهة لجزيرة زنجبار ، والتى وصفت بأنها تقع « إلى الغرب من امبراطورية زنجبار وخارج نطاق نفوذ الدول الأخرى »(١) .

وكان من الطبيعى بعد أن علم السلطان برغش فى ٢٥ ابريل ١٨٨٥ بما فعلته الحكومة الألمانية من ضمها للطريق الرئيسى المواجه لزنجبار أن يرسل احتجاجا عنيفاً إلى الأمبراطور الألمانى جاء فيه أن « هذه الأرض هى أراضينا ، وأن هؤلاء الرؤساء الذين اعترفوا بالتنازل عن حقوق السيادة لوكلاء الجمعية الألمانية ليست لديهم السلطة لعمل ذلك .

والذى لاشك فيه أن السلطان كان يمتلك الأسس القانونية بالنسبة

---

(١) د. جاد طه : سابق ، ص ١٢ .

لحقوقه فى أراضى سلطنته العربية إلا أنه لم يكن يملك القوة لمواجهة أطماع القوى الكبرى فى أراضى السلطنة[1] . ولذلك لم تأبه الحكومة الألمانية باحتجاج السلطان ولم تخشى من رد فعل بريطانى ضدها مما جعل بسمارك ينتهج سياسة أكثر تشدداً فبدلا من أن يرسل أحد الدبلوماسيين للتفاوض أرسل قوة بحرية وإنذاراً للسلطان بسحب كل احتجاجاته ضد المعاهدات التى عقدتها ألمانيا مع رؤساء أو ساجارا ونجورد وأوسيجوا وأوكامى ووبتو وإلا فسوف تضرب زنجبار بالقنابل . وكما كان متوقعا وافق السلطان على كل مطالب المستشار الألمانى وأعلن رغبته فى إقامة علاقات ودية واستعداده للتفاوض .

وأخيرا فإن كيرك « نجح فى أن يوصى إلى السلطان بأن يكتب خطاباً رقيقاً للقائد البحرى الألمانى « باشن » مستفسرا منه عما إذا كان قد استلم تعليمات حديثة قد تكون مختلفة نوعا عما قدمه من طلبات ووافق القائد البحرى الألمانى على إعطاء السلطان مهلة جديدة ، وخلال هذه الفترة تمكن كيرك من إقناع السلطان بوجهة نظر وزارة الخارجية البريطانية .

وأخيراً كتب برغش إلى الألمان يعترف بالحماية الألمانية على المناطق التى سبق ذكرها . ويتعهد بسحب قواته وموظفيه منها « كنتيجة لطلب امبراطور ألمانيا الذى هو تكليف أخير (إنذار) وأمر ضرورى لبدء المفاوضات الودية » .

وهكذا ثبت أن نزول ألمانيا ميدان شرق أفريقية هدم السياسة البريطانية فيها وهدم الأسس التى قامت عليها خصوصاً وأن الوقت كان

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٢٩

قد أحسن اختياره ، وقامت ألمانيا بدراسة خطتها وبتنفيذها فى جو لم تكن انجلترا تقدر فيه على الوقوف أمامها(١) .

اللجنة الثلاثيـــة :

تم الاتفاق على تشكيل لجنة تضم ممثلين من ألمانيا وبريطانيا وفرنسا « للتحقق من الحدود الفعلية لممتلكات سلطان زنجبار » وقد مثل فرنسا فى اجتماعات اللجنة قنصلها العام فى بيروت . أما ألمانيا فإنها انتدبت شميث قنصلها العام فى القاهرة واختارت انجلترا الكولونيل « كتشنر » بعد قيامه بأعمال المخابرات فى شمال السودان .

والغريب فى الأمر أن اللجنة طلبت من سلطان زنجبار ألا يشترك فى أعمالها بنفس المستوى الذى تشترك به الدول الثلاث بل يعين مندوباً لتمثيل مصالحه أمـــام اللجنة ، تكون مهمته الإجابة على الأسئلة التى تعرض عليه فقط .

وكان من الطبيعى أن يشك السلطان فى نيات هذه اللجنة ولكنه كان عاجزاً عن اتخاذ موقف حازم لمواجهة هذه التحديات الاستعمارية وهذا الأسلوب البعيد عن اللياقة والذى خوطب به سلطان زنجبار .

وقد قامت اللجنة بزيارة الساحل الأفريقى من خليج تانجى الحد الشمالى للمستعمرة البرتغالية متجهة صوب دار السلام ووقفت قليلا فى كل ميناء وشاهدت وجود إعلام السلطان فى هذه الموانى وخضوعها لإدارته ، وعلى الرغم من هذه الحقائق الدامغة إلا أن المندوب الألمانى طلب من زميليه عدم إثباتها فى محاضرهم رسميا قبل استلام تعليمات من حكومة برلين .

---

(١) د جلال يحيى : سابق ، ص ص ١٨٧ — ١٨٨

وفى نفس الوقت الذى كانت اللجنة تمارس عملها كان المستكشفون الألمان يواصلون جهودهم فى جميع «المعاهدات» التى تحمل بصمات الشيوخ المحليين والتى تغطى أراضيهم للاستعمار الألمانى[1] .

وفيما بين ٢٢ فبراير و٨ مارس ١٨٨٦ طافت اللجنة بالقطاع الأوسط من الساحل ، فزارت السعدنى ، وبانجانى ، وطنجة ، وفانجا وواسين ، وجاس وممبسة وتاكونجو وتحققت من أن سلطة السلطان ثابتة فى هذا القطاع من الساحل ، وأن ولاة السلطان وحكامه يقيمون العدل ويحفظون النظام بطريقة تتلاءم مع أحوال هذه البلاد ، وإن راية زنجبار ترفرف على المدن والقرى الصغيرة ، بل وفى بعض الأحيان على المنازل[2] .

وأخيرا قامت اللجنة فيما بين ٢٢ مارس و ٨ ابريل عام ١٨٨٦ بجولتها التفتيشية الثالثة والأخيرة فى القطاع الشمالى من الساحل فزارت قسمايو وبراوه ومقدشو وبركه وباته ولامو وكيبنى وملندى ، ووجدت فى هذه الموانى ولاة وحكاماً يحكمون باسم السلطان ويتقاضون منه الرواتب .

إنقسام أعضاء اللجنة :

عندما بدأت اللجنة فى وضع تقريرها النهائى فى أوائل شهر مايو ١٨٨٦ نشب خلال بين أعضائها حول مدى إمتداد سلطة السلطان الفعلية على طول الساحل ، وكذلك حول مدى إمتداد هذه السلطة صوب الداخل .

وقد أيد المندوب الفرنسى وجهة نظر المندوب البريطانى وبعد اتصالات

---

(١) انظر : د. السيد رجب حراز ، سابق ، ص ٣١٢ - ٣١٥ ،
د. جلال يحيى ، سابق ص ١٩٦

(٢) د. حراز ، سابق ، ص ٣١٤

بين حكومتى ألمانيا وفرنسا بشأن الموقف الفرنسى غير الودى الذى وقفه مندوب فرنسا ، وذلك فى مقابل إطلاق يد فرنسا فى جزر القمر .

ووسط هذا الجو المشحون بالتوتر عرض «كيرك» اقتراحا باقتسام أفريقية الشرقية بين ألمانيا وبريطانيا ، وهو الاقتراح الذى تخلى به صاحبه عن سياسته التقليدية فى المحافظة على أملاك سلطان زنجبار مفضلا حصول بريطانيا على نصف المنطقة بدلا من ضياعها كاملة .

وبعد مباحثات ثنائية فى لندن بين ألمانيا وبريطانيا تم الاتفاق على :

أولا : تعترف بريطانيا وألمانيا بحقوق سيادة زنجبار فى أفريقيا الشرقية على ما يلى :

(ا) جزيرة زنجبار وبمبه ولامو ومافيه .

(ب) الشريط الساحلى الممتد من منجانى عند رأس تونجى جنوبا ولغاية كيبنى الواقعة عند مصب نهر تانا شمالا ، وهو شريط يبلغ طول ستمائة ميل وعرضه عشرة أميال .

(حـ) مـوانى قسمايو وبراوه وبركه ومقدشو وورشيخ والأراضى التابعة لها فى الداخل ، على ألا يزيد إمتداد هذه الأراضى للموانى الأربع الأولى عن عشرة أميال وبالنسبة للميناء الأخير عن خمسة أميال .

ثانياً : يؤيد بريطانيا ألمانيا فى مفاوضاتها مع السلطان بهدف تأجير جمركى دار السلام ومانجانى لشركة أفريقيا الشرقية الألمانية

ثالثاً : قسم الأقليم الواقع بين نهرى روفوما وتانا إلى منطقة نفوذ بريطانية وألمانية.

رابعاً : تستخدم بريطانيا مساعيها الحميدة للوصول إلى تسوية ودية

الخلافات التي قد تنشب بين السلطان وبين الشركة الألمانية .

خامساً : تعترف الدولتان بأن الشريط الساحلى الممتد بين كيبيني والطرف الشمالى لخليج مانده هو ساحل ويتو كما توافق بريطانيا على ملكية ألمانيا لويتو وممر إلى البحر على خليج ماندار .

سادساً : تعمل الدولتان معا لدعوة السلطان للتوقيع على القرار النهائى لمؤتمر برلين .

سابعاً : تنضم ألمانيا للتصريح الثنائى البريطانى الفرنسى لعام ١٨٦٢ بشأن الاعتراف باستقلال سلطنة زنجبار .

ولم يشأ الطرفان إشراك فرنسا فى توقيع هذا الاتفاق فاكتفيا بإبلاغ صورة منه للحكومة الفرنسية .

وأما عن السلطان فقد صدم فى حليفته بريطانيا بعد أن تأكد له نفاق سياستها وأنها تعمل للقضاء على سلطنية .

ومع ذلك اضطر إلى التوقيع بنفسه على تقسيم السلطنة فى ١٢ ديسمبر سنة ١٨٨٦ .

ومن النتائج المؤسفة لهذا الإتفاق أن السلطنة العربية الأفريقية قد تقلصت كثيراً وحرمت من المناطق الداخلية التى كانت تابعة لها بصفة فعلية مثل تابوره ويوجيجى وكلمنجارو ، كما أن سلطة برغش فى الداخل قد تقلصت أيضاً ، وساد الاعتقاد عند الأفارقه فى المنطقة بأن الرجل الأبيض هو الذى يريد الاستحواذ على الأراضى الأفريقية وأخذ كره الرجل الأبيض يزداد عند الأفارقة كما لم يحدث من قبل .

ولعل السلطان برغش بن سعيد تأكد له بعد فوات الأوان أنه وقع

ضحيه لعدد من المحتالين فى مقدمتهم قنصل بريطانيا د كيرك ، ولذا قرر فى سنة ١٨٨٧ القيام بزيارة مسقط ليعيد تلك الصلة التى انقطعت منذ زمن بعيد بين فرعى البوسعيد ولكن وجد الأوضاع هناك غير مستقره ومن ثم عاد إلى زنجبار ولم يكد يبلغها فى مساء ٢٦ مارس ١٨٨٨ حتى جاز إلى ربه بعد بضع ساعات[١] .

ويبدو أن السلطان برغش قد شعر بدنو أجله فقام بهذه الزيارة إلى وطنه الذى كان يحن إليه دائماً ، كما أن طبيبه قد نصحه بزيارة عمان للعلاج بأخذ حمامات كبريتية فى قرية قرب مسقط[٢] .

وبعد وفاة السلطان برغش تولى الحكم أخوه الأصغر السيد خليفة وهو الذى وقع على عقد التنازل النهائى للألمان فى ٢٨ ابريل ١٨٨٨ .

وهكذا طويت صفحة من صفحات تاريخ شرق إفريقيا وإنتهى التنافس الدولى عليها لكى يحل محله احتلال الأوروبيين لهذه المناطق واستغلالها واستعباد مواطنيها ولو أن إيطاليا هى الأخرى كانت لها أطماعها فى الموانى الشمالية لسلطان زنجبار .

ومن ناحية أخرى عقدت معاهدة جديدة فى ١٨٩٠ أطلقت يد فرنسا فى مدغشقر ، وتمكنت ألمانيا من مد ممتلكاتها فى الغرب حتى البحيرات الكبرى ودولة الكنغو ، وحصلت انجلترا على زنجبار وبمبا وعلى حرية التصرف فى أوغندا[٣] .

---

(١) د صلاح العقاد وآخر : زنجبار ، ص ٢١١

(٢) د. جاد طه : سابق ، ص ١٣٤ ، د زاهر رياض ، سابق ص ٢٠٦

(٣) شارل أندريه جوليان : سابق ، ص ١٢١

ولم يمض وقت طويل على إعلان الحماية البريطانية على زنجبار حتى استولت إيطاليا على جزء من أراضي السلطنة على ساحل الصومال ، وذلك بناء على اتفاق بين الحكومة الإيطالية والشركة البريطانية .

وبسقوط زنجبار وقبل ذلك مصر تنتهي فترة حاسمة في تاريخ العالم الإسلامي لسقوط أكبر دولتين أفريقيتين كان من الممكن — لو تم التنسيق بينهما - قيامهما بدور كبير في خدمة العالم الإسلامي ، ولكن الدول الاستعمارية وفي مقدمتها بريطانيا أفزعها وجود هاتين القوتين لأنه يعني بكل بساطة مواجهة أطماع تلك الدول فلجأت إلى الحيلة والخداع والنفاق السياسي ومكنت لنفسها عن طريق الديون والمعاهدات والمناورات ثم لجأت إلى القوة لفرض سيادتها على أفريقية الشرقية .

ويمكننا أن نستخلص بعض الأسباب التي أدت إلى إنهيار أكبر دولتين عربيتين مصر وزنجبار .

١ — لم يكن هناك تنسيق بين هاتين الدولتين (مصر وزنجبار) بل وصل الأمر - بإيعاز من بريطانيا - إلى حد النزاع والصراع وتبادل الاتهامات بينهما .

٢ — التغلغل الأجنبي في شئون مصر وزنجبار حيث استعان حكامهما بالأوربيين كمستشارين وقادة ومعروف أن ولاء أي من هؤلاء لا يكون إلا لوطنه فقط وقد رأينا كيف طالب « كيرك » بتقسيم زنجبار بين ألمانيا وبريطانيا على الرغم من أنه كان من المقربين إلى السلطان ، كما أن استعانة الخديوي إسماعيل في مصر بالأوربيين في السودان وأعالي النيل والصومال وقد أثبتت الأحداث أن الكثيرين منهم كانوا لا يربطهم بها سوى المرتبات الكبيرة التي كانوا يتقاضونها من حكومتها .

٣ ـ نشاط بعثات التنصير الهدام فى زنجبار وكيف مهد هذا النشاط للتغلغل الاستعمارى ثم الاحتلال فى نهاية الأمر[1] .

٤ ـ غيبة الدولة الإسلامية المتحدة التى كان من الممكن مساندتها لكل من مصر وزنجبار وكانت الدولة العثمانية فى هذا الوقت مشغولة بحروبها مع روسيا فى البلقان .

٥ ـ التنسيق بين الدول الاستعمارية وعقد الكثير من الاتفاقات لتقسيم مناطق النفوذ على حساب الدولتين .

٦ ـ وقع السلطان برغش بن سعيد فى خطأ كبير حين ترك كثيرا من المناطق تحت حكم بعض الشيوخ أو الحكام الضعاف مما سهل لألمانيا وغيرها خداعهم والحصول منهم على معاهدات كانت الموصل إلى الحماية .

---

(١) لمزيد من التفصيل : د. عمر فروخ وآخر، التبشير والاستعمار .

زنجبار تحت الحماية البريطانية

تبدأ نقطة التحول في تاريخ زنجبار الحديث فى ٤ نوفمبر ١٨٩٠ عندما وضعت رسميا هى وبيمبا تحت الحماية البريطانية وكان ذلك يعنى ببساطة وضع حكومتها وإدارتها مستقبلا فى أيدى مسئولين بريطانيين وقد سبق إعلان الحماية عقد اتفاق بين ألمانيا وبريطانيا تم التوصيل إليه فى منتصف عام ١٩٨٠ أى فى عهد المستشار الألمانى الجديد فون كابرفى Von Capivi الذى كان يتلهف على صداقه بريطانيا .

وقد عرفت المعاهدة الألمانية الانجليزية بمعاهدة زنجبار ـ هليمولاند Heligoland[1] وتم التوقيع عليها فى أول يوليو ١٨٩٠ وكان الهدف منها إعادة تقسيم أفريقيا الشرقية بين الانجليز والألمان على النحو التالى :

أولا : اعترفت ألمانيا بانفراد بريطانيا بحق الحماية على جزيرتى بمبة وزنجبار ، وبذلك تكون ألمانيا قد تخلت عن مبدأ استقلال سلطنة زنجبار التى أقرته حينما انضمت إلى التصريح الثنائى البريطانى الفرنسى لعام ١٨٦٢ .

ثانياً : سلمت ألمانيا بإمتداد خط الحدود الفاصل بين منطقى النفوذ البريطانية والألمانية إلى بحيرة فيكتوريا وعبر هذه البحيرة إلى حدود ولاية الكونغو الحرة البلجيكية إلى الجنوب قليلا من بحيرة البرت .

---

(١) هليمولاند جزيرة فى بحر الشمال تنازلت عنها بريطانيا لألمانيا عربونا للصداقه وفى مقابل التنازل لبريطانيا عن بعض المناطق الهامة فى شرق أفريقيا .

ثالثاً : تنازلت ألمانيا عن حمايتها على سلطنة ويتو ، كما تنازلت عن كل دعاواها فى الشريط الساحلى الممتد بين ويتو وقسمايو والذى كانت ألمانيا قد أعلنت حمايتها عليه سنة ١٨٨٩ .

رابعاً : تنازلت ألمانيا عن بعض دعاواها فى منطقة توزيع المياه من بحيرتى نياسا وتنجانيقا فصار خط الحدود الجنوبى لمنطقة النفوذ ، الألمانية يمتد على طول نهر روفوما إلى الطرف الشمالى من بحيرة نياسا ، ومن هناك يسير فى الإتجاه الشمالى الغربى إلى الطرف الجنوبى لبحيرة تنجانيقا وفى مقابل ذلك حصلت ألمانيا على جزيرة مافيه .

خامساً : تعهدت بريطانيا باستخدام كل نفوذها لتسهيل التوصل إلى إتفاق ودى بين زنجبار وبين ألمانيا ، بحيث يتنازل السلطان بمقتضاه تنازلا تاماً لألمانيا عن الشريط الساحلى بين نهرى أو مباور وفوما البالغ عرضه عشرة أميال ، والذى كانت شركة أفريقيا الشرقية الألمانية تتولى إدارته بموجب امتياز حلصت عليه فى مايو ١٨٨٧ ، وذلك فى نظير تعويض عادل تدفعه للسلطان .

وهكذا تم إعادة تقسيم أفريقية الشرقية بريطانيا وألمانيا وأدت الحدود الاستعمارية إلى تمزيق شمل القبائل والشعوب التى تربطها وشائج القربى . ولاريب أن معاهدة زنجبار - هليجولاند قد أتاحت لشركة أفريقية الشرقية البريطانية حرية العمل فى منطقة واسعة من ممتلكات السلطان ، كما أنها وضعت حداً للاحتكاكات والمنازعات مع الألمان .

سياسة الاستعمار البريطانى فى زنجبار :

يتميز الاستعمار البريطانى بالدهاء واستخدام الحيل الدبلوماسية والنفاق السياسى ، وعدم الالتجاء إلى القسوة والعنف إلا عند الضرورة ، ومحاولة

إزالة أثر تلك القسوة بعد حدوثها وإضفاء الطابع القانونى على تلك الأعمال الجائرة والمقيدة للحرية والسالبة لحقوق السكان .

ومن خصائص هـــذا الاستعمار كذلك التظاهر بالعدول عن الخطأ والإنصات لشكاوى الشعوب وإتاحة الفرصة لهم بدفع الشكاوى إلى لندن وتكوين لجان للتحقيق فيها .

ومما ساعد على نجاح السياسة البريطانية فى المستعمرات طبيعة النظام البرلمانى الانجليزى الذى يدفع حزب المعارضة لنقد أخطاء الحكومة فى إدارة المستعمرات ولومها على ما ترتكبه فى حق السكان ، ولئن كان هذا النقد وذلك اللوم قلما يؤدى إلى نتيجة محسوسة - إلا أنه كان يؤدى أحياناً إلى استمالة بعض الزعماء الوطنيين الذى يتصفون بالاعتدال .

ومما اشتهر عن الاستعمار البريطانى كذلك ما يسمى « نظام التدرج بالمستعمرات نحو الحكم الذاتى » وقد قسمت بريطانيا مستعمراتها فى هذا الصدد — إلى قسمين رئيسيين :

١ — قسم المستعمرات ذات الحضارات القديمة والتقاليد الحكومية المتوارثة . (مثل نيجريا وأوغنده ومصر) وتلجأ بريطانيا فيه إلى « نظام الحكم غير المباشر » إذ تضع السلطات العليا كلها فى يد الحاكم العام البريطانى ويستميل الزعماء المحليين بالترغيب والترهيب الموافقة على ما يضعه من قوانين والقيام على تنفيذ تلك القوانين .

ومن مظاهر « التدرج نحو الحكم الذاتى » فى هذا النوع من المستعمرات اشتراك الزعماء المحليين ، اشتراكا صوريا تدريجياً فى حكم البلاد وقد كان هذا الاشتراك يتخذ سبيله على مراحل تدريجية بطيئة تبدأ « بمجلس

استشارى ، للحاكم العام ثم « بمجلس تنفيذى » ثم « بجمعية استشارية » تتدرج إلى جمعية تشريعية ، تكون نواة لبرلمان مسلوب الإرادة ومن أهم ما يلاحظ على نظام الحكم المباشر الذى يعتمد فى قيامه على الارستقراطية الاجتماعية أو القبلية . أو الدينية إنه يفسح المجال لقيام جمعيات أو هيئات قد تتطور فيما بعد وتصبح أحزاباً سياسية .

٢ — قسم المستعمرات الأقل تطوراً :

وهى التى كانت على حالة قريبة من الفطرة ولم يتح لها نصيب من النظام الإدارى أو التقاليد السياسية الموروثة كما كان الحال فى كينيا وتنجانيقا وأقاليم أفريقيا الوسطى .

وقد كانت بريطانيا تطبق فى تلك الأقاليم نظام « الحكم المباشر » وفيه يضع الحاكم العام البريطانى بمحض إرادته ما يشاء من لوائح وقوانين دون أن يلتزم بمشورة ولو شكلية . ويترك تنفيذها لأعوانه من المديرين والمفتشين[1] .

ومنذ أعلنت بريطانيا حمايتها على زنجبار أخذ نفوذها فى الازدياد حتى أصبح قنصلها فى الجزيرة هو القوة المحركة للسلطان ، بل أصبح يقوم بدور رئيس وزراء السلطان بصفة غير رسمية ، كما أغرى السلطان بتكوين قوة ورشح ضابط بريطانى لتدريبها ولم يلبث هذا الضابط أن عين رئيساً لوزراء زنجبار من عام ١٨٩٩ — ١٩٠١ .

وقد أبلغ قنصل بريطانيا العام فى محمية زنجبار جميع القناصل الأجانب

---

(١) د. جاد طه : دور بريطانيا وألمانيا فى تفكيك سلطنة زنجبار (العلاقات العربية) سابق ، ص ١٣٧

بأنه قد صدرت إليه تعليمات من حكومته بأن يتولى بنفسه تصريف كل شئون السلطان وعلاقاته مع ممثلى الدول الأجنبية كما بدأ « السير جيرالد بورتال » القنصل البريطانى الجديد فى إعادة تنظيم الإدارة فى المحمية بهدف تشديد قبضة بريطانيا عليها .

ولعل أهم ما يجب ملاحظته بخصوص محمية زنجبار ، أن هذه المحمية لم تخضع لنفس نظام « المراقبة » الذى خضعت له محميات أفريقية الشرقية وأوغنده ونياسا لاند . فعلى خلاف هذه المحميات التى وصفت بأنها « محميات اتخذت وضعية المستعمرات » فإن زنجبار يجب أن تندرج تحت وصف الدولة الخاضعة للحماية . ولما كان لزنجبار قبل قبولها الحماية حكومة موحدة برياسة السلطان فلم يكن لبريطانيا أن تؤسس نظاماً سياسياً جديداً مغايراً تماما لما كان موجوداً من قبل . علاوة على ذلك ، فإن الشكل الظاهرى أو الخارجى لسلطة السلطان وللادارة كان يمول كلية من الدخل المحلى دون أى مساعدة من الخزانة البريطانية . ومن ثم ، فقد حرصت بريطانيا على إدخال نظامها الجديد ، وبدأ رويداً بالمقارنة بما اتبع فى المستعمرات الأخرى .

تنظيمات بورتال :

بمقتضى تنظيمات بورتال ، أرغم السلطان على بن سعيد الذى تولى عرش زنجبار بعد وفاة أخيه السيد خليفة بن سعيد فى ١٣٠٧ ﻫ (١٨٩٠م)[1] على أن يتخلى عن هيمنته المطلقة على الشئون المالية (دخل السلطنة أو إيراداتها) وأن يقنع بمرتب سنوى قدره مائتان وخمسون ألف روبية ، وهو مبلغ اعتبر كافياً لتغطية مصروفاته الشخصية . كما وضعت الخزانة العامة تحت

(١) سعيد بن على المغيرى ، سابق ، ص ٢٦٤

إشراف موظف بريطانى ، كما أجبر السلطان على إدخال نظام الميزانية السنوية والعمل به[١] .

وفى الوقت عينه اتخذت الإجراءات لتشكيل وزارة من موظفين بريطانيين ، يتم تعيينهم بموافقة المعتمد والقنصل العام البريطانى ويتولون تنظيم إدارات الدولة والإشراف عليها ، بإدارة الخزانة والجيش والشرطة والجمارك والأشغال العامة .

وكان على رأس هـؤلاء الموظفين أو الوزراء الوزير الأول لويد ماتيوس Lloyd Meth ews وهو ضابط بريطانى سبق الحديث عنه عندما كلفه السلطان برغش بن سعيد بإنشاء قوة من الجنود الوطنيين وتدريبهم وفقاً للنظام العسكرى الأوربى تحت قيادته .

ويضاف إلى ذلك كله أن القنصل البريطانى ، بصفته ممثلا الدول الحامية كان من حقه أن يتدخل فى شئون الحكومة وأن يفرض على السلطان ووزرائه ما يراه[٢] .

السلطان حـــامد بن ثوينى :

اشتدت وطأة المرض على السيد على بن سعيد الذى جاز إلى ربه فى ٥ مارس ١٨٩٣ بالغا من العمر ٣٨ عاماً ، وخلفه على عرش السلطنة السيد حامد بن ثوينى الذى كان السلطان الراحل قد اختاره ليخلفه على العرش

---

(١) د. السيد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ، سابق ص ١٤٦ ، د. سعيد بن على المغيرى ، ص ٢٦٤

(٢) المرجع السابق ، ص ١٤٧

باعتباره أكبر أحفاد السيد سعيد بن سلطان مؤسس سلطنة زنجبار .

ويذكر صاحب جهينه الأخبار أنه بعد وفاة السلطان على بن سعيد استولى على السلطة خالد بن برغش وأعلن أنه أحق بالحكم من غيره وأن السلطنة ميراث له من أبيه السيد برغش ولكن السلطات البريطانية رأت فى السيد خالد شخصاً غير مرغوب فيه حيث أنه اعتمد فى وصوله للسلطنة على تأييد العرب وأنه لم يطالب الحكم منهم فقامت القوات البريطانية بضرب قصر السلطنة بالقنابل مما أدى إلى فرار خالد بن برغش إلى أفريقية الشرقية الألمانية (١) .

وقد استدعى رنيل رود السيد حامد بن ثوينى وأخذ عليه العهود والمواثيق بتنفيذ السياسة التى ترسمها لها الحكومة البريطانية ، وأن ينفذ باخلاص وأمانه ما ينصح به المعتمد والقنصل العام البريطانى فى كل المسائل المتعلقة بالسلطنة وادارتها ، وأن يراعى وينفذ جميع المعاهدات والاتفاقات والمراسيم القائمة .

وقد التزم السلطان فى العام الأول بتنفيذ سياسة لا تتعارض مع المصالح البريطانية ، كما كانت العلاقة بينه وبين القنصل البريطانى « هاردينج » والموظفين البريطانيين طيبة للغاية إلا أنها سرعان ما أعتراها تدهور ملحوظ خلال عام ١٨٩٥ ، حيث تزايدت مقاومة السلطان للسلطة الواسعة التى يتمتع بها وزيره الأول لويد ماثيوس ، كما ازداد حنقه على الحكومة البريطانية

---

(٢) المرجع السابق ، ص ٢١٦ ، د . حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ١٥٠ .

بعد قرارها فى يونيو ١٨٩٥ بوضع كل أفريقيا الشرقية - بما فيها الشريط الساحلى التابع للسلطان - تحت مراقبتها المباشرة ، على أن تدفع الحكومة البريطانية مقابل استخدامها أراضى الشريط الساحلى إلى حكومة زنجبار إيجاراً سنويا قدره أحد عشر ألف جنيه ، وهو نفس المبلغ الذى كانت الشركة تدفعه من قبل للسلطان .

وبعد أن تدهورت العلاقات بين السيد حامد والوزير الأول البريطانى بدأت بريطانيا تعمل على اتخاذ أجراءات جديدة لالزام السلطان باتباع « النصائح البريطانية » ولكن القدر لم يمهله فتوفى فى ٢٥ أغسطس ١٨٩٦ .

محاولة خالد بن برغش الثانية :

قام السيد خالد بن برغش بحركة سريعة للاستيلاء على السلطة متحديا الوزير الأول لويد ماثيوس ، وسلطات الحماية التى كانت تميل إلى تعيين السيد حمود بن محمد بن سعيد لميوله الانجليزية .

وقد أنضم إلى خالد فى حركته قوات الحرس الخاص للسلطان الراحل ويبلغون زهاء ٨٠٠ رجل ، كما أنضم إليهم مئات من العرب ، وكان جميع أنصار خالد مسلحين تسليحاً كاملا ، ولم يلبث خالد أن نادى بنفسه سلطانا وأرسل إلى القناصل يخبرهم باعتلائه كرسى السلطنة .

وأستنجد الوزير الأول بالقوات البريطانية البحرية المرابطة فى مياه أفريقية الشرقية التى وصلت بقيادة الاميرال راوسون وبعد قصفها للقصر السلطانى أضطر خالد إلى الانسحاب ولجأ إلى القنصلية الالمانية ثم منح حق

الاقامة كلاجىء سياسى وظل هناك حتى الحرب العالمية الأولى ، ووقع اسيراً فى يد القوات البريطانية ونفى إلى جزيرة سانت هيلانة حتى عام ١٩٢١ ثم إلى جزر سيشل .

وفى عام ١٩٢٥ سمح له بالعودة إلى ممبسة ، بعد أن تعهد بعدم المطالبة بالعرش وظل مقيما بممبسه حتى وافته المنية عام ١٩٢٧ [١] .

وتعتبر محاولة السيد خالد بن برغش ثوره على الوجود البريطانى فى زنجبار وتدخل الوزير الأول فى تعيين السلاطين وتسيير دفة الأمور متجاهلا الوجود العربى فى البلاد ولذلك تعاطف كثير من العرب مع حركة السيد خالد ولكن بريطانيا تمكنت من أخمادها لإحكام قبضته ممثلها فى زنجبار على الأمور تمهيداً لنقل أمور السلطة فى تمام ١٩١٣ من وزارة الخارجية البريطانية إلى وزارة المستعمرات [٢] ليزداد النفوذ البريطانى والأجنبى فى البلاد وبدأت الحكومة تعمل على التفرقة بين العرب والافريقيين بمحاولة تشويه صورة العرب واتهامهم زورا وبهتانا بالقيام بالدور الرئيسى فى فى تجارة الرقيق [٣] .

سياسة بريطانيا فى زنجبار بعد ثورة خالد بن برغش :

اشترك مع السيد خالد فى حركته المسلحة التى تحدى بها سلطات الاحتلال

---

(١) ازيد من التفاصيل عن حياة السيد خالد بن برغش انظر : سعيد ابن على جهينة الاخبار ، سابق ، ص ص ٢٧٢ — ٤٨٣ .

(٢) د. أحسان حقى : أفريقيا الحرة ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ص ١٦٥-١٦٦

(٣) محمد عبد الرحيم عنبر : التمييز العنصرى فى أفريقيا ، ص ١٣٠

البريطانى كثير من زعماء العرب وبعد فشل هذه المحاولة — كما رأينا — ألقت السلطات البريطانية القبض على أعداد كبيرة من العرب بحجة مساندة السيد خالد وتحريضه على تسلم العرش ، وعدم الامتثال لأوامر القنصل العام البريطانى وتم أيداع هولاء الزعماء السجون ومن بينهم .

الشيوخ : سالم بن عبد الله بن سالم البراوانى ، صالح بن أحمد السكرى ، ومحمد بن سليمان المنذرى ، وسيف بن خلفان الخنجرى ، وسليمان بن حميد ابن عبد الله السمرى ، خميس بن محمد البوسعيدى ، وعلى بن سيف الاسماعيلى وسيف بن على بن عامر . . وسالم بن محمد بن زاهر ، وعوض اليحمدى الحضرمى ، وعامر بن خلفان العينى .

وقد صودرت أملاك هؤلاء العرب وعوملوا بقسوة شديدة واقتدى بعضهم نفسه بكثير من الأموال التى طلبتها السلطات البريطانية(١) .

ثورة الشيخ مبارك بن راشد المزروعى :

أحتفل فى أول يوليو ١٨٩٥ فى محمية زنجبار بانتقال إدارة الساحل من يد شركة أفريقية الشرقية البريطانية إلى الحكومة البريطانية مباشرة حيث قام لويد ماثيوس — بصفته وزير السلطان الأول بقراءة رسالة من سلطان زنجبار يعلم فيها رسميا تسليم إدارة أملاكه الساحلية إلى ممثل بريطانيا

وأعلن ماثيوس أن بلاده لن تتدخل فى شعائر المسلمين وأن الفصل فى جميع القضايا سيكون للمحاكم الشرعيه ولكن على الرغم من هذه الكلمات التى حاول بها ماثيوس تهدئة ثورة العرب التى كانت مشتعله على طول الساحل

---

(١) المغيرى : جهينة الاخبار ، ص ٢٧٥ .

فإن أعمال العنف لم تتوقف واستمرت أكثر من عشرة شهور وأرسلت بريطانيا أكثر من حملة لقمع هذه الثورات واستقدمت كتيبة هندية بقيادة الكولونيل ميرسون نزلت في ممباسة في ١٥ مارس ١٨٩٦ وشرعت في مهاجمة الثوار والاحداق بهم مما أضطرهم إلى عبور الحدود والانتقال إلى المنطقة الالمانية وأضطر مبارك وحوالى ١٦٠٠ من أتباعه إلى الاستسلام وقامت السلطات الألمانية بتجريدهم من أسلحتهم وخيرتهم بين العودة إلى قراهم أو الاستقرار في المنطقة الالمانية فاختار معظمهم العودة إلى قـــراهم [1].

زنجبار قبل الحرب العالمية الأولى :

أهل القرن العشرون وزنجبار تحت حكم السلطان حمود بن محمد الذى تولى السلطنة في ٢٧ أغسطس عام ١٨٩٦ بعد الأحداث العنيفة التى مرت بها البلاد ابان ثورة خالد بن برغش .

وقد شعر السلطان حمود بأهمية مساندة بريطانيا له في الحفاظ على عرشه ولذلك حرص طوال سنوات حكمه (١٨٩٦ — ١٩٠٢) على أن يسلك مسلك الطاعة التامة والخضوع لسلطات الحماية وتنفيذ كل مطالبها وفى عصره ألغيت المحكمة القنصلية وحلت محلها محكمة صاحبة الجلالة البريطانية لزنجبار ، وهى تتكون من قاض ومساعد له تقوم المملكة بتعيينهما ، يضاف إلى ذلك أن قانون الجنايات والأحوال المدنية الهندية قد طبق في زنجبار كما أنشئت في عام ١٨٩٩ المحاكم الأهلية .

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : سعيد بن علي ، صص ٢٧٦ - ٢٧٧

ومن ناحية أخرى أزداد نشاط جمعيات التنصير البريطانية فى زنجبار خلال تلك الفترة .

وبعد وفاة السيد حمود فى ١٨ يوليو ١٩٠٢ خلفه ابنه الشاب على بن حمود الذى تلقى تعليما أنجليزيا وقام بالوصاية عليه لصغر سنه مستر روجــــرز A.S.Rogets الوزير الأول الانجليزى وكان السلطان الصغير دميه فى يد وزيره الأول ومعه وزير المالية والنائب العام وفى ديسمبر ١٩١١ تنازل السلطان عن العرش لتدهور صحته وخلفه السيد خليفة بن حرب وهو أحد أحفاد السيد سعيد وفى أول يوليو عام ١٩١٣ قررت الحكومة البريطانية كما أسلفنا أجراء تغيير شامل على علاقتها بزنجبار وألغى منصب الوزير الأول وتحولت صلاحياته وصلاحيات القنصل العام إلى وظيفة أخرى جديده هى وظيفة المقيم العام وفى الوقت نفسه عين حاكم محمية شرق أفريقيا مندوبا ساميا لزنجبار مع تخويله حق الاشراف على إدارتها .

ومع بدايات عام ١٩١٤ واجه العالم أحداثاً جساما تمثلت فى الحرب العالمية الأولى ودخلت زنجبار وغيرها من المناطق الخاضعة للاحتلال الأوربى مرحلة جديدة .

تنجانيقا فى فترة الاحتلال الألمانى

سبقت الاشارة إلى مجىء الألمان إلى شرق أفريقيا والمنافسة الشديدة مع بريطانيا حول فرض السيطرة على ممتلكات السلطنة العربية فى زنجبار ونظراً لأن الحكومة الألمانية فى بداية الأمر كانت بعيدة عن التدخل الفعلى فقد تولى المهمة التجار الألمان وأعضاء البعثات الجغرافية ورجال التنصير الذين توافدوا على المنطقة بأعداد كبيرة.

وقد ازداد أهتمام ألمانيا بالمنطقة بعد تأسيس شركة الاستعمار الألمانى فى ٢٨ مارس سنة ١٨٨٤ ونجاح كارل بيترز وكارل يوكه فى عقد عدد من الاتفاقات المشكوك فى صحتها مع بعض الزعماء الافريقيين فى المنطقة الشمالية الشرقية من تنجانيقا وافق فيها هؤلاء الزعماء على وضع المناطق التى يسيطرون عليها تحت الحماية الألمانية وتطور الأمر إلى أعلان الحكومه المانية حمايتها على المنطقة فى ١٧ نوفمبر ١٨٨٥ بعد تهديدها لسلطان زنجبار وتواطؤها مع بريطانيا إلى أن كان أتفاق زنجبار وهليجولاند فى أو يوليو ١٨٩٠

موقف العرب من الاحتلال الألمانى :

أبدى العرب وأيدهم فى ذلك كثير من السكان سخطهم على الاستعمار الألمانى وقاموا بالثورات المتعاقبة كما حدث فى بوجامايو حين عارضوا رفع العلم الألمانى ولكنهم خضعوا أمام استعمال القوة ، وفى تنجا أسر السلطان سفينة المانية فسارع الأسطول وقذف المدينة بالقنابل ، وأنزل

إلى الشاطىء قوات بريه قضت على الثورة بعد أن قتلت كثيراً من اهالى البلاد (١) .

ومن أهم الثورات التى واجهت الاحتلال الألمانى وتصدت له وكان من الممكن اتساعها واستمرارها سنوات طوال لولا تحالف بريطانيا مع المانيا وانضمام الأسطول البريطانى إلى الأسطول الألمانى ومحاصرة سواحل شرق أفريقيا للقضاء على الثورة .

ثورة بوشيرى بن صالح :

اتحد السكان العرب والسواحليون بقيادة بوشيرى بن صالح وهو من أب عربى وأم أفريقيه ، وكان مشهوراً بشجاعته وكرمه . وبدأت ثورته ضد السلطان أولا الذى سمح للأجانب بالمجىء وبتأجير أرضه لهم واتخذ قيادته فى مدينة شامبى ، وبث أعوانه يحرضون القبائل على الوقوف إلى جانبه واتسعت ثورته بعد ذلك لاستيلاء شركة شرق أفريقيا الألمانيه على إدارة جمارك المنطقة الساحلية وانزالها لعلم زنجبار ورفع علم الشركه الألمانية بدلا منــه وعزل الموظفين والعرب والهنود وأحلال موظفى الشركة محلهـــم (٢) .

ومن الأسباب الأخرى للثورة فقدان العرب لأرباحهم التى كانوا يحصلوا فى عليها من التجـارة . وخشى التجار الهنود منافسة الأوربين لهم فى تجارتهم .

---

(١) د زاهر رياض : سابق ، ص ٢٣٢ .

(١) المرجع السابق ، ص ٢٠٢ .

ويضاف إلى الأسباب السابقة أن الوطنيين المقيمين بالقرب من الساحل أزعجهم إدارة الشركة له لما يترتب على وجودها من فقدهم لما كانوا يحصلون عليه من فوائد مادية من القوافل التجارية المارة بمناطقهم[1] .

وبذلك يمكن القول أن نشاط الشركة الألمانية قد أثر على المصالح الاقتصادية لسكان تنجانيقا بصفة عامة ، ولكن كان العرب أكثر الطوائف شعوراً بالمسئوليه وتضرراً من الاحتلال وعلى هذا فقد قاموا بالثورة وامرهم الهنود بالأموال وهربوا لهم الأسلحة والذخائر وأنضم الوطنيون للثوار العرب بقيادة بوشيري ابن سالم وقد بدأت هذه الثورة فى سبتمبر ١٨٨٨ وهاجم الثوار المدن الساحلية واستطاعت قوات سلطان زنجبار بقيادة « ماثيوز » إنقاذ موظفى الشركة فى تانجا وقدم الطراد الألمانى ليبزج Leipzig المساعدة لموظفى الشركة الألمانية فى تانجا .

وفى الوقت الذى كانت تجرى فيه العمليات الحربية فى بجامايو أقنع ماثيوز السلطان خليفة بضرورة التدخل للقضاء على الثورة ، كما توجه فى الوقت عينه لمقابلة الثوار فى بجامايو الذين اشتكوا له من سوء معاملة السلطات الألمانية لهم وانزال الشركة لعلم السلطان ، وأعلنوا معارضتهم فى إدارة الشركة للجمارك وأنهم لن يسمحوا للألمان بإذلالهم أكثر من ذلك .

ويتضح من هذه المقابلة أن « ماثيوز » كان يشجع الثوار ويهمه وضع

---

(١) د. سعد زغلول عبد ربه : العرب والافريقيون فى مواجهة الاستعمار الالماني في شرق أفريقيا . ص ١٤٥ .

العراقيل أمام الوجود الألمانى ، يرجح ذلك أنه اصطحب معه عند عودته وفدا من زعماء الثوار لتوضيح سبب تذمرهم لسلطان زنجبار وللقنصل الالمانى العام فى زنجبار . وقد بين السلطان للوفد أن للألمان بعض الحقوق فى الاراضى المتنازع عليها وطلب من الوفد أن يعمل العرب تحت قيادة الشركة الألمانية . وبالطبع لم يرض العرب عن كلام السلطان وعادوا إلى بجامايو أكثر غضبا مما كانوا عليه (١) .

ولما كانت الشركة الألمانية على درجة كبيرة من الضعف لا تستطيع معها القضاء على الثورة ، وكان السلطان غير راغب من ناحيته فى التعاون معها فقد طلبت الشركة مساعدة الحكومة الألمانية التى قررت فرض الحصار البحرى على شواطىء شرق أفريقيا ، واقترح بسمارك على الحكومة البريطانية إرسال قوات من جنودها للانضمام إلى القوات الألمانية فى شرق أفريقيا وانضمام الأسطول البريطانى إلى الاسطول الألمانى للقضاء على الثورة ومنع تهريب الاسلحة إلى الثوار .

وقد وافقت الحكومة البريطانية على طلب المانيا خشية إعطاء الفرصة لألمانيا وايطاليا للعمل بمفردهما ومهاجمة سلطان زنجبار .

وقد تولت السلطات الالمانية والبريطانية أخطار جميع القناصل الاجانب والرعايا البريطانين والولاة وجميع السلطات فى المنطقة بقرب فرض الحصار لاعادة السلام والنظام إلى المستعمرة .

وهكذا يتضح لنا أنه على الرغم من التنافس الشديد الذى كان قائما

---

(١) : سعد زغلول : سابق ، ص ١٤٨ ، تاريخ حركة التحرر الوطنى فى شرق أفريقيا م . ا . جنسكى وآخر ، ترجمة محمد قاسم صص ٢٠ - ٢١

بين بريطانيا والمانيا فى شرق أفريقيا إلى أنهم توصلوا إلى هذا التفاهم للقيام بهذه العمليات الحربية المشتركة للقضاء على هذه الثورة العربية التى كانت تهدد الاستعمار فى المنطقة ، يضاف الى ذلك أنها أقترنت فى نفس الوقت بالثورة المهدية فى السودان ، مما هدد بتصاعد الأعمال المناهضة للاستعمار فى شرق أفريقيا كلها مما عجل بارسال بريطانيا وكذلك فرنسا والبرتغال مجدات سريعة إلى الالمان [١] .

وعلى الجانب الآخر انضمت الى بوشيرى قبائل الواهيهى ، كما لحقت به قبائل الداجونى واشتعل الداخل بالثورة العارمة .

ومن العرب الذين انضموا إليه وناصروه فى الحرب خيرى بن جمعة المغازى ويعرف « بيوان خيرى » وهو رجل معروف بالبسالة والشجاعة وكانت له صولات وجولات فى محـــاربة الالمان الحاق والخسائر الكبيرة بهم [٢] .

وكان لتحالف هذه القبائل مع بوشيرى أثر كبير دفعه للتحرك مرة أخرى إلى المنطقة الساحلية فى أكتوبر ١٨٨٩ وتمكن من تخريب كثير من المستعمرات واسر الفآ من الألمان وغنم أشياء كثيره وكانت سرعة تحرك قواته والتجاؤها إلى الجبال سبباً فى أنهاك القوات الألمانية [٣] .

ولمجابهة تحركات الثوار استدعى القائد الألمانى جراف زاوته جميع القوات الألمانية فى المنطقة الشماليه وهاجم قوات بوشيرى البالغ عدد ٨٠٠٠ محارب فى يومبو Uompo بعد ظهر يوم ١٩ أكتوبر ١٨٨٩ .

---

(١) لو كينين : سابق ، ص ٢٨ ، د . زاهر رياض ، سابق ص ٢٢٣

(٢) سعيد بن على . . ، سابق ، ص ٢٨٤

(٣) زاهر رياض ، سابق ، ص ٢٢٣ .

وبعد قتال عنيف تمكنت القوات الألمانية من القبض على بوشيرى واعدمته شنقا فى ١٥ ديسمبر ١٨٨٩ . وقد اعترف بوشيرى قبل شنقه أن سلطان زنجبار كان يسانده وأنه وعده بتعيينه حاكما على المنطقة الساحلية إذا نجح فى مقاومة الألمان .

أسباب فشل ثورة بوشيرى :

كان الممكن لثورة بوشيرى أن تستمر وأن تمتد إلى أكثر من مكان فى شرق أفريقيا لو لقيت الدعم والمساندة من سلطان زنجبار ومن الدول العربيه الأخرى. ولكن على العكس من ذلك تماما أستطاعت ألمانيا أن تحشد إلى جانبها قوات من بريطانيا والبرتغال وفرنسا للقضاء على الثورة ويمكن إيجاز الاسباب التى أدت إلى فشل ثورة بوشيرى فى :

١ — التحالف الأوربى ضد هذه الثورة .

٢ — الموقف المتخاذل لسلطان زنجبار من ثورة بوشيرى وعدم مساندتها بشكل مؤثر .

٣ — نجاح الحصار البحرى بعد استيلاء الألمان على الشواطىء مما أدى إلى قطع المساعدات الخارجية التى كانت تصل الى الثوار ، كما أن الأسطول ظل يراقب الشواطى طوال مدة الحرب مما الحق بالثوار كثيرا من الأضرار وأدى الى حدوث مجاعات فى المناطق المحاصرة .

٤ — استخدام الألمان لأسلحة متطورة أرسلت إلى مناطق القتال مما أدى إلى تحول الموقف فى صالحهم ومن بين هذه الاسلحة القنابل ومدافع الميدان ومدافع الهاون والأسلحة سريعة الطلقات .

٥ - استخدام الألمان لعدد من الجنود السودانين يقترب من الـ ٦٠٠ ثم جمعهم من القاهرة بموافقة الحكومة البريطانية، وضم اليهم ٢٠٠ محارب من قبيلة الزولو الأشداء ثم جمعهم من موزمبيق ويضاف إلى ذلك استخدام الألمان لعدد من البحارة الصوماليين أرسلتهم إيطاليا لمساندة ألمانيا (١) .

٦ - نجاح السلطات الالمانية فى استمالة بعض مستشارى بوشيرى الذين قدموا معلومات عن تحركاته للالمان ولا يستبعد أن يكون هؤلاء الجواسيس هم الذين قبضوا عليه وسلموه لهم ولولا هذا الموقف لنجح فى مواصلة القتال أو على الأقل فى الهرب إلى منطقة أخرى للاعداد لجولة جديدة .

٧ - غيبة القوة الاسلامية التى كان فى مكنتها الوقوف الى جانب هذه الثورة وأمدادها بالمساعدات وخصوصا بعد إجبار البريطانين مصر على الانسحاب من شرق أفريقيا مما جعل هذه الثورات المحلية تواجه صعوبات بالغـــة .

تورة ياناهيرى :

بعد أعدام بوشيرى قام صديقه ياناهيرى زعيم منطقة اسيجوا لاستعادة الأرض التى أستولى عليها الالمان وقد هجم الثائر الجديدة على اندينجى وسادانى وهاجم القوة الالمانية فى معاقلها وكانت قواته على معرفة بطبيعة المنطقة مما ساعدها على الحاق الخسائر بالقوات الالمانية بعد أنها كها ، ووالت ألمانيا أرسال الحملات الى الداخل طوال خمس سنوات حتى حطمت ياناهيرى فى أكتوبر ١٨٩٤ حين دارت المعركة النهائية - كما

---

(١) د . سعد زغلول : سابق ، ص ١٤٩ .

تهاوت قوة قبائل الواهيهى ولكن هذا الثائر استطاع الانسحاب إلى الداخل حيث جمع قوة أخرى ظلت تقاوم الألمان زهاء أربع سنين أخرى دافع فيها عن البلاد شبراً شبراً حتى إذا لم يجد بداً من التسليم بالهزيمة فضل الانتحار ومات ميتة أبطال الأساطير .

ويطول بنا المقام لو استعرضنا الثورات التى قامت فى تنجانيقا ضد الاستعمار الالمانى بعد ثورتى بوشيرى وباناهيرى فقد اشتعلت الثورة فى المنطقة الداخلية الزعامة ماشيمبا زعيم قبيلة باو Uao وقد قضت عليها المانيا فى ١٨٩١ ، كما قامت ثورة سينا زعيم كيبوشو وثورات أخرى فى أروشا كليمنجارو وكانت تلك الثورات نتيجة للسياسة الالمانية الاستعمارية ، أذ ارتكبت القوات الالمانية أعمالا وحشية ضد السكان ونهبت القرى وجلدت الرجال ووضعت النساء والاولاد فى الاغلال وصادرت أراضى كثير من زعماء القبائل وغير ذلك من الأعمال التى أدت قيام هــــذه الثورات المتتالية .

وقد أصدر الالمان فى سنة ١٨٩٥ أعلانا يقضى بتحويل المناطق التى يستعمرونها الى ممتلكات التاج الالمانى ،وقامت بعمليات اغتصاب لاراضى الوطنين لا مثيل لها ، ومنحت المستوطنين الالمان أخصب هذه الاراضى فتحولت أراضى التنجا وكليمنجارو الى « موطن للمستوطن الابيض »[1] .

وكانت نتيجة هذه الاجراءات قيام ثورة أخرى قادها حسن بن عمر الذى أشترك قبل ذلك مع قبيله الواهيهى فى ١٨٩٤ .

---

(١) سنبسر ترمنجهام : سابق ، ٦٥ .

ثم قام بعد ذلك بهجوم مفاجىء على حاميه كليوا المكونه من ٤٥ جنديا وقطع الخط التلغرافى ، وهاجم كيسويرى فى نوفمبر ١٨٩٤ . وأحتل مبنى الجمارك وأستولى على بضائع قيمتها ٧٠٠٠ روبيه ، ثم أحرق المبنى وسواه بالارض ولخطورة حركة حسن بن عمر ، أعلنت السلطات الألمانية عن مكافأة قدرها ١٠٠٠ روبية لمن يقبض عليه وأرسلت حملة عسكرية بقيادة «تروتا» فى أكتوبر ١٨٩٥ وقد تمكنت تلك الحملة من هزيمته وعثر معه على وثائق تفيد أشتراك قاضيا كلوا والتجار الهنود وبعض العناصر السكانية فى قواة حسن .

وبعد محاكمة صورية قضت المحكمة العسكرية باعدامه وأعدام ثمانية أشخاص خرين ، وفرضت غرامات مالية كبيرة على أهالى كلوا وأخبر بعض كبار المناصرين له على دفع غرامات مماثلة كما صودرت أرضيهم وممتلكاتهم [1] .

وهناك حقيقة هامة وهى أن أكثر ما أسخط العرب وأثار هياجهم على الأوربيين عموما فى شرق أفريقيا ، كان نشاط المنصربين والوسائل التى لجأوا اليها لجذب السكان اليهم وتنصيرهم . وكان العرب قد وقفوا باديء ذى بدء موقف اللامبالاه من الشعائر الدينيةالتى راح هؤلاء المنصرون يقيمونها سرآ وعلى نطاق ضيق لتنصير الافريقيين ولكن العرب لم يلبثوا أن طرحوا موقف اللا مبالاه جانبا واتخذوا موقفا معادياً من النشاط التنصيرى وذلك عندما رأوا المنصرين — أستناداً إلى الحماية التى صار يوفرهالهم أزدياد النفوذ الأوربى فى المنطقة وتساهل حكومة زنجبار معهم — قد لجأوا الى

---

(١) د . سعد زغلول : سابق ، ص ١٦١ .

إقامة شعائر التنصير جهراً وعلانية فى سوق تنبمة وفى المناطق الخاضعة للحماية الألمانية، فى حين لم تتورع راهبات جمعية الكنيسة التنصيرية عن زيارة النساء العربيات والسواحليات فى منازلهن ، والاكثار من الجلوس معهن بغية تحويلهن إلى النصرانية (١) .

ثورة ماجى ماجى (٢) Maei Maei

قام الألمان — كما أسلفنا — فى مستعمراتهم بافريقية الشرقية باستغلال مزارع السيسل والبن والقطن على وجه الخصوص .

وأستخدمت رؤس الأموال الألمانية فى أنشاء مايزيد على ١٦٠٠ كم من خطوط السكك الحديدية ، كما رصفت عدداً كبيراً من الطرق بهدف تيسير الوصول إلى مناطق انتاج المحاصيل التصديرية ، وقامت بعمليات نهب الاراضى واغتصابها من السكان المحليين لصالح المستوطنين الألمان ، إلى جانب فرض ضريبة الأكواخ على الأهالى وإرغامهم على العمل سخرة فى مزارع المستوطنين الألمان وفى رصف الطرق ومد خطوط السكك الحديدية ، وكانت هذه السياسة من العوامل التى أثارت سخط القبائل لا سيما التى تعمل بالفلاحة منها ، مما ترتب عليه قيام ثورات كثيرة ضد الاستعمار الالمانى .

---

(١) د . السيد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ، سابق ، ص ٩٤

(٢) سميت الثورة باسم ماجى ماجى بسبب خرافة أنتشرت بان الثوار يستخدمون دواء معين يخلط بقطرات من الماء تجلب من بئر مقدسة وأن بوسع هذا الدواء أن يجرد الأسلحة الألمانية من فعاليتها ويحول الرصاص إلى ماء وكان الوطنيون بعد تناول هذا الدواء يلقون بانفسهم أمام القوات الألمانية دون خوف ويصيحون ماجى ماجى أى ماء ماء . ا . هـ د . حراز : بريطانيا ص ١٥ .

وكان من أبرز الانتفاضات والهبات الثورية قبل الحرب العالمية الأولى في مستعمرة أفريقية الشرقية الألمانية تلك الثورة المعروفه بثورة ماجى ماجى التى قامت بها قبيلة أنجونى Angoni وهى فرع من قبائل الزولو وقد امتدت هذه الثورة التى قامت فى عام ١٩٠٥ فى جنوب تنجانيقا من بحيرة نياسا إلى المحيط الهندى .

وعلى الرغم من أن هذه الثورة بدأت كحركة وثنية إلا أن قادتها من قبائل النجيندو أعتنقوا الإسلام واستفادوا من مبادئه فى توحيد كلمتهم ومواجهة مظالم الاستعمار الألمانى وقد انتشر الإسلام بين هذه القبائل فتحول أفرادها جميعاً إليه (١) .

وكانت بداية الثورة فى أحدى مزارع القطن بتلال توبى Matumbi فى شمال غرب كلو . حيث ساد نظام السخرة ، ومنها انتشرت الثورة كما تنتشر النار فى الهشيم إلى الأجزاء الوسطى والجنوبية من المستعمرة ونجح الثوار فى إبادة عدة حاميات عسكرية المانية واستولوا على مزارع المستوطنين الألمان ، وطردوا الموظفين والمنصرين ، وفقدت السلطات الأستعمارية الألمانية سيطرتها على رقعة كبيرة من المستعمرة .

وقد أرسلت المانيا قوات كبيرة للقضاء على الثورة ، كما استدعت أعداداً أخرى من المانيا وعلى الرغم من ذلك فقد الحق بهم الثوار عدة هزائم فى ماهنجى وسونجيا .

ومرة أخرى أرسلت الحكومة الألمانية كتيبة بحرية وعدداً من

---

(١) ترمجهام : سابق ، ص ٦٥ .

الضباط الألمان مكلفون بقيادة ثلاث كتائب عسكرية لفك الحصار عن حاميات لندى وكيسوينى وكلوا دار السلام (١) .

وعلى الرغم من كثرة الأسلحة الألمانية وتفوقها وافتقار الثوار إلى مساندة المناطق الشمالية والغربية من المستعمرة فقد واصلوا كفاحهم ونضالهم بشجاعة منقطعة النظير لمدة عامين تقريبا ، ولم يتمكن الألمان من إخماد الثورة إلا فى عام ١٩٠٧ بعد التجائهم إلى أفظع الوسائل البربرية ، إذ أقاموا المذابح العامة التى سالت فيها الدماء بغزارة ، وأحرقوا القرى والمحاصيل الزراعية والمواشى ويقدر المؤرخون عدد الضحايا بما لا يقل عن ١٢٠،٠٠٠ أفريقى واجتثت قبائل برمتها من الوجود ، كما لم يرحموا النساء أو الأطفال من هذه المجازر الوحشية (٢) .

وقد تركت ثورة ماجى ماجى أثراً دائما فى جنوب شرق المستعمرة الألمانية فعلى الرغم من هذه الأعداد التى قتلت فى المعارك مع الثوار إلا أن الذين ماتوا من الجوع والأمراض كان كبيرا . وكانت السياسة التى أتبعها الألمان فى تدمير القوى الوطنية وإحراق المحاصيل وحدوث المجاعات أكثر تأثيرا فى معاقبة القبائل الثائرة من العمليات الحربية المباشرة وأدت إلى أنهاء الثورة لكنها تركت جرحا لا يندمل فى نفوس الأهالى وجعلهم مستعدين فى كل الظروف للأخذ بثأرهم من القوات الألمانية

---

(١) د . سعد ذغلول : سابق ، ص ١٦٤ .

(٢) براجنسكى : المرجع سابق ص ٤٤ ، د . زاهر رياض ، المرجع السابق ، ص٢٣٣ .

والمستوطنين الألمان وهناك حقيقة هامة ينبغى الأشارة اليها وهى ترتبط بانتشار الإسلام بين القبائل الثائرة وكيف كان حافزاً لهم على الجهاد ومواجهة المستعمر واسترخاص أرواحهم فى سبيل الله ولكن يحاول الكثير من المؤرخين تفسير شجاعة وبسالة هؤلاء الثوار بأنه كان نتيجة للسحر الذى انتشر بينهم متناسين أن قوة العقيدة أقوى من فنون السحر التى يتحدثون عنها يرجح هذا أن الثورة بدأت هادئة ثم إزدادت اشتعالا بعد اعتناق أعداد غفيرة من أبناء تلك القبائل الإسلام ، وكان لذلك أثره فى استخدام المانيا لاقسى الأساليب البربرية فى القضاء على الثورة تحركها الأحقاد الصليبية التى جعلتها لا تتورع عن قتل النساء والأطفال ونشر المجاعات والأوبئه بينهم مما أدى إلى حصد هذه الآلاف المؤلفة دون جريرة إلا إذا كان الدفاع عن الارض والمقدسات يستحق من الدول المتحضرة مواجهته بهذه الطريقة غير الانسانية .

سياسة ألمانيا بعد الثورة :

كان القضاء على ثورة ماجى ماجى نقطة تحول هامة فى تاريخ شرق أفريقيا الالمانية بعد أن أصبحت هادئة إلى حد ما وتمت تغيرات فى الاشخاص القائمين بالحكم وصحب ذلك تغيرات سياسيه وإدارية وتحولت القوات العسكرية إلى القيام ببعض الحملات التأديبية الصغيرة فى المدة بين سنتى ١٩٠٧ و ١٩١٤ لمساعدة الادارة فى نشر النظام وإقرار الامن فى المستعمرة بعد أن أصبح عملها الرئيس هو الاعمال العسكرية وبعض الأعمال المتعلقة برسم خرائط طبوغرافية المستعمرة وبناء الكبارى .

ويمكن القول أخيراً أن الاحتلال الالمانى لتنجانيقا تميز فى سنواته

الأولى بالقسوة وإسالة الدماء وأصبح أكثر هدوءاً واستقراراً فى السنوات السابقة على قيام الحرب العالمية الأولى .

ويرجع البعض شدة الألمان وقسوتهم إلى أنه كانت تنقصهم الخبرة فى إدارة المستعمرات ، كما أن القبائل التى كانت فى تنجانيقا بطبيعتها تميل للحرب وتأنف الخضوع للأجنبى مهما كانت إدعاءاته .

قيام الحرب العالمية الأولى وأثره فى تانزانيا :

تأثرت شرق أفريقيا بالحرب العالمية الأولى أكثر من أى جزء آخرى من أجزاء القارة ، حيث كانت مسرحا للقتال الوحشى بين القوات البريطانية والألمانية . وأرغم كل من البريطانيين والألمان أبناء أفريقيا الشرقية على الوقوف بجانب كل منهم دفاعا عن مصالح الاحتكارات الأجنبية ، فجندوا عشرات الألوف من الافريقيين وألحقوهم بجيوشهم وكتائب العمل ، مما أسفر عن مصرع عدة آلاف من أبناء البلاد .

وعانى سكان أفريقية الشرقية الألمانية بشدة من الحرب العنيفة التى دارت رحاها فوق أراضيهم بين الجيش الألمانى بقيادة الجنرال فون ليتوفوربك وبين قوات الحلفاء بقيادة الجنرال سمطس Smnts حتى أن لجنة أورسبى جور Qrmsbg — Gore البرلمانية التى تشكلت عام ١٩٢٤ الفحص وتقصى أحوال أفريقيا الشرقية قد كتبت تقول إنه ما من منطقة فى القارة الافريقية قد عانت من الخراب والدمار إبان الحرب العالمية الأولى مثلما عانت تنجانيقا . فقد جرت فوق معظم أراضيها معارك حربية متصلة لمدة

أربع سنوات ، مما نجم عنه حدوث خسائر جسيمة فى أرواح سكانها وممتلكاتهم [1].

بل وقد عانى الافريقيون خلال هذه الحرب مزيداً من القهر والاستغلال يفوق ماكانوا يعانونه قبلها بكثير .

ومن المعروف أن زنجبار كانت تحت الحماية البريطانية بينما كانت تنجانيقا تحت الحماية الألمانية وهذا يفسر لنا المعارك الضارية التى دارت على أراضى هذه الدولة بين بريطانيا وفرنسا من ناحية والمانيا وتركيا من ناحية ثانية .

وفى اليوم التالى لدخول بريطانيا الحرب أعلن سلطان زنجبار من ناحيته الحرب على المانيا ، كما أعلن أن بلاده مرتبطة ومشتركة مع بريطانيا وتساندها دون تردد وأنها على استعداد لمساعدتها بالأموال والأفراد على قدر استطاعتها .

ولم يكتف السيد خليفة سلطان زنجبار حينذاك بهذا الإعلان بل أخذ يبث دعايته ووجه منشوراته فى أنحاء أفريقية الشرقية يطالبهم بالوقوف إلى جانب أصدقائه البريطانيين .

وفى السادس من نوفمبر ١٩١٤ عقد السلطان إجتماعاً موسعاً وألقى خطاباً بدأه بالحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله عليه الصلاة والسلام وحدد

---

(١) براجنسكى : تاريخ حركة التحرر الوطنى فى شرق أفريقيا ، ترجمة محمد خليل قاسم ، ص ٤٤ .

الهدف من الاجتماع بأنه التأكيد على مساندة بريطانيا ورفض الدخول فى تحالف مع الاتراك لا سيما بعد وصول منشور الجهاد الذى أعلنته الدولة العثمانية تطالب فيه المسلمين فى كل مكان الوقوف إلى جانبها والجهاد فى سبيل الله لمواجهة أعداء الإسلام بريطانيا وفرنسا وإيطاليا .

وتحدث السلطان عن المانيا وقسوتها فى مستعمراتها وأحكام الاعدام التى صدرت على كثير من المسلمين دون سبب وأنه لهذه الاسباب نصح رعاياه بالاخلاص الكامل للملك جورج ملك بريطانيا .

وليس هذه فقط بل أن السلطان السيد خليفة يعلن أنه يشكر الله على أن دخلت زنجبار تحت حماية دولة عظيمة متمدينة كبريطانيا التى لم تقهر أحداً من أهالى زنجبار على حمل السلاح والدخول فى الحرب كما فعلت ألمانيا وغيرها من الدول الاخرى ، كما أن بريطانيا تضحى بالاموال والارواح لحماية زنجبار وأنقاذ أهلها من كل ما تخشاه »

وعلل رفضه لنداء الجهاد الذى أعلنته تركيا بأنها بتحالفها مع المانيا أضاعت هيبتها وفقدت عطف المسلمين فى كل مكان عليها وكان الاولى بهم الالتزام بسياسة الحياد بين الجانبين .

وأرسل السيد خليفة منشوراً إلى أهالى ممباسة وأهل مافيا يحثهم على ملازمة ولاء الأنجليز (١) .

مهاجمة المانيا لسواحل زنجبار :

بعد اعلان زنجبار الحرب على المانيا قامت المدرعات الألمانية بالهجوم

---

(١) سعيد بن علي المغيري : سابق ، ص ص ٣٧١-٣٧٢ .

على سواحل زنجبار وأغرقت مدرعة بريطانية وقتلت عدداً كبيراً من ضباطها وجنودها فى ٢٠ سبتمبر ١٩١٤.

وظهرت آثار الحرب واضحة فى زنجبار حيث عزت الأقوات وارتفعت أسعارها ارتفاعا فاحشا ، وقامت السلطات البريطانية بالاستيلاء على المؤن والغذاء لتقديمه لقواتها المحاربة (١).

العرب والمانيا فى تنجانيقا :

سبق الحديث عن السيد خالد برغش الذى لجأ إلى المانيا بعد فشل ثورته فى زنجبار ومع بداية الحرب وقف ومن معه من العرب يساندون المانيا ، كما أن الحكومة الألمانية أجبرت الكثيرين على الاشتراك إلى جانبها .

وقد شهد الضباط الألمان للعرب بالبسالة والشجاعة وإجادة الحرب وخص هؤلاء الضباط بالذكر ساعد بن مسعود وعلى بن مرشد البحرى وغيرهم ممن شاركوا مع القوات الألمانية والذى يعنينا فى نهاية الأمر أن القوات الألمانية بقيادة الجنرال بون فون ليتو فوربك ظلت تشن هجماتها داخل شرق أفريقيا الألمانية مدة أربع سنوات على الأقاليم المجاورة ، كما أن الجنرال البريطانى سمطس أخذ هو الآخر يطارد هذه قوات بجيشه الذى كان يتألف من وحدات عسكرية من كل من جنوب أفريقيا وروديسيا وأوغندا وزنجبار وكينيا وأن الخاسر فى هذه الحرب من الطرفين المتحاربين كان مسلمو شرق أفريقيا الذين قتلوا فى حرب « لا ناقة لهم فيها ولا جمل . (٢) حيث جندوا

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٧٢.

(٢) دونالد . وايدنر : تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ، ج ٢ ترجمة د/ شوقى الجمل ، ص ٤٦٣ .

والحقوا بالجيوش المحاربة أو كتائب العمل مما أسفر عن مصرع هذه الأعداد الهائلة . كما أن السلطات الاستعمارية أثناء الحرب أصدرت سلسلة من القوانين عرفت عند الأفريقيين باسم « قـــوانين العمل الشريرة The vile labour laws وبدأت بريطانيا فى عام ١٩١٥ باصدار مرسوم يلزم كل أفريقى بلغ السادسة عشرة من عمره بتسجيل نفسه . وكان هدف هذا المرسوم فرض مزيد من الضرائب على السكان .

وقد أسفرت نتيجة الحرب العالمية وهزيمة المانيا عن تعزيز مركز بريطانيا فى شرق أفريقيا . فبموجب المادة ١١٨ من معاهدة فرساى الموقعة عام ١٩١٩ أرغمت المانيا على التنازل لصالح الحلفاء عن جميع حقوقها وسلطاتها وامتيازاتها فى الممتلكات الألمانية فيما وراء البحار ومن بينها أفريقيه الشرقية الألمانية (تنجانيقا) . وفى عام ١٩٢٢ منحت عصبة الامم بريطانيا حق الانتداب على أفريقية الشرقية الألمانية باستثناء الأجزاء الشمالية الغربية منها ، التى تشمل رواندا وأوروندى فقد حصلت بلجيكا على حق الانتداب عليها [١] .

وهكذا دخلت تانزانيا بشقيها زنجبار وتنجانيقا فى مرحلة جديدة بعد الحرب العالمية الأولى وأصبحت الحماية عليهما لدولة واحدة هى بريطانيا التى بدأت فى اتخاذ سياسة تناسب المتغيرات التى وقعت بعد الحرب .

---

(١) وثائق الأمم المتحدة الصادرة فى يوليو ١٩٦١ الملحق ٤ (ح ٤٠/ ٤٨١٨) ص ص ٥٩ - ٦٩ .

تنجانيقا وزنجبار

فى فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى

أرتبط مصير تنجانيقا وزنجبار بأحداث الحرب العالمية الأولى ونتائجها فبينما دعمت بريطانيا مركزها فى زنجبار بعد انتصارها فى الحرب كان العكس من ذلك تماما بالنسبة لالمانيا فبعد هزيمتها تقرر حرمانها من جميع مستعمراتها عقابا لها ، وأصبحت هذه المستعمرات خاضعة لعصبة الأمم التى عهدت بادارتها إلى بعض الدول المنتصرة طبقا لنظام الإنتداب الذى إستحدث فى ذلك الوقت .

والذى يعنى أن تقوم الدولة المنتدبة بإدارة الأقليم وأن تعمل على رفع مستوى سكانه معنويا وأن تقدم تقارير سنوية إلى لجنة الانتداب التابعة لعصبة الامم توضح فيها ما حققته الإدارة فى الإقليم خلال العام (إلا أن نظام الانتداب فى الواقع كان إستعماراً تحت مسمى جديد) .

وبمقتضى هذا النظام وضعت أفريقيا الشرقية الالمانية (تنجانيقا) تحت الانتداب البريطانى .

وعلى الرغم من أن البريطانيين كانوا يزعمون أنهم يحكمون هذه المنطقة طبقاً لشروط نظام الانتداب الذى أقرته عصبة الامم إلا أنه فى الحقيقة قد طرأت بعض التغيرات فى النظام الإدارى فقط ، حيث حل نظام الحكم غير المباشر وهو الطابع التقليدي للسياسة البريطانية ، محل نظام الحكم

المباشر الذى كان يمارسه الألمان فى تنجانيقا ، ويقصد نظام الحكم غير المباشر حكم الأفريقيين بواسطة الرؤساء والزعماء القبليين ومن خلال المؤسسات التقليديه المحلية [١] .

وبصرف النظر عما يردده الانجليز عن مزايا هذا النظام وملاءمته لقيم والتقاليد الافريقية ومحافظة على حياة أفريقية التقليدية . إلا أنه كان دون شك من أرخص أنواع الحكم والإدارة بالنسبة للاستعمار البريطانى حيث أتاح له كل المكاسب الاقتصادية وأفسد الزعامات القبلية ، كان البريطانيين أخذوا يحكمون تنجانيقا بطريقة أدت إلى "استغلال" واضطهاد وسكانها ، إذ تركزت كل السلطة فى أيدى الحكام البريطانيين والمقيم البريطانى فى زنجبار . ولم يلبث أن أقيمت هيئات « مساعدة » هى المجالس التنفيذية والتشريعية ، التى أسست فى تنجانيقا عام ١٩٢٦ وفى زنجبار فى ذات العام.

وكان يرأس المجلس التنفيذى والمقيم البريطانى مع ثلاثة أعضاء مسئولين سابقين ، وستة أعضاء من غير المسئولين [٢] .

سياسة بريطانيا الاقتصادية .

فرضت بريطانيا بعد أن أكملت سيطرتها على تنجانيقا وزنجبار نظاما جديداً لتكثيف الاستغلال الاقتصادى وبدأت فى إنشاء بعض الخطوط الحديديه والطرق العامة لتتمكن من نقل المنتجات الاقتصادية اللازمة

---

(١) د . السيد رجب حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ص ١٧٤

(١) أحمد حمود المعمرى : عمان وشرق أفريقيا ، ص ٩٩

للتصدير ، وهى المحاصيل التى تعتمد أسعارها اعتماداً كليا على تقلبات السوق العالمية ، مما عرضها لقدر هائل من عدم الاستقرار والثبات فى ظل التهديد الدائم لتدهور الاسعار ، والنتيجة الطبيعية تعرضت أقتصاديات هذه البلاد لأزمات أقتصادية قاسية كما حدث فى ، ١٩٢٠ ، ١٩٢١ [١] .

وحالت السلطات البريطانية بين أهالى البلاد الأهلية وبين زراعة المحاصيل التصديرية مثل البن والسيسل بهدف حماية ملاك الأرض والمزارعين الاوربيين والآسيوين من الهنود وغيرهم .

كما أصدرت تعليماتها بالزام الأفارقة بالعمل فى المشاريع الزراعية للأوربيين [٢] .

وفى عام ١٩٢٠ أصدرت « بطاقات العمل » بالنسبة لكل الافريقيين، وهى بطاقات تحمل بصمات الاصابع ويحتفظ بها المخدومون ، إلى أن ينتهى سريان عقد العمل وأصبح محالا على الافريقى الحصول على عمل قبل تقديم « الكيباندا » (بطاقة العمل) . وإذا ما ترك العامل الأفريقى مكانا يعمل فيه ألقى القبض عليه ليحاكم ويسجن ، وليعاد بعد قضاء الحكم إلى سيده السابق .

وقضى مرسوم العمل الذى صدر فى تنجانيقا عام ١٩٢٤ باعتبار ترك العمل دون أذن سابق جناية يحكم على مرتكبها بالجلد وغرامة مقدارها

---

(١) المرجع السابق ، ص ٩٩ ؛ د. أحسان حقى ، ص ١٥٠ .

(٢) براجينسكى : تاريخ حركة التحرر الوطنى فى شرق أفريقيا ، ص ٥١ - ٥٢ .

١٠٠ شلن والسجن ستة أشهر . وفى عام ١٩٢٧ كان عدد الافريقيين الذين يعملون فى المشاريع الزراعية بتنجانيقا قد وصل إلى ١٨٠ ألفا مقابل ٩٢ ألفا فى عام ١٩١٣ (١) .

وكثيراً ما نقرأ عن الخدمات الجليلة التى قامت بها بريطانيا فى تنجانيقا وزنجبار والتى من بينها إنشاء السكك الحديدية والطرق العامة والموانى والمشاريع الصناعية وإنتاج محاصيل نقدية وغير ذلك والحقيقه أنه لا يمكن انكار أهمية تلك الأشياء ولكن يجب التأكيد على حقيقة هامه وهى أن بناء هذه المشاريع تم على جماجم عشرات الألوف من أبناء هذه البلاد ، كما أن الاقليات الاوربية التى أقامت فى تنجانيقا وزنجبار هى التى أفادت من تلك الخدمات ففى سنة ١٩٢٤ على سبيل المثال لم تكن الاجور التى دفعت لعمال مزارع السيسل فى تنجانيقا الا ١٠ ٪ من قيمة المحصول فى السوق وبالتالى تكون أرباح المزارعين الاوربين قد وصلت إلى عشرة أضعاف أجور الافريقيين .

كما وضع البريطانيون فى شرق أفريقيا نظريات التمييز العنصرى التى اتخذت أبعاداً غير إنسانية . ففيها أعلن بصراحة أن الافريقين مواطنون من الدرجة الثالثة ، والمهاجرين الاسيويين من الدرجة الثانية وكان التمييز العنصرى ملحوظا فى المكاتب العامة وفى الادارة الاقتصادية والثقافية وكان محظوراً على الافريقيين العمل فى مجالات التجارة الخارجية أو

---

(١) د . أحسان حقى : مرجع سابق ، ص ١٥٢ .

وتسويق المحاصيل التصديرية وذلك لحماية رجال الأعمال البريطانيين فى فى تنجانيقا وزنجبار [١] .

كفاح مسلمى تانزانيا :

لاشك أن سياسة التفرقة التى أنتهجتها بريطانيا ضد مسلمى تانزانيا ، وتشجيعها للنشاط التنصيرى المتزايد وسياستها الاقتصادية التى أضرت بالسكان الأصليين ، بالاضافة إلى الوعى السياسى الذى انتشر فى أفريقيا بعامة بعد الحرب العالمية الاولى والتضحيات التى قدمت فى هذه الحرب جعلت هذه البلاد مهيئة للثورة . وكانت فترة العشرينات والثلاثينات بمثابة نقطة تحول فى تاريخ كفاح هؤلاء المسلمين ، ففى خلالها ظهرت التنظيمات السياسية لأول مره وإن كان من الملاحظ أنها لم تبلور برامجها تماما ، كما أن القبلية وعدم التنظيم وقد عاونت السلطات الاستعمارية فى القضاء على هذه التنظيمات وعلى الرغم من ذلك فقد أدت دورها فى أيقاظ الشعور الوطنى .

ففى عام ١٩٢٢ قام أكثر من ١٢ ألفا من عمال مناجم الذهب فى « لوبا » باضراب عام طالبوا فيه بزيادة أجورهم إلا أن السلطات البريطانية قضت على الاضراب وحلت التنظيمات العمالية التى كانت قد أسست فى أعقا الحرب العالمية الاولى .

ومن ناحية أخرى كان السخط يتزايد على التغلغل الاستعمارى فى

---

(١) د . حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٢٥٠

أواخر العشرينات أسس الفلاحون فى تنجانيقا جمعيات التسويق التعاونية لمنافسة المصدرين الذين يشترون محاصيلهم ، وعلى الرغم من أن أهداف هذه الجمعيات كان اقتصاديا إلا أن نشاطها كان موجها إلى السلطات الاستعمارية [١] .

مؤتمر حكام إفريقية الشرقية :

فى أعقاب الحرب العالمية ظهر مشروع تأسيس إتحاد سياسى يضم كينيا وتنجانيقا وأوغنده . وكان صاحب هذا المشروع Closerunion هو وزير المستعمرات مستر امرى L. S. Amerg ، الذى كان يفكر فى إمكانية ربط أفريقية الشرقية الألمانية بالمستعمرات البريطانية المجاورة وعندما حضرت لجنة أورمسبى جور البرلمانية التى زارت شرق أفريقية خلال الشهور الأربعة الأخيرة من عام ١٩٢٤ طالبت بانشاء ما أطلق عليه « مؤتمر حكام أفريقية الشرقية » لمناقشة المشاكل ذات المصالح المتبادلة [٢] .

وقد أنشىء هذا المؤتمر بالفعل عام ١٩٢٦ وكانت بريطانيا تهدف إلى إقامة دولة عنصرية على غرار إتحاد جنوب أفريقيا ولكن هذه الخطة العنصرية واجهت مقاومة عنيفة من سكان الدول الثلاث .

وقد وحدت كينيا وأوغندا وتنجانيقا وهى تقاوم هذا المشروع

---

(١) رولاند أوليفر ، سابق ، ص ٢٣٤ .

(٢) د راشد البراوى : مشكلات القارة الافريقية ، ص ١٧٦-١٧٧ .

الأستعمارى قواها للكفاح ضد الاستعمار البريطانى وبذلك وضع الأساس للحركة الوطنية القوية المعادية للاستعمار لشعوب أفريقية الشرقية ، تلك الحركة التى اشتد ساعدها بعد الحرب العالمية الثانيه ، وأصبحت أكثر تنظيما حين تولى قيادتها المنظمات الوطنية والسياسية ذات البرامج المنظمة .

تنجانيقا وزنجبار فى الحرب العالمية الثانيه :

وكانت الحرب العالمية الثانية فى لحتها وسداها حربا استعمارية من كلا الطرفين المتحاربين سواء (ألمانيا - إيطاليا - اليابان) أو (بريطانيا وفرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة) على الرغم من الدعاية التى حاول كل طرف أن يؤكد من خلالها أنه يحارب ضد الطغيان والقهر وأنه يهدف إلى تحرير الأمم المقهورة وتأمين حقها فى تقرير المصير .

وخلال سنى الحرب لجأت بريطانيا - كعادتها - إلى مستعمراتها فى شرق أفريقيا لاستنزاف مواردها والاستفادة من إمكاناتها الزراعية والمواد الخام بها ، كما جندت ألوفا من الافريقيين فى قواتها وكانت غالبية هؤلاء الأفريقيين يخدمون فى الفرق الاحتياطية أو فرق العمل . فراحوا يدفعونهم لبناء الطرق والمطارات وتفريغ شحنات السفن الحربية والمدنية (١) .

ولكن نقص القوى البشرية بعد الخسائر الفادحة التى منيت بها بريطانيا وحليفاتها أجبرها على تشكيل وحدات أفريقية مقاتلة لعبت دورا هاما

---

(١) د . حراز : بريطانيا ... ، ص ٢٥٠ .

فى معارك شرق أفريقيا والحبشة ومدغشقر وقامت هذه الفرق بدور حاسم فى معارك ١٩٤٠ — ١٩٤١ .

وفى ١٤ فبراير ١٩٤١ قامت الفرقة الافريقية الحادية عشر والثانية عشر بتحرير « قسمايو » ودخلت مقدشو فى ٢٥ فبراير وواصلت زحفها إلى الحبشة ، كما قاتلت فرق من كينيا وتنجانيقا فى بورما وكان هناك حتى عام ١٩٤٥ حوالى ٣٧٤ ألفا من الأفريقيين يخدمون فى الجيش البريطانى وكان ٢٢٨ ألفا من هؤلاء من أبناء شرق أفريقيا .

ووفقا لتقرير نشر لمكتب الحرب البريطانى بلغت الخسائر من الفرق الافريقية ١١٢٨٣ رجلا منذ بداية الحرب إلى أكتوبر ١٩٤٥ .

وهذه بعض المعلومات المتعلقه بأصداء الحرب فى زنجبار :

فقد أرسل ساطان زنجبار فى ١٨ديسمبر ١٩٣٩ برقية إلى ملك بريطانيا جاء فيها :

« إن صلات المحبة والشكر التى تربط سلطنتنا بامبراطورية جلالتكم العظيمة لأقوى اليوم مما كانت عليه قبل ٢٥ عاما مضت واليوم كسنة ١٩١٤ وكلنا تحت تصرف جلالتكم مع ما فى جميع بلادى ، تستعملونها كما ترون سلاحا فى العراك من أجل المحبة والعدل . وفى مستهل على ١٩٤١ طلبت بريطانيا من أهالى زنجبار وتنجانيقا معونات مالية عاجلة من الفقراء والأغنياء كما أعلن بعد ذلك عن ارتفاع الأسعار بصورة كبيرة طيلة سنوات الحرب وأصبح بيع المأكولات والأقمشة بالبطاقات المعدة لذلك[1] .

---

(١) سعيد بن على المغيرى ، سابق ، ص ص ٤٨١ - ٤٨٢ .

وأصدرت الحكومة فى مطلع عام ١٩٤٢ منشوراً للأهالى الذين تتراوح أعمارهم بين ١٨ - ٤٥ سنة تأمرهم بمضاعفة الجهود فى ميدان الزراعة ومن يمتنع عن العمل فسوف تقوم السلطات بحبسه مدة لا تقل عن ثلاثة أشهر [1] .

وفى ممباسة اتخذت الحكومة البريطانية منها قاعدة عسكرية ، وأعلنت فيها الأحكام العرفية .

وبدأ تجنيد الرجال فى زنجبار من ١٨ - ٤٥ سنة لحملهم على الفور إلى جبهات القتال وذلك فى شهر إبريل عام ١٩٤٢ .

وقد سفك الجنود المسلمون من أبناء تنجانيقا وزنجبار دماءهم فى الحرب ضد قوات المحور مجبرين يحدوهم الأمل فى انتهاء النظام الاستعمارى الشائن بانتهاء الحرب وعندما عادوا إلى بلادهم ، كانوا يتوقون للنضال من أجل تحرير واستقلال شعوبهم والقضاء على الاستعمار .

ولعب هؤلاء الجنود المسرحون بعد الحرب دوراً هاما فى إلهاب حركة التحرر الوطنى [2] .

تنجانيقا على أبواب الاستقلال .

تصاعدت حركة التحرر الوطنى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية وكانت إضرابات عمال النقل والبناء خلال عام ١٩٤٧ بمثابة إشارة البدء للهجوم على النظام الاستعمارى .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٤٨٢

(٢) ب . اجينسكى ، المصدر السابق ، ص ١٢٠

وفى هذه الفترة تحولت « جمعية تنجانيقا الأفريقية » التى بدأت كتنظيم ثقافى صغير إلى حزب سياسى يطالب بتحويل المجلس التشريعى إلى جمعية وطنية وإنهاء أى مظاهر للتفرقة العنصرية وتطوير النظام التعليمى ، وفى سنة ١٩٥٤ وفى ظل المناداه بهذه المبادىء تشكل من هذه الجمعية الحزب السياسى الذى عرف باتحاد تنجانيقا الوطنى ، والذى طالب بالاستقلال وبلغ عدد أعضائه فى سنة ١٩٦٠ (٨٠٠ ألف عضو)

وفى خلال سنوات الحرب تشكلت فى تنجانيقا نقابات عمال السكك الحديدية . كما قام العمال بدور هام فى تحسين احوالهم الأقتصادية واتخذوا من الاضرابات وسيلة لتحقيق أهدافهم ففى عام ١٩٤٣ قام عمال الأرصفة فى دار السلام ومالندى باضرابين من أجل زيادة الأجور ووقف الاستقطاعات وبعد الحرب تجددت إضرابات العمال فى تنجانيقا وكان الأضراب العام لعمال الأرصفة فى دار السلام ولعمال الشحن وعمال مزارع السيسل عام ١٩٤٧ بمثابة الاشارة لبدء هجوم الحركة العمالية على النظام الإستعمارى فى البلاد .

الوصاية البريطانية على تنجانيقا :

وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية أراد الرئيس الأمريكى روزفلت أن يخلق نظاماً جديداً واختار له اسم « الوصاية » بديلا عن الأسم القديم المكروه (الانتداب) وقد أراد أن يدخل جميع المستعمرات والحمايات ومناطق النفوذ ضمن نظام الوصاية . . ولكن الاجل لم يمهل الرئيس روزفلت فقضى نحبه قبل أنعقاد مؤتمر سان فرانسسكو بأسبوعين أثنين وهو المؤتمر الذى أنشأ نظام الوصاية الجديد ووضع بنوده ونصوصه

وضمنها ثلاثة فصول من ميثاق الأمم المتحدة[١] وقد قسمت الأقطار التي ستخضع للوصاية إلى قسمين : أقطار ذات صفة عسكرية ، وأخرى ليست كذلك . تكون الأولى تحت إشراف مجلس الأمن .

أما الثانية فتوضع تحت إشراف مجلس الوصاية وهو هيئة تابعة للجمعية العامة ، وكان لهذا المجلس حق التفتيش وزيارة الجهات الخاضعة لنظام الوصاية[٢] .

وفيما يتعلق بتنجانيقا فقد وضعت تحت الوصاية البريطانية بقرار من الجمعية العامة لهيئة الأمم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٤٦ وألزم ميثاق هيئة الأمم الحكومة البريطانية بأن تهيء الظروف السياسية والاقتصادية التي تكفل أعداد البلاد للاستقلال وأنه من الواجبات الأساسية للحكومة البريطانية أن تشجع عملية تطوير المؤسسات السياسية الحرة في البلاد وأن تستحث الأفريقيين على المشاركة في الأجهزة الإدارية المحلية المركزية .

وقد أثبتت الأحداث أن بريطانيا أهملت هذه الواجبات إهمالا لاذريعاء وفضلا عن ذلك فقد بذلت قصارى جهدها لإبقاء تنجانيقا معتمدة اقتصاديا عليها وغير ناضجة سياسياً بهدف استمرار وصايتها عليها .

وكان نظام الحكم في تنجانيقا طبقا للتقرير المقدم إلى مجلس الوصايه عام ١٩٤٧ على النحو الآتي :

١ ـ الحاكم العام "بريطاني .

---

(١) د. محمد عوض محمد : الاستعمار والمذاهب الاستعمارية ، ١٩٦١ ، ص ٨٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٨٦

٢ - مجلس تنفيذى (استشارى) أعضاؤه من موظفين وغير موظفين وجميعهم بالتعيين .

٣ - المجلس التشريعى ويتكون من الحاكم ، ١٥ عضوا من الموظفين كلهم أوربيون ، ١٤ عضوا من غير الموظفين (٧ أوربيون ، ٤ أفريقيون ، ٣ آسيويين) وأضاف التقرير أن نظام الانتخاب لم يؤخذ به ، وأنه ليس ثمة تفكير (فى ذلك الوقت) فى إصدار تشريع لهذا الغرض . ومعنى النظام سالف الذكر أن السلطة كلها مركزة فى أيدى الحاكم العام البريطانى ومعاونوه وأن هذه النظام التمثيلى أبعد ما يكون عن الديموقراطية لأنه ترك الأفريقيين كما كانوا قبل الحرب . ولذلك فقد هاجم عدد من الأعضاء سياسة بريطانيا فى تنمية النظم السياسية وأخـــذوا عليها عدم الاهتمام بنشر التعليم .

وفى تقرير لإحدى لجان مجلس الوصاية سنة ١٩٥٥ أوصت بأن نظام المساواة فى عدد الأعضاء الممثلين للعناصر الثلاثة وهى الأفريقية والآسيوية والأوربية يجب ألا يستمر أكثر من خمس سنوات ، ثم قالت « إن أهل تنجانيقا يمكن أن يصلوا إلى الحكم الذاتى خلال الجيل الحالى[1] » .

وآثار التقرير بريطانيا وأعلنت أنها لاتقبل توصيات اللجنة . ويؤكد خبث السياسة البريطانية فى تنجانيقا أنها حرصت طوال سنوات احتلالها للبلاد على أن يظل التمزق القبلى قائماً حيث توجد أكثر من ١٢٠ قبيلة تعيش عيشة بدائية ومنعزلة عن بعضها لغويا واقتصاديا بهدف استخدام هذا التمزق السكانى فى الإدعاء بأن تنجانيقا لم تهيأ بعد للحكم الذاتى[2] .

---

(١) د راشد البراوى : سابق ، ص ١٧٣

(٢) د حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٢٠٠

مطالب الوطنيين فى تنجانيقا :

منذ بدأ نظـام الوصاية والقوى الوطنية تطالب بريطانيا بمزيد من الاصلاحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولكن الحاكم العام كان يرفض هذه المطالب بحجة أنه « لم يحن وقتها بعد » .

ولكن فى عام ١٩٥٨ وقبل انتخابات المجلس التشريعى طالب السكان بمراعاة الأغلبية الأفريقية فى التمثيل بالمجلس لأن النظام المتوازن والذى يسوى فى التمثيل بين الأوربيين والأفارقة والآسيويين هو نظام عنصرى بغيض فالعنصر الأفريقى يمثل ٩٨ر٥ فى المائة من السكان والأوربيون ٢ر٠٪ والآسيويون ٣ر١٪ .

وفوق كل ذلك كان المنتخبون ٣٣ عضوا بينما المعينون ٢٤ عضوا مما يقوى من السيادة البريطانية (١) .

وتحت ضغط الحركة الوطنية أجريت انتخابات جديدة بعد أن أعلن حاكم تنجانيقا العام سير « ريتشارد كورنبول » التغيرات الدستورية التى بمقتضاها سيصبح المجلس التشريعى مكونا من الأغلبية الأفريقية (٢) .

وبالفعل أجريت الانتخابات الجديدة ولم يتعد عدد الممثلين للأقلية الأوربية عشرة مقاعد من مجموع المقاعد البالغ ٧١ مقعدا .

استقلال تنجانيقا :

على الرغم من هذه الاصلاحات الجزئية التى جعلت المجلس التشريعى

---

(١) د. راشد البراوى : مشكلات القارة الأفريقية ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٦

(٢) رولف ابناليندر : عشرة رجال من أفريقيا ، ت أحمد عبد القادر ، ص ١٨٦ .

يضم أغلبية أفريقية إلا أن الحاكم العام البريطانى كان مايزال صاحب الكلمة العليا ، كما أن البريطانيين كانوا يديرون الوزارات الرئيسية مثل وزارة الدفاع ووزارة المالية ووزارة الخارجية ووزارة العدل .

وبدأت المفاوضات بين بريطانيا وممثلى الحركة الوطنية أمكن بعدها الوصول إلى اتفاق فى ديسمبر ١٩٦١ بمنح تنجانيقا استقلالها ، وتم إبلاغ الجمعية العامة للأمم بهذه التطورات فقررت فى دورتها الخامسة عشر الموافقة على هذا الاستقلال مع المطالبة بإعداد التشريعات الخاصة بالمواطنة ، وإعداد السلك الدبلوماسى والدستور وخاصة مايتعلق بحقوق الإنسان(١) ،

وقد تولى رئاسة البلاد يوليوس نيريرى(٢) وهو ينتمى إلى قبيلة الزاناكى إحدى القبائل الصغيرة فى تنجانيقا . وهكذا نالت تنجانيقا استقلالها

---

(١) وثائق الأمم المتحدة م و /١٥٧٥ ، تقرير مجلس الوصايه يوليو ١٩٦١ ص ص ٦١ - ٧٢ .

(٢) ولد نيريرى فى عام ١٩١٨ وعندما بلغ الثانية عشرة التحق بمدرسة موروما التابعة لاحدى جمعيات الارساليات التنصيرية ، اعتنق النصرانية عام ١٩٢٤ وفى عام ١٩٤٣ التحق بجامعة ماكريدى فى كمبالا ، ثم التحق بجامعة أدنبره باسكتلندا فى عا ١٩٤٩ حيث درس التاريخ والاقتصاد والفنون وبعد عودته فى سنة ١٩٥٢ عمل مدرسا فى مدرسة سانت فرانسيس فى بوجو بدار السلام ، ثم عمل بالسياسة ورأس الاتحاد الوطنى الافريقى وبعد الاستقلال أصبح أول رئيس لتنجانيقا ولعب دورا كبير فى مأساة زنجبار عام ١٩٦٤ اه

روالف إيتاليندر : عشرة رجال من أفريقيا ، ص ١/٤ ، وثائق الأمم المتحدة ص ٦٠ .

ولكن بعد أن أفرزت إرساليات التنصير جيلا من المثقفين الذين حولتهم إلى النصرانية فى طفولتهم ، وأعدتهم لحكم الدولة التى نالت استقلالها ليصبح نيريرى أول رئيس للجمهورية تحت علم الاشتراكية العلمانية ولتتمكن نسبة لا تتجاوز ١٥٪ من النصارى من حكم دولة يزيد عدد المسلمين فيها على ٨٠٪ .

زنجبار قبيل الاستقلال :

وضعت بريطانيا لزنجبار نظاما للحكم يقوم على وجود مجالس تنفيذية وأخرى تشريعية ، بدأت عملها فى عام ١٩٢٦ وكان يرأس المجلس التنفيذى، المقيم البريطانى ، مع ثلاثة من أعضاء مسئولين سابقين ، وستة أعضاء من غير المسئولين ، وكانت هذه أول مرة يشارك فيها شعب زنجبار حكومته فى إدارة شئونه ، وفى عام ١٩٤٦ زاد عدد الأعضاء غير الرسميين واحدا ، وفى عام ١٩٤٧ زاد واحدا آخر لتمثيل الإفريقيين .

وفى عام ١٩٥٦ جرى توسيع المجلس ، وارتفع عدد الأعضاء غير الرسميين من ٨ إلى ١٢ ، ومنهم أربعة العرب ، وأربعة أفريقيون ، وثلاثة هنود ، وأوربى واحد(١) .

كذلك أنشىء مجلس خاص لتقديم المشورة للسلطان، فيما يتعلق بممارسة سلطاته ، ويتكون من المقيم البريطانى ، والسكرتير الأول ،والمدعى العام وما لا يزيد على ثلاثة أعضاء آخرين يعينهم السلطان .

وفى عام ١٩٦٠ عين السير هيلارى بلود مفوضا للشئون الدستورية

---

(١) وثائق الأمم المتحدة ، سابق ، ص ٢٧٨ ، أحمد حمود المعمرى ، سابق ، ص ١٠٠ .

فى زنجبار وقد كلف بوضع التوصيات اللازمة لتحقيق المزيد من التقدم الدستورى[١] وينص الدستور - كما جاء فى وثائق الأمم المتحدة - على إنشاء مجلس تنفيذى يتألف من خمسة وزراء منتخبين (أحــــدهم يعين رئيساً الوزراء) ومن ثلاثة أعضاء موظفين ، ويرأسه المقيم البريطانى ، ويتألف المجلس التشريعى من ٢٣ عضواً منتخباً و ٣ أعضاء موظفين وعدد من الأعضاء المعينين أقصاه خمسة ، ويعين رئيسه من خارج المجلس التشريعى.

وقد جرت الانتخابات الأولى فى زنجبار بمقتضى الدستور الجديد فى ١٧ يناير ١٩٦١ فأسفرت عن النتائج التالية :

١ — الحزب الأفريقى الشيرازى ١٠ مقاعد وعدد الأصوات الحاصل عليها ٢٦,٧٠٠ صوتا .

٢ — الحزب القومى الزنجبارى ٩ مقاعد وعدد الأصوات الحاصل عليها ١٢و٧٠٦ .

٣ — حزب الشعب الزنجبارى وعدد مقاعده ٣ ، والأصوات الحاصل عليها ١٠,٥٠١ [٢]

وقد فشلت محاولات الحزبين الرئيسيين لتشكيل حكومة أئتلافيه مع حزب الشعب الأصغر منهما ، ولم يتمكن أى الحزبين من نيل الأغلبية اللازمة ، ولذلك أجريت انتخابات جديدة مع زيادة عدد الدوائر من ٢٢ إلى ٢٣ وقد أجريت هذه الانتخابات فى أول يونيو ١٩٦١ وأسفرت عن نفس النتائج السابقة مع فوز الحزب القومى الزنجبارى بعشرة مقاعد متساوياً مع الحزب الأفرو شيرازى .

---

(١) وثائق الأمم المتحدة ، سابق : ص ٢٧٩

(٢) وثائق الأمم المتحدة ج ٤٠/٣٨ ٥ ، ص ٢٨٠

وتشكلت حكومة ائتلافية من الحزب القومى وحزب الشعب وعين محمد شمط رئيسا للوزراء(١) .

وأما عن نظام القضاء فى زنجبار فى تلك الفترة فيوجد بهـــا نظامان قضائيان يتمثلان فى المحكمة العليا ومحكمة زنجبار وتقتصر ولاية المحكمة العليا على الرعايا البريطانيين وتوجد بالإضافة إلى هاتين المحكمتين محاكم أدنى فى ومحاكم للاحداث ، تنعقد برئاسة المحافظين . وهنالك عدد من المحاكم الشرعية ليس لها ولاية جنائية وتتناول ولايتها المدنية شئون المسلمين المنتمين إلى المذاهب الأباضى أو المذهب الشافعى .

وتوجد أخيراً محاكم المديريات ، وهى محاكم يتمتع فيها المدير (أى الموظف الإدارى المحـــلى ، باختصاص النظر فى الجرائم البسيطة المرتكبة فى مديريته .

ونتألف الهيئة القضائية من كبير القضاة ، وقاضى ، وثلاثة قضاة مقيمين ومن قاض شرعى أول وعدد من القضاة الشرعين الآخرين وكلهم من السكان المحليين باستثناء كبير القضاء والقاضى(٢) .

الأحزاب السياسية فى زنجبار :

تأسست الحزب الأفريقى الشيرازى عام ١٩٥٧ نتيجة لائتلاف وحد بين الجمعية الأفريقية (وهى منظمة اجتماعية للعمال المهاجرين) والجمعية الشيرازية ، وهى جماعة قبلية تدعى الانحدار من أصل فارسى ، وقد فاز

---

(١) أحمد حمود المعمرى ، سابق ، ص ١٠١

(٢) وثائق الامم المتحدة : تقرير اللجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال ، الوثيقة ج.ع/٥٢٣٨

الحزب بزعامة عبيد كرومى بخمسة من المقاعد الستة التى تشغل بالاقتراع فى انتخابات يوليو ١٩٥٧ .

وأما الحزب القومى الزنجبارى فقد تأسس فى ديسمبر بتأييد فريق من المزارعين الأفريقيين فى زنجبار وعدد من المثقفين العرب ويرأس الحزب السيد على محسن ، وقد طالب عام ١٩٥٧ بالحكم الذاتى لزنجبار[1] .

وعلى الرغم من أن الحزب القومى نال فى انتخابات عام ١٩٥٧ نسبة ٣٠ فى المائة من الأصوات ، بينما نال الحزب الافروشيرازى ٢٣ فى المائة فإنه لم يفز بأى مقعد من المقاعد الستة فى المجلس التشريعى للجزيرة وانصرف الحزب بعد الإنتخابات إلى القيام بحملة تنظيمية نشطة فأنشأ فرعاً نسائياً واعتمد سياسة منح المرأة حقوقا متساوية .

وأما حزب الشعب الزنجبارى البمى فقد تشكل فى ديسمبر سنة ١٩٥٩ بعد انفصال عدد من الشباب من الحزب الافروشيرازى تحت زعامة « توجو » أحد أعضاء المجلس التشريعى والذى كان يرى عدم التسرع فى منح الاستقلال بحجة أنه يتيح للطبقة الحاكمة العربية والتى هى أكثر تقدما الاستمرار فى ممارسة سيطرتها على باقى السكان وكان يتزعم هذا الحزب عند قيامه محمد شامت وعلى شريف موسى .

ويتضح لنا بعد الحديث عن نشأة الأحزاب السياسية فى زنجبار أنها كانت امتداداً للجمعيات الوطنية التى كان من أبرزها الجمعية العربية والجمعية الهندية والجمعية الأفريقية وكذلك الجمعية الشيرازية[1] .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٨٤

(٢) الوثائق ، ح ع / ٥٢٣٨ ، ص ٢٨٤ .

وكانت كل جمعية تقدم لأبناء طائفتها الخدمات الاجتماعية وتشرف على عدد من المدارس والمستشفيات وتمثلهم فى الجهاز الحكومى وفى العلاقات مع الادارة البريطانية. وفى الحقيقة كانت كل جمعية تعيش فى إطارها الخاص ولم تكن تطل منه إلا للكيد للجمعيات الأخرى مما أدى إلى أن أفرزت الأحزاب السياسيه هذه الطائفية والعنصرية ويلاحظ من ناحية أخرى أن هذه الأحزاب كانت فى مجملها معادية للعرب متأثرة ، بالدعاية البريطانية التى تتهمهم بتجارة الرقيق .

وعلى الرغم من أن العناصر العربية المثقفة كانت تهاجم الطائفية التى تفتت كفاح الشعب الزنجبارى ضد الأحتلال البريطانى [٢] .

الاضرابات الطائفية فى زنجبار يونيو ١٩٦١ :

أصدرت السلطات البريطانية قراراً بحل المجلس التشريعى بعد فشل زعماء الأحزاب السياسية فى تشكيل حكومة جديدة وتبادل الاتهامات بين أعضاء وأنصار الحزبين الرئيسين، وتم تحديد موعد الانتخابات الجديدة فى يونيو عام ١٩٦١، وقبل الأنتخابات وفى أثنائها وقعت أضطرابات وأصطدامات طائفية على شكل قتال عنيف فى شوارع المدن بين أنصار كل من الحزب القومى والحزب الأفريقى الشيرازى . وحين ظهرت نتائج الانتخابات وأتضح فوز الحزب القومى بعشرة مقاعد ، ادعى الحزب الأفريقى بأن نتائج الانتخابات قد زيفت ، وانتقلت على أثر ذلك المعارك والاصطدامات إلى القرى حيث كانت توجد أغلبية من أنصار الحزب الأفرو شيرازى واستمرت المعارك عدة أيام . قامت خلالها عصابات مسلحة باغارة على منطقة المزارع بجزيرة

---

(١) د . السيد رجب حراز ، سابق ، ص ٢٦١ .

زنجبار ونهبتها وقتلت من صادفته من العرب ، كما اشتعلت الحرائق فى عدة مزارع للقرنفل . وقدرت السلطات البريطانية عدد الضحايا بثمانية وستين قتيلا ، من بينهم أربعة وستون عربياً . وبلغ عدد الجرحى أربعمائة شخص وقد عجزت القوات البريطانية فى الجزيرة عن إخماد هذه الاضطرابات فى أيامها الأولى حتى أتسع نطاقها وهـــو ما يؤكد دور بريطانيا فى إشمال الموقف حتى تطيل أمد أحتلالها بحجة أختلال الأمن وكان فى مكنتها — لو أرادت — القضاء على الفتنة وهى فى مهد [1] .

وقد أعلن المقيم العام حالة الطوارئ فى ١ يونيو وفرض منع التجول وأرسل إلى الحكومة فى لندن يطلب نجدة على وجه السرعة . وقد أستجابت الحكومة البريطانية وأرسلت إليه قوات من كينيا ومن فرقه الرماه الأفريقية الملكية .

وقد تمكنت هذه القوات من القضاء على الاضرابات والقت القبض على عدد كبير من مثيرى الفتنة وأعلن المقيم العام أن هناك مؤتمراً دستوريا سيعقد فى لندن لبحث الموقف فى الجزيرة وتصفية الخلافات بين الأحزاب المتـأخـــرة .

ومن ناحية أخرى أدلى وزير الدولة البريطانى لشئون المستعمرات ببيان أمام مجلس العموم أعلن فيه عزم الحكومة البريطانية على تشكيل لجنة للتحقيق فى أحداث زنجبار [1] .

---

(١) الوثائق ، المرجع السابق ، ص ٢٨٤ ، سعيد بن على ، المرجع السابق ، ص ٤٨٠ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٧٥ .

وقال إن الاضطرابات بدأت بعدد من الحوادث المفاجئة المتفرقة فى بعض مراكز الاقتراع بمدينة زنجبار وسرعان ما تطور الوقف واتسع نطاق الفتنة مما جعل المقيم العام يعلن الطوارىء .

وعلى الرغم من أن هناك بعض الدلائل التى تشير إلى أن هذه الاضطرابات كانت نتيجة لمؤامرة مدبرة ، أو أنها كانت عنصرية إلا أن لجنة التحقيق التى شكلت للتحقيق فى أسباب الاضطرابات التى وقعت بين الحزبين السياسين الرئيسين ، أى الحزب الافريقى الشيرازى والحزب القومى الزنجبارى ورأت هذه اللجنة أن أهم الأسباب التى ساعدت على وقوع الاضطرابات(٢)

١ – الدعاية السياسية المهيجة بالكتابة والقول التى انتشرت فى زنجبار بعد عام ١٩٥٧ .

٢ – رياح التغير التى هبت على المنطقة كلها بعد الحرب العالمية الثانية وفى زنجبار كانت الجمعيات الوطنية ، ثم قيام الأحزاب والمنافسة بينهما من أسباب تطور الموقف .

٣ – ... ات اللجنة أن أسباب الاضطرابات ترجع إلى الح... بين الرئيسيين ويمكن توزيع المسئولية بينهما ب... ساوى لأن أولهما (الحزب الافريقى الشيرازى ، خاطب الناخبين على أساس عنصرى والثانى (الحزب القومى الزنجبارى أقحم الدين فى الخلاف ، كما أن ممثلى الحزبين تنافسا فى إلقاء الخطب النارية التى أشعلت الموقف ، كما كان للمقالات العنيفة التى نشرت

---

(٢) وثائق الأمم المتحدة وتقرير اللجنة الخاصة المعنية باعلان الاستقلال الدورة السابقة عشرة للجمعية العامة ، الوثيقة ج ع / ٥٢٣٨ .

فى صحف الأحزاب السياسية : قامت بدور كبير فى تأجيج الموقف وإشعاله بهذه الصورة .

٤ — رأت اللجنة كذلك أن عنف الاضطرابات وكثرة عدد القتلى يرجعان فى معظمهما إلى موقف الشباب فى كل من الحزبين وحماسهم واندفاعهم كما كان لاشتراك « رعاع الناس » فيها وإلى تصفية حسابات قديمة » .

وفى اعتقادنا أن السياسة البريطانية كانت مسؤولة إلى حد كبير عن تفاقم الموقف بهذه الصورة وأنها دفعت بالأحداث إلى هذه النتيجة بعد أن وضعت بذور هذه الطائفية فى البلاد .

دور جوليوس نيريرى فى تفاقم الموقف فى زنجبار :

أسفر الاندماج بين الحزب القومى والجمعية العربية الذى نجم عنه قيام الحزب القومى الزنجبارى وهو الحزب الذى صار يمثل مصالح الدوائر العربية والتجار العرب إلى جانب كبار موظفى السلطنة من العرب وتولى على بن محسن قيادة الحزب الفعلية .

وفى المقابل تولى زعامـــة الحزب الافروشيرازى عبيد كارومى وهو بحار سابق ، عمل فى البحر كتاجر متجول مدة ٢٢ عاماً ، ثم أنشأ نقابا لعمال الزوارق فى ميناء زنجبار واعتنق المبادىء الماركسية وتعصب لها تماما .

وفى غضون عام ١٩٥٦ قام جوليوس نيريرى زعيم الاتحاد الوطنى الافريقى فى تنجانيقا بزيارة لزنجبار عدة مرات لمحاولة حض الزعماء الافريقيين

والشيرازيين لتوحيد جهودهم لمواجهة ما أسماه (بالسيطرة العربية فى زنجبار)[١] وسرعان ما أحدثت زيارات نيريرى إنقساماً حاداً فى صفوف أعضاء الجمعية الشيرازية حيث رفض بعض الشيرازيين دعوة نيريرى مؤكدين على أن هناك علاقات ودية تربطهم بالعرب فى زنجبار ، وأن الشيرازين قد خدموا بالوظائف الإدارية المحليه فى حكومه السلطان أو كبحارة فى تجارة المحيط الهندى وقد نجح نيريرى فى إسناد رئاسة الحزب الافروشيرازى إلى عبيد كارومى الذى أعلنت أن حزبه هو « حرب الافريقين الفقراء والمحرومين »[٢] .

من هنا كان تشدد كارومى وتأثره باتجاهات نيريرى العنصريه والشيوعيه سببا من أسباب تطور الموقف فى زنجبار فى عام ١٩٦١ ، كما كانت هذه الأسباب هى التى دفعت البلاد إلى المذابح التى ارتكبت ضد العرب فى زنجبار بعد الاستقلال كما سيأتى .

مؤتمر لندن أبريل ١٩٦٢ :

عقد هذا المؤتمر فى مارس ١٩٦٢ لتحديد موعد استقلال البلاد وقد طالب محمد شامت رئيس الوزراء الزنجبارى على إعلان الاستقلال فى شهر أكتوبر عام ١٩٦٢ ، ولم يعترض مندوبو الحزب الافروشيرازى الذى أصبح فى المعارضه على طلب الاستقلال العاجل للبلاد ، ولكنهم طالبوا بضرورة إجراء انتخابات جديدة للمجلس التشريعى قبل حلول هذا اليوم التاريخى حتى يمكن تشكيل حكومه تمثل الشعب تمثيلا حقيقياً . وقد أعلن وزير الدولة البريطانى أن حكومته سوف تشكل لجنة مستقلة لتحديد الدوائر الإنتخابية وتقوم بدراسة حول عدد الأعضاء المنتخبين وجعل الدوائر على أساس توزيع السكان كذلك تقرر مبدئيا الغاء شرط

---

(١) د. السيد رجب حراز ، بريطانيا ، سابق ، ص ٢٦٦

التعليم وشرط الدخل ، ومنح حق الاقتراع لجميع السكان من كلا الجنسين الذين يبلغون من السن ٢١ عاماً أو أكثر .

وقد أثارت مسألة المطالبة بإجراء انتخابات جديدة للمجلس التشريعى ارتباكا داخل المؤتمر وقد استغلت الحكومة البريطانية الخلاف بين الحزبين السياسيين الكبيرين كمبرر لإنهاء أعمال المؤتمر فى ٦ أبريل سنة ١٩٦٢ ولم يكن المؤتمر قد اتخذ قراراً بشأن تحديد موعد نهائى لاستقلال زنجبار .

قضيه زنجبار أمام اللجنة الخاصه :

نظرت اللجنة الخاصة التى شكلتها الجمعية العامه للامم المتحدة فى دورتها السابعة عشر لبحث إمكانية منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة نظرت فى مسألة زنجبار فى جلستيها ٥٥و٥٦ المعقودتين فى طنجه ٢٢ مايو ١٩٦٢ وجلساتها ٦٧ ، ٦٩ ، ٧١ المعقودة فى تنجانيقا (دار السلام) من ٦ إلى ٨ يونيو ١٩٦٢ وجلساتها ٧٢ - ٧٨ المعقودة من ٩ إلى ١٧ يوليو من ذات السنه وجلساتها ١٠٤ - ١٠٦ المعقودة فى المقر من ١٠ - ١١ سبتمبر ١٩٦٢[١] وقد استمعت اللجنه فى بدايه جلساتها إلى :

١ — السيد على محسن ، وزير التعليم بزنجبار وزعيم القومى الزنجبارى

٢ — عامر الأمين العام الاتحاد النقابات التقدميه .

٣ — السيد عبد الله قاسم منجا ، ممثل الحزب الشيرازى ومساعداه .

٤ — السيد محمد شمط رئيس الوزراء فى زنجبار وممثل حزب الشعب .

---

(١) وثائق الأمم المتحدة : ج ع/٥٢٣٨ ، الجمعيه العامه ، تقرير ، ص ٢٨٥ .

٥ — السيد عثمان شريف ، زعيم المعارضة فى المجلس التشريعى وزعيم الحزب الشيرازى بالانابة .

٦ — السيد محمد مفومى والسيد عبد الله قاسم .

وفى البداية ذكر على محسن أن النضال فى سبيل إستقلال زنجبار بدأ عام ١٩٥٥ بتشكيل الحزب القومى ولم يكن فى البلاد قبل ذلك التاريخ أحزاب سياسية بل جمعيات تمثل جماعات عنصرية أو دينيه أو قبلية وأشار إلى أن الحزب الأفريقى الشيرازى تكون نتيجة الاندماج بين جمعيتين عنصريتين بمساندة الإدارة البريطانية ، واستعرض أحداث عام ١٩٥٩ وانتخابات ١٩٦١ والأضطرابات التى وقعت فى البلاد ، مؤكداً أن الاستقلال الكامل هو المطلب العاجل وأن أجراء إنتخابات تشريعية قبل ذلك — كما تريد الحكومة البريطانية — سيؤدى إلى وقوع أحداث دموية أشد بكثير من أحداث عام ١٩٦٢ .

وانتقل إلى الحديث عن مؤتمر لندن الدستورى وأصرار المعارضة على أجراء الإنتخابات قبل الاستقلال ورفضها لفكرة الحكومة الائتلافية مما جعل اللورد بيرت يعلن أنهاء أعمال المؤتمر .

ومن ناحية أخرى أشار إلى رغبة بلاده فى أقامة إتحاد مع باقى دول شرق أفريقيا بعد الاستقلال وقدم فى النهاية مذكرة مكتوبة تدافع عن قضية بلاده (١) .

وكان المتحدث الثانى أمام اللجنة الدولية السيد عامر الذى أعلن باسم

---

(١) الوثائق ، سابق ، صص ٢٨٦ - ٢٨٨

عمال زنجبار إصراره على الاستقلال ، وأكد أن بريطانيا عمدت منذ الانتخابات الأخيرة التى أسفرت عن مقتل مايزيد على سبعين شخصا ، إلى مضاعفة محاولاتها اليائسة لتأخير الاستقلال الذى هو مطلب ملح لجميع السكان .

وقال بأنه « ليس من المبالغة القول بأن بريطانيا حولت زنجبار إلى دولة بوليسية » حيث وضعت سبعة عشر مناضلا رهن الاعتقال بدون محاكمة ، كما أن السكان عرضة للتفتيش التحكمى على يد رجال الشرطة والجيش ، وقال بأن العمال لم يتمتعوا قط بمستويات معيشية معقولة . وأنتهى بهم الأمر بعد سبعين عاما من الحكم البريطانى الاستبدادى إلى فقدان الأمل فى حدوث أى تحسن ، وناشد اللجنة الخاصة والامم المتحدة أن تؤيد زنجبار فى نضالها العادل للحصول على إستقلالها عن بريطانيا التى « أعادت أذنا صماء للنداءات المتكررة » وتوقع أن بريطانيا لن تتورع عن عمل أى شىء لأبعاد الحزب القومى عن الحكم لموقفه من الاستعمار .

المطالبة بازالة القاعدة الأمريكية فى زنجبار :

كشف ممثل نقابات العمال أمام اللجنة عن وجود قاعدة صواريخ تابعة للولايات المتحدة فى بلاده ، وأنها فرضت على الشعب رغم إرادته وأن هناك عملاء كثيرون لأمريكا ، وأنه مما لا يطاق أن يكون فى وسع المقيم البريطانى اعتقال الزعماء السياسيين متى شاء بموجب السلطات الاستثنائية المخـولة له .

وقال أخيراً إنه يحث اللجنة لذلك على مطالبة الولايات المتحدة على وقف تدخلها فى شئون زنجبـار والتوصية بمنح بلاده الأستقلال قبل نهاية عام ١٩٦٢ [١] .

---

(١) الوثائق ج ع / ل خ ت ا م ا / ٨٤ ، ٨٧ ،

وكان المتحدث بعد ذلك أمام اللجنة ممثل الحزب الأفروشيرازى مطالبا هو الآخر بالاستقلال التام فى عام ١٩٦٢ بعد أجراء انتخابات عامة على أساس الأقتراع العام للبالغين . .

وأردف بقول إن السلطات الإستعمارية حاربت الحزب الشيرازى الابقاء على استغلال القـــلة للكثرة وسيطرتها عليها (ويقصد بالقلة هنا العرب ! !)

واستعرض الانتخابات التى أجريت وأدعى أن هناك تحالفا ضد الحزب الشيرازى لابعاده عن الحكم ، وهاجم الحزب القومى مؤكدا تخاذله وأنه عارض فى أنهاء حالة الطوارىء ، وسحب القوات البريطانية من البلاد ، وأنه (الحزب القومى) أشار باستبقاء القوات الأجنبية فى الجزيرة بعد الاستقـــلال [1] .

ولم يخرج باقى المتحدثين أمام اللجنة عن هذا الأتجاه المطالب بالأستقلال الكامل والعاجل مع تأييد البعض للجزب القومى والبعض الآخر للحزب الأفروشيرازى فى مطالبهما التى قدمت للجنة الدولية .

وقـــد برز من بين المتحدثين جميعاً السيد على محسن ببراعته ووضوح أفكاره وتعففه عن إستخدام الألفاظ الجارحة فى إتهام خصومه السياسيين

ملاحظات أعضاء اللجنة الدولية :

كان المتحدث الاول ممثل المملكة المتحدة (بريطانيا) الذى أكد أن

---

(١) الوثائق ، ج ع / ل خ ت ام ١ / ٤ / ٩ ، ٢٨٨

مجلس زنجبار التنفيذى المسؤل عن تسيير دفة الحكم والادارة يتألف من رئيس وزراء زنجبارى ، وأربعة وزراء زنجباريين منتخبين وثلاثة أعضاء حكميين ويجتمع برئاسة المقيم العام البريطانى ، أما الهيئة التشريعية فتتألف من رئيس ومن ثلاثة وعشرين عضواً منتخبا ، وخمسة أعضاء معينين ، وخمسة أعضاء حكميين ، وعلى هذا فإن أغلبية المجلسين التشريعى والتنفيذى منتخبـــون .

واستعرض ممثل بريطانيا ما جرى أثنـاء الانتخبات التشريعية ونفى تدخل بلاده لصالح أى من الأحزاب وأكد أنها التزمت الحياد الكامل بين جميع الأطراف كما أن الخلافات بين الحزبين الكبيرين هناك يمكنها أن تعطـــل الاجراءات الدستورية التى تنوى حكومته اتخاذها . وأنه بسبب الخلافـات تعـذر تحـديد موعد للحـكم الذاتى الداخـــلى أو للاستقـــلال .

وحذر ممثل بريطانيا من فرض حل خارجى لأزمة زنجبار — مشيراً إلى ضغوط بعض الدول لاجبار بلاده على الانسحاب — وأكد أن الحل بيد بريطانيا ومن داخل زنجبار فقط بعد تسوية الخلافات الموجودة بين الزنجباريين (١) .

ودافع ممثل بريطانيا عن إبقاء حالة الطوارىء بأنها ضرورية طالما ظل التوتر بين الحزبين (القومى والشيرازى) قائما . كما دافع عن اعتقال بعض السياسين بأنهم من مثيرى الشغب وأن احتجازهم ضرورى لحفظ النظام

---

(١) تقرير اللجنة الخاصة ، نجم الدين الرفاعى ص ٢٨٩ .

وانه « إذ كان لابد من الاختيار بين اعتقال القليل وموت الكثير، فلا يمكن الشك فى معرفة القرار الصحيح . . » وقال أن هناك معلومات مؤكدة أن الجماعة المسماة فرقة عمل .

إتحاد الشبيبة ، تتآمر على أشعال الحرائق ،وغير ذلك من أعمال العنف وأن المعتقلين من المنتمين إليها(١) .

وتكلم بعد ذلك ممثل الاتحاد السوفيتى الذى استعرض تاريخ زنجبار السياسى مؤكداً أنها كانت تضم قبل استيلاء بريطانيا عليها مجتمعا مستقلا مزدهراً يتمتع باقتصاد سليم قابل للبقاء ، ويمارس نفوذا ثقافيا وسياسيا واسع النطاق فى سائر أنحاء أفريقيا الشرقية .

وأشار إلى أن الاستعمار اهتم بالمحصول الواحد وهو «القرنفل» مما جعل زنجبار تعيش تحت رحمة تقلبات الأسعار فى العالم .

وكان من نتيجة ذلك أنه عندما أنخفض ثمن زهر القرنفل انخفاضا شديداً فى فترة ١٩٥٩ — ١٩٦٠ ألمت بزنجبار أزمة اقتصادية عنيفة وخطيرة مشفوعة بارتفاع شديد فى نسبة البطالة ، وانتقد الادارة البريطانية لاهمالها الشئون الصحية والتعليمية وخلص فى النهاية إلى أن بلاد ، تؤيد تماما إستقلال زنجبار وعلى الدولة المستعمرة (بريطانيا) أن ترفع يدها وأن تكف عن إشعال الخلافات الداخلية بين الأحزاب السياسية بهدف تأجيل الاستقلال .

وأتى بعد ذلك دور ممثل إيطاليا الذى أشار إن أن تنافس الاحزاب

---

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٨٩

السياسية ظاهرة صحية فى ديموقراطية برلمانية وأن ما سمم الجو السياسى فى زنجبار هو استغلال العوامل العنصرية والدينية .

[وأيد فى ختام حديثه الأسرع بطلب الاستقلال وقال أن زنجبار بلد عريق وكان مستقلا فيما مضى (١).

وأما مندوب الهند فطالب بالافراج عن جميع المسجونين السياسيين ، وإلغاء حالة الطوارىء والتعجيل بمنح الاستقلال وناشد الاحزاب السياسية فى زنجبار توحيد كلمتها وتهدئة الأمور والبعد عن أعمال العنف لتتمكن بريطانيا من تنفيذ ما وعدت به .

وبعد ذلك تحدث ممثل كمبوديا الذى أكد على تنفيذ قرار الجمعية العامة رقم ١٥١٤ (الدورة ١٥) والخاص بمنح الاستقلال لسلطنة زنجبار وجاء دور المندوب التنجانيقى الذى طالب بالاستقلال التام وأيد مطالب الحزب الأفروشيرازى بضرورة أجراء انتخابات تشريعية قبل الاستقلال وعلى بريطانيا حماية هذه الانتخابات (٢) .

وتوالت كلمات ممثلى مالى والولايات المتحدة وبولندا وأثيوبيا واستراليا ويوغسلافيا وسوريا ومدغشقر وأورجواى وفينزويلا وكلهم أكدوا على ضرورة الاسراع بمنح الاستقلال مع تسوية الخلافات الداخلية .

ولكن الشىء الذى يلفت الانظار كلمة ممثل استراليا الذى قال : « إن

---

(١) نجم الدين الرفاعى ، تقرير اللجنة الخاصة ، ص ٢٨٩

(٢) المصدر السابق ، ٢٨٩ .

زنجبار مرتبطة ارتباطا لا مفر منه بتنجانيقا بسبب موقعها الجغرافى ومن المرجع جداً أنها ستستمر فى التعاون الوثيق مع تنجانيقا وغيرها من الدول الأفريقية فى ظل اتحاد أو رابطه شبيهه برابطة أفريقيا الشرقية » .

ويبدو أن هناك تنسيقا بين ممثل أستراليا والمملكة المتحدة على التمهيد بضم زنجبار إلى تنجانيقا فى أعقاب أعلان الاستقلال وهو ما حدث بالفعل كما سيأتى بعد ذلك .

وفيما يلى نص المشروع المقدم إلى الجمعية العامة للنظر فيه .

« إن الجمعية العامة وقد نظرت فى تقرير اللجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة عن الحالة القائمة فى زنجبار .

وقد نظرت فى الآراء التى بسطها الملتمسون للجنة الخاصة ، وإذ تحيط علما بالبيانات التى أدلى بها ممثل الدولة القائمة بالادارة أمام اللجنة الخاصة ، وإذ تسترشد علما بالبيانات التى أدلى بها ممثل الدولة القائمة بالادارة أمام اللجنة الخاصة ، وإذ تسترشد بأحكام إعلان منح الاستقلال البلدان والشعوب المستعمرة الوارد فى قرار الجمعية العامة رقم ١٥١٤ (الدورة ١٥) وبأحكام القرار ١٦٥٤ (الدورة ١٦) .

١ — تحيط علما مع الارتياح بالتقدم السياسى الذى أحرزه شعب زنجبار .

٢ — وتحيط علما كذلك بالسياسة المعلنة للدولة القائمة بالادارة فيما يتعلق باستقلال زنجبار .

٣ — وتطالب إلى الدولة القائمة بالادارة اتخاذ التدابير الفوريه اللازمة لكى تنفذ أحكام إعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة ، كما تطلب الى سائر المعنين اتخاذ الترتيبات اللازمة لاجراء إنتخابات على أساس أقتراع البالغين العام .

٤ . وتناشد جميع السكان فى زنجبار تحقيق الوحده القومية استهدافا لتحقيق أستقلال زنجبار في أقرب وقت ممكن.

٥ - وتطلب إلى الدولة القائمة بالإدارة بذل جميع الجهود واللازمة بما فى ذلك تعزيز الانسجام والوحدة بين شتى العناصر السياسية فى زنجبار لانالة الأقليم استقلاله فى أقرب موعد ممكن وفقاً لأعلان منح الاستقلال للبلدان والشعوب المستعمرة الوارد فى قرار الجمعية العامة رقم ١٥١٤ (الدورة ١٥) .

وقد تطورت الأحداث بعد ذلك فى زنجبار إلى أن أعلنت الحكومة البريطانية منح الحكم الذاتى لزنجبار . وأجريت فى شهر يوليو انتخابات عامة للمجلس التشريعى ، بعد أن زيدت المقاعد إلى ٣١ مقعداً منها ١٧ مقعداً لجزيرة زنجبار ، ١٤ مقعداً لبمبه . وقد حصل الحزب الأفريقى الشيرازى فى هذه الانتخابات على ٥٤ ٪ من مجموع أصوات الناخبين ، بينما حصل الحزب القومى وحزب الشعب على ٤٦ ٪ واتحد هذان الحزبان الاخيران مرة أخرى من أجل تشكيل وزارة ائتلافية ، حيث أنهما قد حصلا على ١٨ مقعداً فى المجلس التشريعى (١٢ مقعدا للحزب القومى وستة لحزب على حين حصل الحزب الافروشيرازي على ١٣ مقعداً فقط .

المؤمرة الشيوعية :

بدأت القوى الماركسية فى زنجبار بدعم ومساندة من الاتحاد السوفيتى تعد العدة للقضاء على تحالف الحزبين الآخرين (القومى وحزب الشعب) وتمكنت من أقناع عبد الرحمن محمد بابو زعيم اللجنة التنفيذية للحزب القومى والمعروف بميوله اليسارية الماركسية بالانسحاب من التحالف ومعه عضوين آخرين ، والفوا ما عرف « بحرب الأمة » الذى لم يلبث أن أصدر صحيفة باسم « صوت الأمة » لتكون لسان حاله الرسمى وبدأ التنسيق مع القوى اليسارية والحزب الافروشيرازى للاعداد لانقلاب ١٢ مايو ١٩٦٤ (١) .

---

(١) د . حراز : بريطانيا وشرق أفريقيا ، ص ٢٧٣ .

مأساة المسلمين فى زنجبار

فى ١٠ ديسمبر ١٩٦٣ أعلن رسميا استقلال زنجبار ، وأقيم بها نظام ملكى دستورى ، حيث كان السلطان جمشيد بن عبد الله بوسعيد ،أحد أحفاد السلطان سعيد بن سلطان على قمة الجهاز الحاكم فيها .

وفى السادس عشر من الشهر ذاته ، قبلت زنجبار عضواً فى هيئة الامم المتحدة كما أعلنت مساندتها للقضايا العربية ورفضها الاعتراف باسرائيل . ومقاطعة الكيانات العنصرية، ورفضت استقبال رئيسة وزراء العدو الصهيونى التى طلبت بنفسها زيارة زنجبار للتهنئة بالاستقلال حيث كانت فى جولة لها لدول أفريقيا الشرقية [1].

وكانت هذه السياسة الاسلامية التى أعلنت مع استقلال الجزيرة سيئا فى محالف القوى المعادية للاسلام متمثلة فى الشوعية وما أكثر عملاءها فى زنجبار وعلى رأسهم الشوعى المتطرف عبيد كارومى وعبد الرحمن محمد بابو وكذلك فى القس جوليوس نيريرى اليسارى المعروف وصديق بعثات التنصير فى تنجانيقا والعدو اللدود للاسلام فى أفريقيا .

والصهيونية التى كانت لها علاقات متينه مع نيريرى وتوقعت امتداد نفوذها إلى زنجبار فى عهدها الجديد [2].

أحداث ١٢ يناير ١٩٦٤ الدموية :

تجمعت خيوط المؤامرة ولم تنعم زنجبار بالاستقلال أكثر من شهر

---

(١) منار الإسلام ،العدد الخامس ، ١٩٨٢ ، ص ٥٢

(٢) محمد على السمان محنة الأقليات الإسلامية . ص ٧٢

واحد كان طويلا على أعداء الإسلام فأسرعوا بتنفيذ مخططهم الذى تم الأعداد له فى دار السلام وتل أبيب حيث كان نيريرى والسفير الإسرائيلى على اتصال دائم ، وقدمت الأسلحة للمعتدين حتى جاء ليل ١٢ يناير أقتحمت عصابة من الشيوعيين فى زوارق حملتهم من عاصمة تنجانيقا إلى شواطىء زنجبار بأسلحتهم وزخيرتهم حيث كانت أكبر مذبحة دموية فى تاريخ شعوب شرق أفريقيا .

وقد بدأت المذبحة بعد منتصف الليل حين شق هدوء الجزيرة الآمنة صوت رصاص لم يستمر كثيراً ، وقد ظن بعض سكان الجزيرة أن جنديا طائشاً قد أطلق بعض طلقات من بندقيته . . ولكن ماهى إلا ساعة بعد منتصف الليل حتى اجتاحت الأحياء والدور فوق من الجنود ، فنهبوا البيوت وشرعوا فى قتل السكان ، واستباحوا النساء ، وسقط ما يزيد على عشرين ألف قتيل ويعتقد البعض أنهم أكبر من ذلك بكثير .

لقد كانت طلقات الرصاص عملية اجتياح لمراكز الشرطه ، والإستيلاء عليها من قبل الجنود ذوى الأصول الأفريقيه ، وعملية حصار لمقر الحكم تعنى أنه انقلاب دموى من أكثر الانقلابات وحشية فى القرن العشرين كان يستهدف قتل وذبح كل مسلم عربى على أرض زنجبار وظلت المذبحة طوال خمسة أيام وكان يقود هؤلاء الأشقياء لص محترف يدعى (جون أوكيللو) وعدد من الضباط اليهود الذين خططوا لهذه المؤامرة منذ البداية [1] .

ولكن من أين جاءت كل هذه الأسلحة التى إستخدمها أعوان كرومى؟ فى يوم الثامن من يناير عام ١٩٦٤ وصلت الباخرة ابن خلدون الجزائرية

---

(١) سيد عبد المجيد ، سابق ، ص ١٢١

إلى دار السلام حاملة السلاح لثور انجولا ، ولما كان (أوسكار كاميونا) وزير خارجية تنجانيقا رئيسا لما يسمى بلجنة تحرير أفريقيا فقد أخذ السلاح العربي الصنع وسلمه لعصابته المجهزة للاغارة على زنجبار .

ومنذ ذلك الوقت كان عبيد كرومي (١) وعبد الرحمن بابو وغيرهما من الشيوعيين في دار السلام هربا من احتمال الفشل والاطمئنان على تنفيذ كافة الخطوات لانجاح الانقلاب والتأكد من القضاء على الوجود العربي في الجزيرة .

والجدير بالذكر أن بريطانيا ساهمت هي الإخرى في هذه المذبحة بالتدبير حيث عمد رئيس شرطة زنجبار البريطاني إلى تسريح الضباط الوطنيين في عطلة نهاية الأسبوع وأخفى مفاتيح مخازن السلاح لتبيح للمهاجمين فرصة ذهبيه لارتكاب جريمتهم دون مقاومة .

ولقد سادت الفوضى مراحل الانقلاب فكان قتل الأطفال والنساء والشيوخ العرب أمراً عاديا ، وهجم المتظاهرون على قصر السلطان جمشيد ابن عبد الله وتمكنوا من دخوله بعد أربع ساعات من الهجوم ولجأ السلطان إلى سفينة بريطانية حملتــه إلى بريطانيا وقاوم ببسالة شديدة السيد على محسن زعيم الحزب القومي وهو من أصل عربي ولكنه هزم ولم يعرف مصيره .

---

(١) أغتيل عبيد كرومي في سنه ١٣٩٢ (١٩٧٢) في مقر حزبه الافروشيرازي على يد ضابط من أصل عربي هو محمود على سيف شقيق أحدى زوجات كرومي ا هـ محمد على السمان : محنة الأقليات الإسلامية ، ص٧٢

الموقف الدولى من أحداث زنجبار :

بعد وصول السلطان جمشيد إلى بريطانيا وبعد إعلان أنباء الانقلاب الدموى بدأت الاتصالات بين بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية فى محاولة للتدخل حفاظا على مصالحهما الحيوية فى الجزيرة . وبدأت بعض القطع البحرية البريطانية تراقب الموقف ، كما بدأ الاتحاد السوفيتى بعد العدة هو الآخر للتدخل إلى جانب الانقلاب الذى جاء ثمرة للدعاية الشيوعية فى شرق افريقيا وفرصته سانحة للسوفييت وقد أعلن وزير الخارجية السوفيتى أن بلاده لن تسمح بأى تدخل أجنبى فى شئون البلاد . وفى ٢٧ يناير ١٩٦٤ صدر تصريح آخر جاء فيه « إن أى إستخدام للقوة ضد جمهوريه زنجبار وبمبا المستقله بواسطة هؤلاء الذين الايريدون التخلى عن امتيازاتهم الاستعمارية السابقة يعتبر عملا عدوا يناله نتائج خطيرة » .

وكما هو متوقع كان الاتحاد السوفيتى من أسبق الدول التى أعـترفت بالانقلاب وبما سمى « بالجمهورية الشعبيه لزنجبار وبمبا (١) » .

سياسة النظام الجديد فى زنجبار :

تم اعلان الجمهورية فى زنجبار ونصب عبيد أمين كارومى زعيم الحزب الافريقى الشيرازى والشيوعى العنصرى المعروف بعدائه الشديد للعرب والاسلام رئيساً للجمهورية وشكلت حكومة جديدة من أعضاء الحزب الافريقى الشيرازى وحزب الأمة وأسندت رئاسة الوزراء الى عبد الله

---

(١) براجينسكى : سابق ، ص ٦٤ .

قاسم مانجا على حين أصبح عبد الرحمن بابو زعيم حزب الامة وزيراً للخارجيـــة (١).

وقامت سياسة زعماء الانقلاب على أساس إزالة الصبغة الاسلامية تماما عن الجزيرة ، والقضاء على أى مقاومة وذلك بالقيام باجراءات المذابح الجماعية ومعسكرات الاعتقال أو بواسطة سلسلة من نهب ممتلكات العرب ومصادرة قصورهم مزارعهم (٢).

وأنطلق كرومى يفسد فى البـــلاد املا فى تحويل شعبها المسلم إلى الماركسية ، ومحاولا ابعاده عن أخلاقه وطباعة الإسلامية .

وكما فعل كمال اتاتورك بالمسلمات فى تركيا فعل « كارومى » بالمسلمات المحصنات فى زنجبار ما هو أسوأ من ذلك ،حيث شجع على الاباحية والرزيلة حتى لقد أصدر مرسوما يكره بموجبه الفتيات المسلمات على قبول الزواج من أى أنسان يتقدم اليهن دون النظر إلى جنسيته أو معتقدة . . وكل فتاة ترفض أو أمره يزج بها إلى السجن ويحبس معها كذلك ولى أمرها .

ولنــا أن نتساءل قبل الحديث عن قيام تانزانيا والقضاء على سلطنة زنجبار وملاحقة العرب فى كل مكان بغرض التخلص من البقية الباقية التى نجت من المذبحة التى وقعت فى يناير ١٩٦٤ هل هناك أسباب محددة دفعت كرومى وأنصاره للقيام بهذا الانقلاب الدموى والذى يسميه البعض بالثورة ؟

---

(١) مصطفى مؤمن . قسمات العالم الإسلامى ، ص ٤٢٢ .
(٢) سيد عبد المجيد بكر ، سابق ، ٧٢ .

والحقيقة التي لا يختلف عليها اثنان أن هناك دوافع للقيام بالثورة ، حاول كرمى وأعوانه إعلانها لتبرير موقفهم وتتلخص في أن السكان العرب كانوا من إملاك الأراضى الذين يستغلون الافريقيين للعمل فى مزارعهم ويمكن الرد على هذا الإتهام بأن العرب لم يكونوا وحدهم يملكون الأرض فقد كان هناك الهنود والأفريقيون أيضاً لهم ملكيات خاصة وأما استغلال العرب للافريقيين الذين يعملون فى حقولهم فأمر لم يقم عليه دليل وتعميم هذا الحكم فيه تزييف للحقائق ، فإذا كانت هناك حالات فردية ينطبق عليها مثل هذا إلا دعاء فالغالبيه الساحقه من العرب كانوا يعاملون هؤلاء المزارعين معاملة طيبة ويعطونهم أجوراً أفضل بكثير من غيرهم فى الدول الأفريقية المجاورة ، ولكنها الشيوعية إذا دخلت بلداً أثارت فيه الأحقاد وأدت به إلى الفوضى والدمار (١) .

ومن المعروف أن زنجبار من أغنى المناطق فى العالم بزراعة القرنفل ويزرع فيها لذلك جوز الهند والمانجو والبرتقال ، وعلى الرغم من ذلك فإن من كان يرغب من الأفريقيين أو العرب فى زراعة محصول يوفر له الغذاء فإنه يستطيع أن يفعل ذلك فى أرض أى شخص — وإن كان ذلك يبدو غريبا بدون إذن أو علم صاحب الأرض . وكان المزارعون فى زنجبار يعيشون فوق أرض مملوكة لغيرهم ويستغلونها لأنفسهم ، وإذا أراد صاحب الأرض أن يحصل على شيء من المحصول فإنه يدفع فيه الثمن السائد فى السوق . وإذا رفض فى مكنة المزارع أن يذهب بمحصوله ليباع فى أى مكان يريد لكن زعماء الانقلاب الشيوعى (٢) فى زنجبار حاولوا إيجاد

---

(١) المصرى : سابق ، ص ١٠٨ — ١١٢

(٢) سيد عبد المجيد ، سابق ، ص ١٢٥

مبررات يخدعون بها العالم ويغطون بهـا على الحقائق السائدة فى زنجبار وعلى طبيعة العلاقة بين هؤلاء وبـــين نيريرى فى تنجانيقا والصهيونية فى إسرائيـل .

وإذا كانت الأمور تقاس بنتائجها ، فإن الشيوعيين بمجرد الإطاحة بالعرب ومصادرة أراضيهم وإعادة توزيعها على الورثة غير الشرعيين ظنوا أن كل فرد فى البلاد سيصبح ثرياً ، وتم تجزئة الأرض إلى مساحات كل منها آكر واحد (فدان) .

ومن المعروف أقتصاديا أن تفتيت الأرض إلى ملـكيات صغيرة يضر بالاقتصاد ويؤدى إلى أوخم العواقب ولدينا فى مصر تجربة مماثله بعد عام ١٩٥٢ وتفتيت الملـكية بالصورة التى جعلتنا نعتمد على غيرنا فى الحصول على مصادر الغذاء وكنا دولة مصدرة ودائنة قبل ذلك .

وفى زنجبار يختلف الحال عن غيرهـا حيث أشجار القرنفل تغل محصولها موسميا وتحتاج إلى إمكانات كبيرة لزراعتها قبل والمحافظة على نظافة الأرض المزرعة ونتيجة لذلك فان الملاك الجدد أدركوا هـــذه الحقيقة واضطر الـكثيرون منهم إلى ترك مزارعهم وآثروا الهرب إلى داخل البلاد للعمل فيها عمالا بالأجر[1] .

كما أن الحـكومة الشيوعية فى زنجبار كانت تستولى على محصول القرنفل وتجبر المزارعين على بيعه بسعر زهيد حيث كان الرطل من القرنفل يؤخذ بمائة وخمسين شلنـا وتبيعه للولايات المتحدة بـ ١٧٠٠ شلن

---

(١) أحمد حمود . . ، سابق ، صص ١٠٤ — ١٠٥

وهكذا أصبح المزارع لا يكسب من زراعته مثلما كان يحصل عليه من عمله فى مزارع العرب حيث كان يتقاضى ١٥٠ شلنا كل ثلاثة أيام.

ومن الأسباب الأخرى التى أدت إلى حدوث الانقلاب الدامى غلبة العنصرية والطائفية فى البلاد وخصوصاً فى سنوات الإستعمار البريطانى الذى شجع هذه الإتجاهات والتى ظهرت بصورة واضحة فى تكوين الأحزاب السياسية والمنافسة الشديدة بينها — كما أسلفنا — وحمل الحزب الأفريقى الشيرازى لواء العنصرية والحقد على العرب بمساندة وتأييد القس نيريرى (١) .

ومن الأسباب الأخرى الدعايات المغرضة ضد العرب فى زنجبار واتهامهم بأنهم « باعة الرقيق والمتاجرون به » حتى أصبحت عقدة الافريقيين النفسية بتأثير هذه الدعاية الكاذبة ، وفى زنجبار كنيسة قديمة مقامه فى أحد الميادين الغربية من قصر السلطان ، لابد للسائح من زيارتها ، ليعرف قصتها كما أرادها المنصرون والمستعمرون ، فلقد نسجوا حولها قصة ، ملخصها أن هذه الكنيسة أقيمت مكان سوق الرقيق الذى أغلق فى عام ١٨٨٣ . ونسى هؤلاء إن الاسلام دين المساواه بين البشر وأن زنجبار فى ظل الاسلام نعمت بما لم تنعم به فى أى وقت آخر .

وبعد الانقلاب تحول قصر السلطان جمشيد بن عبد الله إلى متحف يهدف إلى تشويه تاريخ العرب والمسلمين فى المنطقة ، وأطلق عله « قصر العجائب » وهو يضم مجموعة من الصور واللوحات المحرضة على كراهية العرب ، بعضها تصور مجموعة من الافارقة المكبلين فى الاغلال تجرهم الخيول إلى

(١) سيد عبد المجيد ، سابق ، ص ١٢٥ .

أسواق الرقيق . وأخرى تصور أحد الحقول الزراعية ويعمل بها الأفارقة والسياط تلهب ظهورهم والفاعل وفقاً للصورة عربي ، وأخرى تمثل عربة يجرها الأفارقة ويجلس عليها عـــربي وحوله أسرته . وهكذا كان الدس الرخيص لتشويه صور ، المسلمين وايقاع الفرقة بينهم .

وهناك عوامل أخرى أدت إلى تفجر الموقف في زنجبار من بينها الأطماع الخارجية لا سيما من الدول الأفريقية التي أستقلت حديثاً في شرق أفريقيا فلقد زاد التنافس بين كينيا وتنجانيقا لضم زنجبار وفازت الثانية بالغنيمة وحدها عندما أجـــبر سكانها على الوحدة مع تنجانيقا وقيام تانزانيا (١)

وبصفة عامة كان للسياسة البريطانية دور كبير في الوصول إلى هذه النتيجة التي راح ضحيتها هذه الأعداد الكبيرة من العرب دون جريرة لاسيما وقـــد رفضت بريطانيا التدخل لحماية زنجبار أثناء الانقلاب الدمـــوى .

ولا يمكن للباحث أن يغفل دور سلاطين زنجبار الذين فتحوا أبواب بلادهم للعديد من بعثات التنصير دون رقابة أو متابعة ، مما أدى إلى تغلغل نفوذهم ونجحوا في تشويه تاريخ العرب بالجزيرة وشرق أفريقيا ، ونجحوا كذلك في أفساد عقول كثير من المسلمين من أصول أفريقية فقادة الانقلاب من الأفارقة أو من الشيرازيين الزنجباريين كلهم للأسف من المسلمين .

وأخيراً نرى أن العرب أعتبروا زنجبار وطناً لهـم منذ البداية ، وهم وحدهم الذين تزاوجوا مع الأفريقيين وعاشوا معهم ودافعوا عن حقوقهم

---

(١) المغيرى : المصدر السابق ، ص ٤٨٠ .

طوال عشرات السنين ، كما نجحوا فى جعل زنجبار دولة كبرى لها نفوذها ونشاطها فى شرق أفريقيا .

وبعد ظهور الاتجاهات العنصرية بذل العرب أقصى ما فى وسعهم لتوحيد الكلمة ومواجهة الأطماع الاستعمارية ولكن كان جزاءهم فى النهاية جزاء سنمار ونجح الشيوعيون فى أنهاء العلاقة الطوية بين العرب والافريقيين فى زنجبار والتى استمرت أكثر من ثلاثة آلاف عام (١) .

واليوم وبعد هذه السنوات من وقوع الانقلاب أدركت سلطات زنجبار أن السياسة العنصرية الحقت بها أضراراً جسيمة ،وهى تحاول الآن حث العرب على العودة إلى زنجبار والمساعدة فى إحياء اقتصاد البلاد .

كلمة أخيرة

مرت أحداث زنجبار والقضاء على هذا المعقل الاسلامى فى غفلة بعض الدول العربية والاسلامية ، وتآمر بعضها بل مساندتها وإسهامها فى انجاح تلك الجريمة البشعة. ولم تحرك الدول العربية والاسلامية ساكنا بل أن بعضها قد أظهر شماتة وفرحا للقضاء على دولة إسلامية عربية — رجعية — ولقى حكم عبيد كرومى ترحيبا فى أوساط دول عربية ثورية ، كما حدث حين ابتلع هيلا سلاسى أرتيريا بمساعدة دول عربية وإسلامية .

(١) أحمد حمود . . ، سابق ، ص ١١٤

حاضر المسلمين فى تنزانيا

فى ٢٦ ابريل ١٩٦٤ أى بعد الإنقلاب الدموى بأربعة أشهر أعلن قيام الوحدة بين تنجانيقا وزنجبار وأصبح اسم الدولة الجديدة « تنزانيا » واختيرت مدينة دار السلام عاصمة لها ، ونص فى اتفاق الوحدة ثم الدستور على أن يتولى الرئاسة جوليوس نيريرى ، وأن يليه فى الرئاسة حاكم زنجبار وتم تشكيل حكومة محلية لزنجبار وفرضت فى بعض الصلاحيات المحلية التى من خلالها حاولت الإدارة فى زنجبار أن تحتفظ لنفسها باستقلال نسبى لكن تبقى الحقيقة وهى أن الوظائف العليـــا والوظائف الإدارية والإشرافية وبخاصة فى الشرطة والجيش أصبحت فى أيدى الأفارقة ذوى الأصول غير العربية .

ومن ناحية أخرى عين « عبيد كاروى » نائبا أول لرئيس الجمهورية فى تنزانيا والذى يحكم زنجبار ممثلا لاتحاد تنزانيا . لى أن اغتيل هو وعدد من مساعديه فى عام ١٩٧٢ على يد الضابط العربى محمود على سيف وتولى الحكم فى زنجبار بعد «عبود جمبى النائب الثانى لكرومى .

علمانية الحكم فى تانزانيا [1] .

منذ اليوم الأول لقيام الاتحاد الإجبارى أعلنت الحكومة المركزية فى دار السلام أنها ستنهج نهجا علمانيا حيث لا مكان فيها لأية أحزاب دينية إسلامية أو غير إسلامية ، كما وضعت قيوداً شديدة على الدعوة

---

(١) مجلة الاصلاح الكويتية ، العدد ٩٣ محرم ١٤٠٦ هـ ص ٣١

الإسلامية وقامت بتأميم المدارس الإسلامية الكبيرة وغيرت أسماءها الإسلامية أو العربية إلى أسماء ذات دلالة غير إسلامية مثل (سيد خليفة كولدج) أصبحت (نيكرو ماكولدج) وبقيت بضع مدارس صغيرة متناثرة ولولا ما يقدمه الأزهر وبعض الجامعات الإسلامية الأخرى من مساعدات لكانت الثقافة الإسلامية قد انتهت تماما[1] .

وتظهر علمانية الحكومة فى عدم إجراء أو إصدار إحصاءات عن عدد المسلمين بالدولة ، أو وضع ميزانية لإنشاء مساجد أو مدارس إسلامية ولكنها تسير فى اتجاهات ماركسيه بخطوات واسعة وقد أصدر نيريرى ما عرف بتصريح أروشا وهو بمثابة المنفستو الشيوعى الذى يحاول من خلاله سيطرة الدولة على كل شىء الأرض والناس بحجة تطبيق المجتمع الإشتراكى فى تانزانيا .

والحزب الإشتراكى الحاكم هو الذى يخطط لكل شىء سياسة واقتصاد مما جعل الزراعة والتجارة ، ومرافق الحياة كلها فى يد الحكومة وتم إنشاء الجمعيات التعاونية بمساعدة الصين حينا والسوفيت حينا آخر ، وتم تأميم جميع المصانع والمزارع حتى أصبحت البلاد متخلفة عن مثيلاتها فى الدول الأخرى .

وأما من الناحية الاجتماعية فالإرهاب والتسلط وكل ما هو معروف عن الأنظمة الشيوعية من قمع وكبت للحريات الدينية والسي[illegible] يلاحظ أن الحكومه فى تانزانيا تخوض معركة شرسة لإجبار المسلمين على الدخول فى الحزب الإشتراكى وهدم الدين فى نفوسهم مما يساعد بعثات التنصير

---

(١) المرجع السابق ، ص ٣٢ .

على العمل فى اطمئنان ودون مضايقات وليس هذا الأمر بمستغرب لاسيما وأن نريرى من الذين تربوا على أيد الكنيسة وهو رجل متعصب للنصرانية وكل خططه تنبعث من هذا المنطلق (١) .

التعليم الإسلامى فى تنزانيا :

كانت فى زنجبار وتنجانيقا خلال الحكم الإسلامى العربى مدارس إسلامية كثيرة تعمل بحرية كاملة وتربى الناس على مبادىء العقيدة السمحاء ولكن بعد الأحداث الدامية التى تعرضت لها الجزيرة وتسلل الماركسية والعلمانية إلى الوزارات والمصالح والإدارات تحت أعلام الإشتراكيه بدأت علمنة التعليم وتحولت المدارس الاسلامية إلى التعليم اللادينى تحت إشراف الدولة وغيرت المناهج بما يخدم هذا الاتجاه .

وبعد اغتيال كروى حاولت الحكومة تهدئة الموقف فأعادت إفتتاح المعهد الاسلامى الذى كان قد أغلق فى تمام ١٩٦٤ ويقوم بالتدرب فى المعهد نخبة من أبناء الأزهر يعملون فى ظل إمكانات ضئيلة من ناحية نقص المراجع والمعامل وغير ذلك .

وهناك الآن مدارس إسلامية تعرف (بالمدارس الأهلية) وهى عبارة عن بضعة أكواخ تضم عشرات الأطفال الذين يبعث بهم ذووهم لتعليم القرآن الكريم والتأدب بآدابه (٢) .

---

(١) انظر مصطفى مؤمن : سابق ، ص ٤٤١ . العربى الكويتية ، العدد ٣٥٩ ، اكتوبر ١٩٨٨ .

(٢) منار الاسلام ، العدد الرابع ، ١٩٨٢ ص ٥٢ , ٥٣ .

مركز شرق أفريقيا لدراسة التراث واللغات :

تم إنشاء هذا المركز فى زنجبار بمبادرة من منظمة الوحدة الأفريقية وبتوقيع خمس دول هى : السودان ، تانزانيا ، اثيوبيا ، مدغشقر بروندى وكما هو واضح من إسمه يهتم بالتراث واللغات الأفريقية ويتم دعمه من قبل اليونسكو . وبعض الدول الأخرى .

وقد بدأ العمل فى المركز على الرغم من الصعوبات العديدة التى واجهت القائمين عليه منذ اليوم الأول ومع ذلك تم جمع بعض المخطوطات النادرة ومازالت خطة المعهد قائمة على أساس جمع المخطوطات من الصومال وغيرها ، وإجراء دراسات وأبحاث عن العلاقات الثقافية بين كل من شرق أفريقيا والجزيرة العربية وما حولهما من حذر ومن المعروف أن زعماء الانقلاب الدامى فى زنجبار جمعوا ما وقع فى أيديهم من كتب ومخطوطات ووثائق لا تقدر بثمن وأحرقوها ظنا منهم أنهم بذلك يغيرون من الوجه العربى للجزيرة بمثل هذه الأعمال [1] .

المجلس الإسلامى الأعلى :

وهو أبرز الهيئات الاسلامية فى تنزانيا وقد أسس فى عام ١٣٨٧ هـ ١٩٧٧ وكان يسمى فى البداية المجلس الأعلى لجميع مسلمى شرق أفريقيا حيث كان يضم مسلمى كينيا وتانزانيا وأوغندا ثم إقتصر نشاطه على تانزانيا ، ويشرف على المساجد ، والمدارس الإبتدائية . ولقد ساهم فى بناء

---

(١) على الشيخ أحمد أبو بكر ، الدعوة الاسلامية المعاصرة فى الغرب الأفريقى ١ ص ٢٨٢ - ٢٨٥ .

بعض المدارس المتوسطة بالجهود الذاتية .

وعلى الرغم من أن أهداف هذا المجلس القيام بما يتعلق بأمور الدين الإسلامى ونشر فى البلاد بصفة أكبر الهيئات التى يعتمد عليها المسلمون فى شئون دينهم إلا أنه فشل تماما فى القيام بهذا الدور وذلك لأن الحكومة التنزانية لا تعين فيه إلا الموالون لها ومعظمهم من الجهال فيما يتعلق بأمور الدين الاسلامى كما أن هذا المجال أصبح يهتم فقط بمحاربة الهيئات الاسلامية الأخرى ويعمل على تنفيذ التعليمات الصادرة إليه من الحكومة التنزانيه وكثير من موظفيه لهم وظائف أخرى بالحكومة .

ولقد ذكر لى أحد مسلمى تانزانيا أن غالبه الحجاج إلى بيت الله لا يجدون فرصة للحج إلا إذا دفعوا رشوة من المال أو غيره للمسئولين فى المركز أو أن سيارات المركز تؤجر أحيانا لحمل الخمور أو المواد التى تدخل فى تصنيعها (١) .

منظمة ورش للشباب الاسلامى

تعمل هذه المنظمة على ترجمة الكتب الاسلامية العربية إلى اللغة الانجليزية والسواحلية . كما تقوم بانشاء بعض المدارس الثانوية التى تعادل المدارس الحكومية ولكن يغلب على مناهجها الطابع الاسلامى ، كما أن طلابها يلتزمون بالنظام الاسلامى فى حياتهم وقد سميت هذه المدرسة (قوبة مدرسة الثانيه) Ouba seconbary school .

وقد لقيت منظمه الشباب الاسلامى عداء شديدا من جانب المجلس الأعلى

---

(١) مقابلة شخصية للمؤلف مع أحد مسلمى تانزانيا فى عام ١٩٨٥ .

للشئون الإسلامية الذى منع نشر و بيع الكتب الاسلامية التى تقوم بترجمتها ، كما أن هذه المنظمة تعمل بامكانات محدوده مما يجعلها تعجز فى بعض الأحيان عن القيام بواجبها .

هيئات إسلامية أخرى :

هناك فى تانزانيا هيئات أخرى تعمل فى مجال الدعوة الاسلامية منها هيئة تعرف باسم .

(Muslim Tanzauia Soli ayity Trustfun)

وتقوم بالعمل على مساعدة الطلاب المسلمين للحصول على منح دراسية فى الدول الاسلامية الأخرى ، كما تقوم بجمع التبرعات لبناء المساجد والمدارس ويرأسها الشيح عبود معلم .

ومن المنظمات الصغيرة منظمة الطلاب المسلمين فى جامعة دار السلام الحكومية ، وتحاول امداد طلابها بالكتب المختلفة عن الدين الاسلامى ولاسيما كتب الفقه والتفسير والحديث والسيرة النبوية (١) .

وفى تانزانيا المجلس الأعلى لشئون المساجد ويقوم بمتابعة أمور الدعوة الاسلامية وإنشاء المساجد واختيار أئمتها وقد أسس بدعم من رابطة العالم الإسلامى وكان يرأس هذا المجلس عبود جمبى نائب رئيس الجمهورية والذى تولى السلطة فى أعقاب اغتيال كرومى .

وبعد أن استقال جمبى ترك رئاسة هذا المجلس مما جعله يفقد كثيراً من قوته .

وهناك حركة لتعليم المسلمين كيفية مواجهة التنصير فى تنزانيا من خلال قراءة الانجيل والرد على ما جاء فيه وقد بدأت فى كبجوما ثم انتقلت

إلى دار السلام ولها نشاط كبير مما جعل الهيئات التنصيرية تشن حملة عليها وتدعو الحكومة لوقف نشاطها بحجة إثارة الفتنة الطائفية وخلق المشاكل بين المسلمين والمسيحيين ».

وفى تانزانيا كذلك تم تأسيس إتحاد الشباب المسلم وكانت له فروع فى كل المدن ولكن المجلس الإسلامى الأعلى لم يعترف به وطلب من الحكومة وقفه ومنع نشاطه منعاً باتا (١).

دور المسجد فى ميدان الدعوة الإسلامية بتانزانيا :

منذ أسس رسول الله مسجده فى المدينة المنورة وقبله مسجد قباء والمسجد فى الإسلام هو المنارة والمشعل وأهميته لا تخفى على أحد ، وجاء حين من الدهر كان مسكنا للفقراء وطلبة العلم وبيتاً للضيافة ومكانا للغرباء وساحة للعلم وما يزال المسجد فى بلاد شرقى أفريقيا يقوم بدور هام وعظيم فى بث الوعى الإسلامى على الرغم من الاتجاهات العلمانية فى تلك الدول.

والمساجد فى تانزانيا كما أسلفنا لا تعتمد على إنفاق الدولة عليها مما جعلها فقيرة فى الامكانات عاجزة عن ترميم ما يتهدم منها وفرق كبير بين إمكانات الكنائس التى أنشأتها بعثات التنصير وتلك المساجد التى قد لا نجد أحيانا الفرش الكافية أو الأئمة الذين يقومون بأمور الدعوة.

وقد استغلت البعثات التنصيرية هذه الأحوال لتروج بين الشباب أن دينهم لا يتلاءم مع العصر الحديث ولا يستطيع مواكبة التطور الحضارى

---

(١) المصدر السابق ص ٥ .

الذى يعيشه العالم ويقدمون لهم الامثلة بالمساجد غير المفروشة أو التى تهدمت بعض أجزائها[1] .

وعلى الرغم من هذه الإمكانات الضئيلة إلا أن المسجد فى هذه البلاد ما زال يقوم بدوره فى التوعية بواسطة التدريس أو الوعظ والخطابة ولكن يلاحظ على من يقومون بهذه التوعية عدم حفظ الكثيرين منهم للقرآن الكريم أو التعمق فى العلوم الدينية التى تعتبر عدة من يعمل فى هذ الميدان من ميادين الدعوة الإسلامية .

الصعوبات التى تواجه المسلمين فى تانزانيا :

مما يؤسف له أن الاستعمار الأوربى لم يدع ميدانا من الميادين التى دخلها الإسلام إلا ودس أنفه فيها ، وسعى فيها بالفساد والقارة الأفريقية التى كان من المتوقع إنتشار الإسلام فيها من أقصاها إلى أقصاها لبساطته وتسامحه ودعوته للمساواة الكاملة وأنه لا فضل لمسلم على آخر إلا بتقواه وعمله الصالح .

هذه القارة التى غزاها الاستعمار مستهدفا قبل كل شىء مكافحة الإسلام فيها بكل وسيلة وحتى بعد أن حصلت هذه الدول على الإستقلال لم تنعم به طويلا ، بل كبلها بالديون والقواعد الأجنبية ونشر فيها المذاهب الضالة والافكار المنحرفة .

والأخطر من ذلك أنه ترك فيها عملاء ينفذون مخططاته وبأكثر مما رسم هو وما حدث فى زنجبار خير شاهد على صدق ما نقول ثم بعد قيام إتحاد

---

(١) على شيخ ، مصدر سابق ، ص ٢٨٢ .

تانزانيا أرتكبت الحكومة الماركسية هنالك الكثير من المذابح ضد القرى والتجمعات الإسلامية وامتد نشاطها إلى أكثر من ميدان، وهذه بعض الأمثلة التى تؤكد ما ذهبنا إليه من أن الإسلام فى تنزانيا واجه حربا شرسه كان من الممكن أن تقضى عليه لولا فضل الله وجهود المخلصين من مسلمى هذه البلاد (١).

١ - الغاء الأوقاف الإسلامية فى زنجبار :

لا يخلو بلد مسلم منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم من أموال موقوفة يجرى أستثمارها على الدوام وينفق من ريعها على سد إحتياجات المساجد والمدارس الإسلامية والطلبة الفقراء وذوى الحاجة والمساكين وأبناء السبيل، وزنجبار واحدة من تلك البلاد التى كان فيها الكثير من الأموال الموقوفة سواء كانت عقارات أو مزارع وأراض فضاء.

وكانت هذه الأموال مصونة حتى فى عهد الاستعمار البريطانى. ولكن الشيوعيين الذين نفذوا المذابح ضد الوجود الإسلامى العربى لم تسلم منهم حتى أموال الأوقاف الإسلامية التى تم الاستيلاء عليها ويزعم هؤلاء أن الدولة ستقوم بصرف تعويضات عنها لتتمكن ادارة الأوقاف من أداء واجباتها ولكن متى يتم ذلك ؟

التنصير فى تانزانيا :

منذ إبتليت أفريقيا بما يسمى « حركة الكشوف الجغرافيه » ترافدت

(١) محمد محمود الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام ص ١٧٧ .

بعثات التنصير بمختلف نوعياتها على القارة لا سيما المناطق ذات الأغلبيه المسلمه .

وفى تنجانيقا على سبيل المثال نرى حركة التنصير تعمل بنشاط كبير فليس هناك بلدة أو قرية من قرى تنجانيقا إلا وفيها مركز ضخم يحتوى على كنيسة ومدرسة ومستشفى ، وقد أشارت إحصائية لبعض الكنائس أن عدد الكنائس فى تنجانيقا تبلغ ٣٦٠٠ كنيسة مع أن النصارى لا يتجاوزون عشرين فى المائة فى أغلب التقديرات وهناك عشرات من هذه الكنائس لا يدخلها أحد لكثرتها بطريقة واضحة .

وللتنصير هناك نفوذ قوى فى البلاد فى جميع المجالات وله أنشطة كثيرة تعمل بصورة مباشرة وأخرى تمارس نشاطها سراً وبواسطة أجهزة الدوله المختلفة .

وملاحظ أن الكاثوليكية والبروتستانتية تعملان بنشاط فى هذا البلد المسلم ويتم التنسيق بينهما فى أغلب الأحيان .

وفى مناهج التعليم ومدارس التبشير تظهر الصورة بوضوح أكثر ويكفى أن نعرف أن جامعة دار السلام لا يدخلها إلا الطلبة المسيحيون تقريباً فمن بين (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف طالب نسبة الطلاب المسلمين فيها ١٠ ٪ فقط على الرغم من أن نسبة المسلمين فى البلاد تقارب الـ ٨٠ ٪

وفى المدارس الثانوية يتولى التدريس أغلبية من النصارى الذين يقومون بدعاية مكثفة من خلال الدروس التى يقدمونها وتحيزهم الكامل فى نهاية العام مما يؤدى إلى تزايد نسبة الرسوب بين الطلاب المسلمين أما المنح الخارجية فهى من نصيب الطلاب الذين تلقوا علومهم فى مدارس الارساليات .

وقد سمحت الحكومة بدراسة الاديان فى جميع المراحل وتركت مسئولية هذا العمل للهيئات المختلفة وقد وجد النصارى دعما كبيراً وميزانيات ومدرسين يتوافدون من دول كثيرة كالولايات المتحدة والمانيا وانجلترا وفرنسا وقــد رصدت الكنيسة اللوثرية (١١) مليون دولار فى السنة لهـذه المهمة .

وبلغت المعونة التى تلقتها الارساليات فى تانزانيا عام ١٩٨٣ (٢٤٠) مليون شلن كما أنهم يمتلكون (١٤) دور للنشر والطباعة فى تانزانيا [١] .

وفى زنجبار تزايد النشاط التنصيرى فى عصر الاحتلال البريطانى ولكن على الرغم من ذلك كان أثره محدوداً لكن بعد قيام الانقلاب الدموى ودخول زنجبار ضمن الاتحاد تزايد نشاط البعثات التنصيرية بصورة كبيرة لا سيما بعد ظهور أعداد كبيرة من المشردين والايتام فى أعقاب المذابح التى وقعت للعرب مما جعل طوائف المنصرين تنشط للعمل بين هؤلاء ليصبح هذا النشاط خطراً كبيراً على الوجود الإسلامى فى زنجبار خاصة وتانزانيا بصفة عامة [٢] .

وما يحتاجه المسلمون هناك .

١ ـ التوسع فى انشاء المدارس الإسلامية .

---

(١) مجلة الأمة الإسلامية ، العدد ٦٥ ، ١٤٠٦ هـ ص ص ٦٦ ـ ٦٧ .

(٢) على شيخ : مرجع سابق ، ص ٢٨٠ .

٢ - إيفاد أعداد من المدرسين المسلمين من مختلف الأقطار الإسلاميه على نفقة هذه الدول .

٣ - فتح المجال أمام الطلاب التنزانيين للحصول على المنح الدراسية فى الجامعات الإسلامية .

٤ - ضرورة التنسيق بين الهيئات والمنظمات الإسلامية العاملة فى تنزانيا لمواجهة هذا التحدى الخطير

٥ - تدخل الحكومات الإسلامية لاقناع الحكومة الحالية فى تانزانيا (بعد أن تخلى نيريرى عن سلطاته) بوقف النشاط التنصيرى الهدام وإتاحة الفرصة للدعوة الإسلامية بصورة أفضل مع محاولة تحسين العلاقات بين تانزانيا والأقطار الاسلامية الأخرى فى حالة تحسن موقف المسلمين هناك

وأخيراً نرى أن الصعوبات التى تواجه مسلمى تانزانيا لا تقتصر على علمانية الدولة أو النشاط التنصيرى أو الالحاد الشيوعى فقط لكن يضاف إلى هذه الصعوبات وجود بعض الطوائف المنتسبة للاسلام وهى أخطر بكثير على الاسلام من غيرها مثل القاديانية أو الأحمدية، البهائية، الإسماعيلية الأثنا عشرية حيث أن هذه الطوائف والملل البعيدة عن الاسلام تماما تملك الأمكانات وتفتح المدارس والمساجد وتعطى مكافآت شهرية للطلاب وتصدر الكتب والنشرات التى تروج لأفكارهم الهدامة والخطيرة .

قائمة المصادر والمراجع

أولا : الوثائق المنشورة ـ وثائق الأمم المتحدة ـ تقرير مجلس الوصاية
أول يوليو ١٩٦٠ ـ ١٩ يوليو ١٩٦١
الجمعية العامة ـ الوثائق الرسمية : الدورة السادسة عشرة
الملحق رقم ٤ (ج ٤ / ٤٨١٨) الأمم المتحدة
ط نيويورك ١٩٦١

— تقرير اللجنة الخاصة المعنية بحالة تنفيذ إعلان منح الاستقلال للبلدان
والشعوب المستعمرة ٢٠ فبراير ـ ١٩ سبتمبر ١٩٦٢
الدورة السابعة عشرة للجمعية العامة الأمم المتحدة
الوثيقة ج ٤ / ٥٢٣٨ الأمم المتحدة . ط ١٩٦٣

ثانيا المراجع

دكتور إحسان حقي : أفريقيا الحرة ، بيروت ١٩٦٢
دكتور أحمد سويلم العمري : الأفريقيون والعرب ـ الانجلو ١٩٦٧
دكتور أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ، ج ٦ النهضة المصرية ١٩٨٣
أحمد عطية الله : القاموس السياسي ، النهضة العربية ١٩٨٥
أحمد حمود المعمري : عمان وشرق أفريقيا ، ترجمة محمد أمين عبد الله سلطنة عمان ، ١٩٧٩ .
دكتور السيد رزق حجاج : الاستعمار الأوربي في افريقية وآسيا ١٩٨٦
« « « « : الصومال في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٨٦

د. السيد رجب حراز : افريقية الشرقيـة والاستعمار الأوربى النهضة العربية ، ١٩٦٨ ـ بريطانيا وشرق أفريقيا
معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١

د. جمال زكريا قاسم : الأصـول التاريخية للعلاقات الأفريقية
معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧٥

د. جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الأفريقية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، ١٩٧٧

د. جـلال يحى : التنافس الدولى فى شرق أفريقيا ، دار المعرفة ١٩٥٩

د. حسن إبراهيم حسن : انتشار الاسلام فى القارة الافريقيـة النهضة المصرية ١٩٨٤

د. حسن أحمـد محمود : الاسلام والثقافة العربية فى أفريقيا

د. دولت صـادق : الجغرافيا السياسية ، الأنجلو المصرية ١٩٨٢

د. ونـالد ويدنر : تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء ، جـ ٢ ، ترجمة د/ شوقى الجمل

د. راشد البراوى : مشكلات القارة الأفريقية ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٨٥

د. رولت ايتاليندر : عشرة رجال من افريقيـا ، ترجمـة أحمـد عبد القادر ، ١٩٦٣

د. زاهـر رياض : استعمار افريقية ، الدار القوميـة للطباعـة ـ والنشر ١٩٦٥

د . سبنسر ترمنجهام : الإسلام في شرق افريقية ، ترجمة محمد عاطف النووي ، ١٩٧٣

د . سعد زغلول عبد ربه : العرب والأفريقيون فى مواجهة الاستعمار الألمانى فى تنجانيقا (العلاقات العربية الأفريقية) ١٩٧٧

د . سعيد بن على المغيري : جهينة الأخبار فى تاريخ زنجبار ، تحقيق عبد المنعم عامر عمان ١٩٧٩

د . سيد عبد المجيد بكر : الأقليات المسلمة فى أفريقيا ، رابطة العالم الاسلامى مكة المكرمة ١٩٨٥

د . شارل أندريه جوليان : تاريخ افريقيا ، ترجمة طلعت عوض ، نهضة مصر ١٩٦٨

د . صلاح العقاد : التيارات السياسية فى الخليج العربى ، الأنجلو ١٩٨٣

د . صلاح العقاد وجمال زكريا قاسم : زنجبار ، القاهرة ١٩٦٠

د . عبد الرحمن زكى : الاسلام والمسلمون فى شرق افريقيا معهد الدراسات الاسلامية بالقاهرة ١٩٦٥

د . عبد الرحمن حميده وآخرا : الجغرافية إقليمية للعالم الاسلامى ، الرياض ١٤٠٢

د . عبد العزيز رفاعى : الحركة القومية فى أفريقيا ، القاهرة ١٩٦٢

د . على الشيخ أحمد أبو بكر : الدعوة الاسلامية المعاصرة فى القرن الأفريقى ، الرياض ١٤٠٥

كولين ما كفيدى : أطلس التاريخ الأفريقى ، ترجمة مختار السويفى القاهرة ١٩٨٧

محمد جلال عباس : المد الاسلامى فى افريقيا ، المختار الاسلامى ١٩٧٨

د . محمد الرحيم عبد عنبر : التمييز العنصرى فى افريقيا : الدار القومية ، ١٩٦٦

د . محمد عبد الغنى سعودى : قضايا افريقية ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٨٠

د . محمد عبد الله السمان : محنة الأقليات المسلمة فى العالم ، الأزهر ، ١٩٨٧

د . محمد عوض محمد : الاستعمار والمدارس الاستعمارية ، القاهرة ، ١٩٦١

د . محمد محمد الصواف : المخططات الاستعمارية لمكافحة الاسلام ، دار الاصلاح السعودية ، الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٩

د . محمود عبد اللطيف : الجغرافيا الاقليمية الأفريقية ، القاهرة ١٩٨٢

د . مصطفى الخالدى ، د . عمر فروخ التبشير والاستعمار ، ط المكتبة العصرية بيروت

د . يسرى عبد الرازق : جغرافية الشعوب الاسلامية ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٨٢

ثالثا : الدوريات

مجلة أمامة : العدد ٦٥ جمادى الأولى ١٤٠٦ ، يناير ١٩٨٦

مجلة الإصلاح : العدد ٩٢ محرم ١٤٠٦

مجلة منار الإسلام : العدد الرابع ، السنة السابعة ربيع الآخر ١٤٠٢ فبراير ١٩٨٢

المسلمون : العدد ٤١ ، ١٤٠٦ هـ

الفهرس

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٨٢٦٢ / ١٩٨٨

مطبعة الحسين الاسلامية

٢٥ ـ حارة المدرسة ـ خلف الجامع الازهر